The Islamic University-Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts
Master of Arabic Language

الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا
كلية الآداب
ماجستير في اللغة العربية

الفكر النحوي في القرن السادس الهجري – تطوره واتجاهاته
((دراسة وصفية تحليلية))

The Grammatical Thought In The Sixth Century AH – Its Development And Trends
((A Descriptive And Analytical Study))

إعداد الباحث

معتز إبراهيم عبد الرازق عواد

إشراف الدكتور

باسم عبد الرحمن صالح البابلي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

رجب/ 1439هـ- مارس/ 2018م

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Arts
Master of Arabic Language

الجامعـــــــة الإســـلاميـــة بغـــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــــــــة الآداب
ماجســـتير فـــي اللغـــة العربيـــة

الفِكْرُ النَّحْوِيُّ فِي القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيّ – تَطَوُّرُه واتِجَاهَاتُه

((دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ))

The Grammatical Thought In The Sixth Century AH - Its Development And Trends

((A Descriptive And Analytical Study))

إِعدَادُ البَاحِثِ

معتز إبراهيم عبد الرَّازق عوَّاد

إِشرَافُ الدُكتُور

باسم عبد الرحمن صالح البابلي

قُدِّمَ هَذا البحثُ استِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي اللغَةِ العَرَبِيةِ بِكُلِيةِ الآدابِ فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

رَجَب/ 1439هـ – مَارِس /2018م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مُقدِّم الرسالة التي تحمل العنوان:

الفِكْرُ النَّحْوِيُّ فِي القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيّ – تَطَوُّرُه واتِجَاهَاتُه

(دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ)

The Grammatical Thought In The Sixth Century AH - Its Development And Trends

(A Descriptive And Analytical Study)

أُقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنَّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	معتز إبراهيم عبد الرازق عواد	**اسم الطالب:**
Signature:		**التوقيع:**
Date:	28 / 3 / 2018 م	**التاريخ:**

الرقم: ج س غ/35/ Ref: 2018/03/28م

التاريخ: Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **معتز ابراهيم عبدالرازق عواد** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ قسم **اللغة العربية** وموضوعها:

الفكر النحوي في القرن السادس الهجري - دراسة وصفية تحليلة

.The Concept Of Syntax In The Sixteen Century A.H

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء** 11 **رجب** 1439هـ الموافق 2018/03/28م الساعة **الواحدة مساءً**، في قاعة مبنى **طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. باسم عبد الرحمن البابلي	مشرفاً ورئيساً	.....
أ. د. محمد رمضان البع	مناقشاً داخلياً	.....
د. حسين موسى أبو جزر	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/قسم اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدراسة البحث في الفكر النحوي الذي ساد بين علماء القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، وبدأت بالتعرُّف على مفهوم الفكر النحوي ومستوياته، ثمَّ التعرُّض لمراحل نشأته، وثمَّ الحديث عن مراحل تطوُّر الفكر النحوي، والعوامل التي أثَّرت فيه.

تضمَّنت الدراسة أبرز العوامل التي أثرت في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، والتي تمثلت في الفقه ومذاهبه والعقيدة والفرق العقدية، وأثر الرحلات العلمية والتحولات السياسية في الفكر النحوي.

اشتملت الدراسة على ترجمة لأبرز علماء النحو واللغة خلال القرن السادس الهجري، حيث تمَّ تقسيمهم إلى قسمين أساسيين، بحسب البيئة الجغرافية وهما المشرق، والمغرب، ولوحظ من خلال هذا التقسيم أنَّ أغلب علماء البيئة الواحدة كانت لديهم اتجاهات نحوية مُتقاربة، ما أتاح للنحاة المعاصرين الفرصة لتقسيمهم على مدارس نحوية مختلفة.

سعت الدراسة إلى التعرُّف على اتجاهات نحاة القرن السادس الفكرية، من خلال إبراز آرائهم النحوية، ومقارنتها بمدى توافقها أو اعتراضها مع الآراء السابقة لها، أو المعاصرة، وتحديد الآراء النحوية الجديدة، التي تفرَّد بها بعض نحاة القرن السادس الهجري.

Abstract

This study discusses the grammatical thought that prevailed among the sixth century scholars (the twelfth century A.D.) by studying the concept of grammatical thought and its levels, then discussing its stages of development, and the factors that influenced it.

The study included the most important factors that influenced the grammatical thought in the sixth century AH, which were represented in jurisprudence, doctrine, and the doctrinal difference, and the impact of scientific trips and political shifts in grammatical thought.

The study included biographies of the most prominent grammarians and language scholars who lived during the sixth century AH. They were divided into two main categories, according to the geographical environment, namely Al-Mashreq, and Al-Maghrib, where most grammarians of the same environment had similar grammar trends, which gave modern grammarian the opportunity to divide them into different grammar schools.

This study sought to identify the trends of the sixth century intellectual grammarians, by presenting their grammatical views, comparing their compatibility or opposition with previous or contemporary opinions, then identifying the new grammatical opinions, which were singled out by the grammarians of the sixth century AH.

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

[المجادلة: 11]

الإهداء

إلى نور عينيَّ، ومهجة فؤادي، والديَّ العزيزين الدكتور إبراهيم عواد ومربية الأجيال هدى الحاج حفظهما الله تعالى، وأدام عليهما موفور الصحَّة والعافية

إلى رَيحانَة الفؤاد زوجتي الغالية حفظها الله تعالى، وقرَّة عينيَّ، أبنائي الأعزّاء (إبراهيم، لانا) وأسأل الله تعالى أن يُنْبتَهم نباتاً حسنًا

إلى عمي ومعلمي المربي الفاضل أبو أسامة الباز، وعمتي الغالية أم أسامة اللذين منحاني حبهما وجعلاني ابناً لهما

إلى مَن شدّ الله تعالى بهم أزري إخوتي الغوالي (معتصم وزوجته، ومنتصر، ومصعب)، وأخواتي الكريمات (أم يوسف وأم آصف) وأزواجهنَّ وأبنائهنَّ، وأختي العزيزة (أسماء) حفظهم الله ورعاهم وسدَّد خُطاهم

وإلى كلِّ من ساندني بدعائه، ودعمه، وحرصه

أُهدي لكم جميعاً هذا العمل ..

أحبكم .. وجزاكم الله خيراً

لمسة وفاء

أخطُّ بكلماتٍ مدادها الحب والشكر والوفاء، إلى من كان مثالاً في حسن المعاملة والأخلاق، الذي أنهل عليَّ بعلمه وجهده ووقته، وأمدَّني بإرشاداته القيمة، وأفكاره النيِّرة، وتوجيهاته المخلصة، **فضيلة الدكتور: باسم عبد الرحمن صالح البابلي**، حفظه الله ورعاه، وبارك في عمره، ورزقه خيري الدنيا والآخرة ...

فلم يكن مشرفاً لي فحسب بل كان أخاً وصديقاً ومعلماً ومرشداً ومثالاً للقدوة الحسنة

جزاه الله خير الجزاء ... ورزقه الإخلاص في قوله وعمله

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله القائل: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم:7]، فلله الحمد من قبل، ومن بعد، حمداً وشكراً لله (ﷻ) أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على خير الشاكرين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم القائل: "**لا يَشْكرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكرُ النَّاسَ**"، وبعد ..

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدَّم شكري وعظيم امتناني لكلِّ من ساندني وشاركني في هذا الإنجاز، وأول شكرٍ وعرفان وتقدير أقدِّمه لقدوتي في الحياة والدي العزيز الدكتور إبراهيم عبد الرازق عواد الذي لم يدَّخر جهداً في دعمي، ومساندتي، وأشكرُ والدتي الحبيبة المربية الفاضلة هدى محمد الحاج، التي حفَّتني بحبها وحنانها، وما بخلت عليَّ بخالص دعائها.

كما وأتقدَّم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذين الكريمين اللذين تفضلا بمناقشة بحثي، ومنحاني خلاصة خبرتهما، وأرشداني بنيِّر عِلمهما:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رمضان البع حفظه الله

وفضيلة الدكتور/ حسين موسى أبو جزر حفظه الله

وأسجِّل عميق شكري وعرفاني ووفائي لزوجتي وأهل بيتي الذين ما بخلوا عليَّ بأوقاتهم وجهدهم وجميل دعائهم.

ولا يفوتني أن أقدِّم جزيل شكري لإخواني وزملائي أعضاء الهيئة التدريسية والإدارية في مدرسة الصلاح الخيرية الذين وقفوا بجانبي، فنجاحي في هذا العمل من نجاحهم ...

فجزاكم الله خيراً أحبتي من ذكرت ومن لم تطلهم كلماتي بالثناء فالقلب لا ينسى المحبين

فهرس المحتويات

إقـــــرار _____ **ج**

ملخص الرسالة _____ **هـ**

Abstract _____ **و**

الإهداء _____ **ح**

لمسة وفاء _____ **ط**

شكرٌ وتقديرٌ _____ **ي**

فهرس المحتويات _____ **ك**

فهرس الخرائط _____ **س**

المقدمة _____ **1**

التمهيد _____ **7**

أولاً: الحياة السياسية.....8

1. الحياة السياسية في المشرق _____ 9
2. الحياة السياسية في الأندلس والمغرب العربي _____ 15

ثانياً: الحياة الاجتماعية 17

1. الحياة الاجتماعية في المشرق _____ 17
2. الحياة الاجتماعية في المغرب العربي والأندلس _____ 25

الفصل الأول نشأة الفكر النحوي وتطوره _____ 28

المبحث الأول: مفهوم الفكر النحوي ونشأته..... 29

أولاً: مفهوم الفكر النحوي ومستوياته _____ 29

ثانياً: مراحل نشأة الفكر النحوي _____ 32

المبحث الثاني: مراحل تطور النحو وأهم العوامل المؤثرة في الفكر النحوي 38

أولا: طور الوضع والتكوين، وأهم العوامل المؤثرة فيه _____ 38

ثانياً: طور النُّشوء والنُّمو والارتقاء، وأهم العوامل المؤثرة فيه_____ 41

ثالثاً: طور النُّضوج والكمال والازدهار _____ 50

رابعاً: طور المراجعة والتَّرجيح والبسط _____ 53

الفصل الثاني العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري _____ 57

المبحث الأول: الفقه ومذاهبه وأثره في الفكر النحوي..... 58

❖ أثر المذهب الظاهري في الفكر النحوي _____ 61

المبحث الثاني: العقيدة والفرق العقدية وأثرها في الفكر النحوي..... 65

❖ ظاهرة الاعتزال وأثرها في الفكر النحوي_____ 67

المبحث الثالث: الرحلات العلمية والتحولات السياسية وأثرهما في الفكر النحوي 75

1. الرحلات العلمية وأثرها في الفكر النحوي _____ 75

2. التحولات السياسية وأثرها في الفكر النحوي _____ 76

الفصل الثالث علماء القرن السادس الهجري في المشرق العربي والإسلامي واتجاهات الفكر النحوي لديهم _____ 84

المبحث الأول: أبرز علماء المشرق وأهمُّ مؤلفاتهم..... 85

❖ تراجم نحاة القرن السادس الهجري في بلاد المشرق _____ 88
أولاً: نحاة بغداد وأقصى المشرق _____ 89
1. ابن القطَّاع: (433 – 515 هـ) _____ 89
2. الزَّمخشري: (467 – 538 هـ) _____ 91
3. ابن الشَّجري: (450 – 542 هـ) _____ 92
4. ابن الخشَّاب: (492 – 567 هـ) _____ 94
5. ابن الدَّهَّان: (494 – 569 هـ) _____ 96
6. أبو البركات الأنباري: (513 – 577 هـ) _____ 98
ثانياً: نحاة مصر والشام _____ 100
1. ابن بَرِّي: (499 – 582 هـ) _____ 100
2. ملك النحاة: الحسن بن صافي (489 – 568 هـ) _____ 102
المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المشرق العربي والإسلامي..... 104
أولاً: مدرسة بغداد النحوية _____ 104
ثانياً: مدرسة مصر والشام النحوية _____ 109
نماذج من اتجاهات نحاة المشرق في القرن السادس الهجري _____ 111
أولاً: أبو القاسم الزمخشري _____ 112
ثانياً: ابن الشجري _____ 118
ثالثاً: أبو البركات الأنباري _____ 123
الفصل الرابع علماء القرن السادس الهجري في المغرب العربي والأندلس واتجاهات الفكر النحوي لديهم _____ 130
المبحث الأول: أبرز علماء المغرب العربي والأندلس وأهمُّ مؤلفاتهم..... 131

❖ تراجم نحاة القرن السادس الهجري في بلاد المغرب العربي والأندلس _____ 134
أولاً: علماء المغرب العربي _____ 134
1. ابن هشام اللخمي: (... – 577 هـ) _____ 134
2. أبو موسى الجُزُولي: _____ 135
ثانياً: علماء الأندلس _____ 137
1. ابن السِّيْد البَطَلْيُوسِي: (444 – 521 هـ) _____ 137
2. ابن الطراوة: (... – 528 هـ) _____ 139
3. أبو القاسم السُّهيلي: (508 – 581 هـ) _____ 140
4. ابن مضاء القرطبي: (511 – 592 هـ) _____ 141
المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المغرب العربي والأندلس 144
❖ نماذج من اتجاهات نحاة المغرب في القرن السادس الهجري _____ 147
أولاً: أبو القاسم السهيلي _____ 147
ثانياً: ابن مضاء القرطبي _____ 152
الخاتمة _____ 159
أولاً: النتائج..... 160
ثانياً: التوصيات 162
المصادر والمراجع _____ 164
أولاً: الكتب 165
ثانياً: الرسائل الجامعية..... 175
ثالثاً: الأبحاث والدوريات 176
فهرس الآيات _____ 177

فهرس الخرائط

خريطة 1: أقصى اتساع للدولة العباسية _____ 85

خريطة 2: أبرز الدول التي استقلَّت عن العباسيين _____ 86

خريطة 3: الجزء الأول من المشرق (بغداد، والحجاز، وبلاد ما وراء النهر)_____ 87

خريطة 4: الجزء الثاني من المشرق (مصر والشام، وبعض أجزاء الحجاز، والمغرب الأدنى) ___ 87

خريطة 5: الدولة الفاطمية في أوسع حالاتها _____ 131

خريطة 6: الدولة الأيوبية في أوسع حالاتها _____ 132

خريطة 7: دولة المرابطين في المغرب العربي والأندلس _____ 132

خريطة 8: دولة الموحدين في المغرب العربي والأندلس _____ 133

المقدمة

مُقَدِّمة

الحَمْدُ للهِ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، الحَمْدُ للهِ الذِي تَفَضَّلَ عَلَيْنَا وَتَمَّمَ، وَعَلَّمَنَا مِمَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَيَنْبُوعِ الصَّفَاءِ وَالعَطَاءِ، أَفْصَحِ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ العَرَبِيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ مِنَ الأَبْرَارِ أمَّا بَعْدُ:

يُعدُّ النحو العربي من أعظم العلوم العربية أصالة، وأوسعها مادة، وأغزرها تراثاً، ولا شك أنَّ المؤسسين الأوائل لهذا العلم أرادوا من خلاله صون اللغة العربية من اللحن والخطأ.

لقد مرَّ النحو العربي في القرون الهجرية الأولى بمراحل متعددة من البناء والتأسيس، وتنوعت خلال هذه الفترة طرق تفكير العلماء، والمناهج التي ساروا عليها، ولا شك أن اختلاف طرق التفكير لدى علماء النحو أوجد لنا عددًا من الآراء حول مسائل النحو المختلفة.

تصب هذه الدراسة كل تركيزها على إبراز الفكر النحوي عند علماء النحو في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ولعل أبرز ما تتميز به هو الدمج بين الإطارين النظري والعملي، في دراسة وتحليل الفكر النحوي في هذه المدّة المحدّدة.

لقد تم اختيار القرن السادس الهجري دون غيره من القرون؛ لِما يتوفر فيه من خصائص فريدة ومميزة، أهمها تنوع الفكر النحوي فيه حيث كان موزعاً على عدة أقطار في بلاد المسلمين، بدءاً ببغداد وانتهاءً بالأندلس، كما يتميز هذا القرن بما غرس من أفكار أثَّرت في علماء القرن السابع، وصنعت منهم جيل الألفيات التي استمر الاهتمام بها قروناً طويلة، زخرت بالشروح والمؤلفات العظيمة، التي ارتكز عليها علم النحو في صورته الجديدة بعد عصر سيبويه.

كما يتميز القرن السادس الهجري بما يحمل في طياته من ملامح للتجديد في النحو العربي؛ لذا كان حرياً بنا أن ندرس الفكر النحوي في هذا العصر؛ لنتعرف أسباب نهضته وسموه بعد ذلك.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال طرحها فكرة فريدة وجديدة، والتي تتمثل في تناولها فترة زمنية وجغرافية واسعة ومتنوعة، حيث تتناول هذه الدراسة الفكر النحوي في أحد أهم القرون التي كان للنحو العربي فيها شأن مهم، حيث أسس علماء القرن السادس الهجري أساساً مهماً لمن بعدهم، إذ تنوع الفكر النحوي في هذا القرن، وبرز فيه عدة معالم للتجديد، وقد ظلّت أفكار العلماء في هذا القرن نبراساً لمن بعدهم.

أسباب اختيار الموضوع

تعددت أسباب اختيار هذا الموضوع، ولعل أبرز هذه الأسباب:

1. ندرة الكتب التي تتحدث عن الفكر النحوي بشكل عام، وعن مراحل زمنية بشكل خاص.
2. المكانة المميزة لعلماء القرن السادس الهجري في رفع مكانة النحو العربي، وغرس بذور التجديد، بما قام به النحاة من شروح على الكتب السابقة، واستدراكات عليها.
3. الكشف عن المناهج والآراء الفكرية لنحاة هذا القرن.

أهداف الدراسة

تتلخص أهداف هذه الدراسة بما يأتي:

1. تقديم دراسة تحليلية تُظهر الفكر النحوي الذي ساد بين علماء القرن السادس الهجري، ومدى تأثير ذلك على من تبعهم.
2. الرغبة في تقديم خطوات عملية ومنظمة لاكتشاف الفكر النحوي لتلك المرحلة.
3. اكتشاف العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، وملاحظة أثر ذلك على الفكر النحوي عند العلماء في تلك الفترة.
4. تحديد اتجاهات نحاة القرن السادس الهجري الفكرية، وبيان ملامح التجديد في الفكر النحوي في هذا القرن، ومدى تأثير ذلك على النحو العربي من الناحية العملية.
5. العمل الجاد على وجود إضافة نوعية ومميزة للمكتبة العربية.

منهج الدراسة

هذه الدراسة المُعنونة بـ " **الفكر النحوي في القرن السادس الهجري – تطوره واتجاهاته**" تُعد دراسة وصفية تحليلية حيث تقوم الدراسة على تقديم وصف لمصادر القرن السادس الهجري النحوية ومؤلفات العلماء فيه، ثم تتبع ذلك بالتحليل والمناقشة، واستنباط ملامح الفكر النحوي من خلال إبراز مراحل تطوره والعوامل المؤثرة فيه، واتجاهات النحاة الفكرية.

حدود الدراسة الزمانية والمكانية

الحدود الزمانية للدراسة تتمثل في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، فهو محل الدراسة، حيث عليه تقوم وترتكز هذه الدراسة، ولكنها لا تقتصر عليه؛ لأنه بطبيعة الحال يؤثر ويتأثر، حيث يتأثر بالسابقين ويؤثر في اللاحقين.

أما الحدود المكانية فتتمثل في علماء القرن السادس ومؤلفاتهم، وقد تم اختيار أبرز علماء هذا القرن، وكانوا موزعين بحسب الأقطار، وهي: المشرق، والمغرب، وموزعين أيضاً بحسب الأزمنة، وهي: بداية القرن، ووسطه، وآخره، وذلك من خلال رصد عدد من أبرز علماء القرن السادس الهجري، ثمَّ اختار أبرزهم، للحديث عنهم، وعن مؤلفاتهم، وعن اتجاهاتهم النحوية.

الدراسات السابقة

هناك عددٌ من الدراسات التي تحدثت عن الفكر النحوي، ولعل أبرز هذه الدراسات:

أولاً: دراسات تقوم على تخصيص الحديث في الفكر النحوي عند شخصية نحوية واحدة:

1. أصول التفكير النحوي عند ابن ولَّاد من خلال كتابه: الانتصار لسيبويه على المبرّد. إبراهيم عسيري، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى: مكة المكرمة 1421هـ.
2. الفكر النحوي لابن مالك في كتابه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، أحمد الرواشدة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن 2007.

3. الفكر النحوي عند تمام حسان، عبد الله الدبيس، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن 2008.
4. تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري من قطر الندى إلى مغني اللبيب، مصطفى عبد الله، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009.

ثانياً: دراسات تتعلق بالفكر النحوي حتى القرن السادس:

1. النقد النحوي في فكر النحاة إلى القرن السادس الهجري، سيف الدين البرزنجي. رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة ديالي، العراق 2006 .
2. إسهامات نحاة المغرب والأندلس في تأصيل الدرس النحوي العربي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، يحياوي حفيظة، جامعة مولود معمري، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر 2011.

ثالثاً: دراسات عامة في الفكر النحوي:

1. الفكر النحوي عند العرب: أصوله ومناهجه، علي مزهر الياسري، الدار العربية للموسوعات: بيروت 2003.
2. تقويم الفكر النحوي، علي أبو المكارم. دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة 2005.
3. أصول التفكير النحوي، علي أبو المكارم. دار غريب للطباعة والنشر: القاهرة، 2007.

امتازت الدراسات السابقة بالكثير من الميّزات، وطرحت آراءً فريدة، ولكنها كانت إمَّا خاصة بشخصية نحوية، أو دراسة عامةً عن الفكر النحوي وأصوله، أمَّا دراستنا هذه فامتازت بأنَّها تختص بدراسة الفكر النحوي في قرن كامل من الزمن، من خلال رصد مراحل تطوُّره، وأبرز العوامل التي أثَّرت فيه، واتجاهات النحاة الفكرية.

خطة الدراسة

قُسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وهي كالتالي:

- **المقدمة:** نبذة عن موضوع البحث، وأسباب اختياره، والأهمية والأهداف والدراسات السابقة والمنهج المتبع في الدراسة، والحدود المكانية والزمانية للدراسة.
- **التمهيد:** فيه لمحة تاريخية عن القرن السادس الهجري، وتشتمل على الحياة السياسية والاجتماعية فيه.
- **الفصل الأول: نشأة الفكر النحوي وتطوره**

  المبحث الأول: مفهوم الفكر النحوي ونشأته

  المبحث الثاني: مراحل تطور النحو، والعوامل المؤثرة في الفكر النحوي
- **الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري**

  المبحث الأول: الفقه ومذاهبه، وأثره في الفكر النحوي

  المبحث الثاني: العقيدة والفرق العقدية، وأثرها في الفكر النحوي

  المبحث الثالث: الرحلات العلمية والتحولات السياسية وأثرهما في الفكر النحوي
- **الفصل الثالث: علماء القرن السادس الهجري في المشرق واتجاهات الفكر النحوي لديهم**

  المبحث الأول: أبرز علماء المشرق وأهم مؤلفاتهم

  المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المشرق
- **الفصل الثالث: علماء القرن السادس الهجري في المغرب العربي والأندلس واتجاهات الفكر النحوي لديهم**

  المبحث الأول: أبرز علماء المغرب العربي والأندلس وأهم مؤلفاتهم

  المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المغرب العربي والأندلس
- **الخاتمة:** وفيها رصد لأهمِّ النتائج والتوصيات
- **قائمة المصادر والمراجع**

التمهيد

التمهيد

الحياة السياسية والاجتماعية في القرن السادس الهجري

أولاً: الحياة السياسية

لم تكن الأحوال السياسية في القرن السادس الهجري مستقرة في بلاد المسلمين، حيث تميّزت بالتقلبات والتغيرات المتعاقبة، ولم تعد الخلافة العباسية كما كانت في أوائل عهدها المتميَّز بالقوة والسيطرة، فقد دبّت فيها الشيخوخة ولم تعد صاحبة النفوذ الواسع كما كانت، حيث تعرضت لعدد من النكبات والثورات التي أضعفتها وقلصت نفوذها، ويُلاحظ في هذا القرن تحول الدولة العباسية من محور المهاجم إلى محور المدافع، فبدلاً من التوسع ومواصلة الفتوحات الإسلامية أصبحت تدافع عن نفسها من غزاة الداخل.

وقبيل هذا القرن تمركزت سيطرة الخلافة العباسية على بغداد أو أجزاء منها، "فقد كانت إيران بيد بني بويه ونفس العراق أظله سلطانهم، وكانت البحرين واليمامة بيد القرامطة، وكانت الموصل وحلب بيد الحمدانيين، ومصر والشام بيد الإخشيد، والمغرب وأفريقيا بيد الفاطميين والأندلس بيد عبد الرحمن الناصر، وتعاقبت دول كثيرة على اليمن وفي أنحاء الجزيرة العربية"[1].

مع أنَّ عدداً من حكام تلك الدول أو الإمارات أعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي إلا أنَّ ذلك الولاء كان اسميًّا، فلم يكن للعباسيين وجود رسميٌّ في هذه الدول، وأصبحت مهمة الخليفة العباسي تقتصر على الإصلاح بين هذه الدول في حال نشوب خلاف بينهم، أو إعلان من يصل للحكم بأنه الحاكم.

ولعل أبرز ما يميز تلك الفترة أنه برغم تعدد الحكام إلا أنه "كان هناك دائماً شعور عام في كل مكان بأن هذه الإمارات والدول جميعاً إنما هي وطن عربي واحد، لا تُحدث فيها الانقسامات أي تقاطع علمي أو أي تنابذ أدبي، وطن تتواصل أجزاؤه ووحداته تواصل الأفراد في أسرة واحدة"[2].

---

[1] ضيف، شوقي. (1980)، *تاريخ الأدب العربي*، ط2، القاهرة: دار المعارف، (ج5/ 5).

[2] المرجع السابق، (ج5/ 6).

وفيما يلي عرض موجز للأحوال السياسية في المشرق العربي والإسلامي، والمغرب العربي والأندلس.

1. الحياة السياسية في المشرق

قبيل القرن السادس الهجري، وفي بداياته نازع العباسيين دولتان مهمتان أثرتا على الحياة السياسية في بغداد وهما الدولة البُوَيْهيّة[1]، والدولة السَّلْجُوقِيَّة[2]، أما الدولة البويهية فقد كانت نهايتها في منتصف القرن الخامس عندما استعان الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالدولة السلجوقية بزعامة طُغْرل بك حيث "كتب الخليفة إليه يستنهضه إلى المسير إلى بغداد سنة 446هـ، وأمر أن يُذكر اسم طغرل في الخطبة وعلى النقود قبل اسم الملك الرحيم[3]، ولم يلبث أن دخل بغداد وقضى على الدولة البويهية"[4].

وكانت علاقة الدولة السلجوقية مع الخلافة العباسية جيدة بعكس علاقتها مع الدولة البويهية، وإنَّ من أهم أسباب ذلك هو الاتفاق المذهبي بينهما، مما يسَّر التعاون بينهما، وكان السلاجقة يحترمون الخلفاء احتراماً عميقاً[5].

وامتدت الدولة السلجوقية وتوسعت في عهد السلطان ألب أرسلان بن جُغْرى بَك حيث وسعت حدود مملكته من الصين شرقاً إلى الشام غرباً، وقد استولى على ما بيد الفاطميين من

---

[1] (الدولة البُوَيْهيّة) دولة شيعية حكمت في العراق وفارس والري والكرج والأهواز، كان حكمها في الفترة ما بين (334-447هـ/ 945-1055م) من بلاد الديلم حاقدين على الإسلام، بدرت منهم أعمال منكرة ضد الإسلام. انظر: العسيري، أحمد. (1996)، *موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر*، ط1، (د.ن)، (ص210).

[2] (الدولة السَّلْجُوقِيَّة) حكمت في الفترة ما بين (447 - 656 هـ/1055 - 1258 م) سيطرة السلاجقة في هذه الفترة على مركز الخلافة وهم مسلمون سنيون، من قبائل الغز التركية، حكمت الدولة السلجوقيَّة في أوج ازدهارها كافَّة إيران وأفغانستان ووسط آسيا وصولاً إلى كاشغر في الشرق، فضلاً عن العراق والشام والأناضول غرباً وصولاً إلى مشارف القسطنطينية. انظر: العسيري، أحمد، *موجز التاريخ الإسلامي*، (ص211).

[3] الملك أبو نصر خسرو ابن الملك أبي كاليجار ابن الملك سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، كان خاتمة ملوك بني بويه الديلم، انتزع منه السلطان طغرلبك الملك، وأخذه، وسجنه مدة بقلعة الري، وتوفي في سنة خمسين وأربع مائة. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1985)، سير أعلام النبلاء، تح: الأرناؤوط، شعيب وآخرين، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (ج21/ 114).

[4] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج5 / 236).

[5] انظر: شلبي، أحمد. (1986)، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (ج3/ 423).

البلاد حتى دمشق، وظلت دولة السلاجقة قوية ومتماسكة حتى وفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ، وبوفاته انتهى عصر السلاجقة العظام، وأخذ البيت السلجوقي يضعف لصغر السلاطين الذين كانوا يعتلون العرش وهم أحداث[1].

بعد نهاية عصر السلاجقة العظام بدأت العلاقة تتغير بين الخلافة العباسية والدولة السلجوقية، وانتهت بهيمنة السلجوقيون على بغداد وقتل الأمراء والحكام العباسيين، وبعد هذا الصعود الملحوظ للدولة السلجوقية أخذت تضعف رويداً رويداً، ولم تعد تسيطر على بغداد كما في السابق، "وقد حاول محمد شاه بن محمود السلجوقي في سنة 552هـ الاستيلاء على بغداد غير أنه أُرغم على فكِّ الحصار، أرغمه الخليفة المُقْتَفى وجنوده، ولم يستطع السلاجقة بعد ذلك العودة إلى بغداد، بل انحازوا إلى همذان حيث توالى فيهم سلاطينهم إلى حين، وعاد إلى بغداد وما يتبعها من البلدان جنوبي الموصل استقلالها، ورُدَّت إلى الخلفاء حرياتهم وسلطانهم، وللمقتفى الفضل في عودة صولجان الحكم إلى يد العباسيين"[2].

وظلَّ الخلفاء العباسيون في سدة الحكم – الفعلي في بغداد أو الاسمي في عدة بلاد – حتى الغزو التتاري سنة 656هـ حيث أُسقطت الخلافة العباسية وقتل الخليفة، عندما "دخل التتار بغداد وظلوا يُعملون السيف في أهلها أربعة وثلاثين يوماً، حتى بلغ القتلى نحو ثمانمائة ألف، وخربت بغداد خراباً لا حدَّ له، وأحرقت بها كتب العلم والأدب"[3].

أمَّا البيئة الثانية من المشرق فكانت مصر والشام وفيها تتابع الحكام على اختلاف أنواعهم على حكم مصر والشام، وأبرز من تولى الحكم في مصر والشام هم السلاجقة والصليبيون والفاطميون والأيوبيون.

أمَّا الشام فحكمها السلاجقة إبان حكمهم لبغداد، وكان حكم السلاجقة حتى عصر السلطان ملكشاة قويًّا متماسكاً عادلاً، أما بعد وفاته فقد ضعفت وبدأت تتفكك، وخاصة منذ أواخر القرن الخامس الهجري وحتى منتصف القرن السادس الهجري، حيث انتشر الظلم بين

---

[1] انظر: شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج3/ 418–419).

[2] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج5/ 239–240)، وانظر: شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج3/ 427).

[3] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج5 / 241).

الحكام، واجتمعت عدة عوامل أخرى أعدَّت إلى إضعاف السلاجقة بعض هذه العوامل خارجية كالحروب الصليبية، وبعضها داخلية كثورة الإسماعيلية[1].

فبعد وفاة دُقاق وهو أحد الحكام السلاجقة سنة 497هـ خلفه أتابكه (طُغْتِكين) وأسس في مدينة حلب دولة البوريين، وكانت له معارك كثيرة ضد الصليبيين، وكان شجاعاً عادلاً في الرعية، توفي سنة 522هـ، فخلفه ابنه بورى ولكنه لم يكن مثل أبيه، فقام بقتل جماعة كثيرة من الإسماعيلية، فخططوا للانتقام منه، فأرسلوا رجلين منهم ضرباه بالسكاكين، وظلت جراحه تنتقض وتندمل حتى وفاته سنة 526هـ، واستغل الصليبيون ضعف البلدان الإسلامية وانشغالها إمَّا في الملذّات، أو في الدفاع عن مناصبها، فهجم الصليبيون على هذه الدول وأنشأوا فيها أربع إمارات، حيث حاصروا أنطاكية سنة 491هـ، واستولوا عليها سنة 492 مؤسسين فيها إمارة لهم، واستولوا على الرُّها سنة 491هـ وأسسوا فيها إمارة ثانية لهم، واجتاز الصليبيون جبال النصرية محاذين الساحل واستولوا سنة 492هـ على بيت المقدس وجعلوها إمارة ثالثة، وعيَّنوا جود فرى رئيساً لها، ولم يلبث أن رقى عرشها بعده بلدوين الأول، وعهدوا إلى الكونت ريموند دي تولوز حصار طرابلس والاستيلاء عليها، وظلت تقاومه سنين عددا حتى سقطت سنة 502هـ، واتخذوا منها إمارة رابعة لهم، وأخذ بلدوين في نفس السنة ينشط في غزو مدن الساحل: عكا وقيسارية وصيداء وبيروت وقاومته مقاومة صلبة، ثمَّ خلفه أخوه بلدوين الثاني الذي استولى على صور سنة 518هـ، ولم يفلح في الاستيلاء على دمشق، وظلت أيدي الصليبيين أقصر من أن تصل إلى بلدان الشام الداخلية مثل: بعلبك ودمشق وحماة وحلب[2].

أما فترة حكم الدولة الفاطمية فهي من أهم الفترات التي شهدها القرن السادس الهجري وما قبله، وكانت هذه الدولة قد تأسست في تونس وتحولت إلى مصر بعد فتح قائدها جوهر لها سنة 358هـ، ولم يلبث أن أرسل إلى الشام جعفر بن فلاح على رأس جيش للاستيلاء عليها، ولم يلق مقاومة تذكر، ودخل دمشق وخطب بها للمعزِّ الخليفة الفاطمي في المحرم سنة 359هـ

---

[1] انظر: شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج3/ 427).

[2] انظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6/ 26-27).

وظل الفاطميون مسيطرين على الشام نحو قرن، قلما وجدت فيه أمناً وسلاماً بسبب كثرة الولاة الذين كانوا يولونهم عليها[1].

لم تعد الدولة الفاطمية بتلك القوة والسيطرة التي اتسمت بها خلال العصر الفاطمي الأول والذي استمر حتى منتصف القرن الخامس الهجري، وقبيل مطلع القرن السادس الهجري بدأ العصر الفاطمي الثاني، إذ أصبحت الدولة الفاطمية تعاني كثيراً بسبب الحكم الوراثي، ويُسمي المؤرخون هذه الفترة بعصر نفوذ الوزراء، وقد تولى الحكم ستة من الخلفاء الفاطميين، مع وزرائهم، وهم: الخليفة الأول: المستعلي بن المستنصر (487–495هـ)، والخليفة الثاني: الآمر بن المستعلي (495–524هـ) وكان الأفضل بن بدر الجمالي وزيراً لهما، والخليفة الثالث: الحافظ بن محمد بن المستنصر (524–544هـ)، وكان لديه عدد من الوزراء، أبرزهم: ابناه الحسن، وسليمان، وأبو المظفر بهرام، والخليفة الرابع: الظافر بن الحافظ (544–549هـ)، ووزراؤه: سليمان بن محمد بن مصال، وعلي بن السلار، والعباس بن أبي الفتوح، والخليفة الخامس: الفائز بن المظفر (549–555هـ)، وكان طلائع بن رزيك وزيراً له، والخليفة السادس: العاضد بن يوسف بن الحافظ (555–567هـ)، ووزراؤه: رزيك بن طلائع، وشاور بن مجير بن نزار، وضرغام بن عامر اللخمي، وشيركوه، وكان هذا الخليفة آخر خلفاء الدولة الفاطمية[2].

كان شاور وضرغام آخر الوزراء في عصر نفوذ الوزراء في الدولة الفاطمية، وكان شاور ذا نفوذ في الصعيد، وضرغام من المغاربة، "وقد رأى [ضرغام] كبرياء شاور وطغيان أولاده، فثار عليه وخلعه وأرغمه على الهرب، ولكن شاور ذهب يستنجد بنور الدين، ويحثه على فتح مصر، فاستنجد ضرغام بالصليبيين"[3].

---

[1] انظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6/ 204).

[2] انظر: شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 154–156)، وضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج7/ 25–26).

[3] شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 162)، وانظر: سيد، أيمن فؤاد. (1992)، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (ص222).

ومنذ هذه اللحظة أصبحت مصر مسرحاً للمعارك التي دارت بين جيش نور الدين زنكي من جهة، والفاطميين والصليبيين من جهة ثانية، وكان جيش نور الدين بقيادة شيركوه وصلاح الدين الأيوبي، "وبلغت حملات نور الدين ثلاثاً، في الحملة الأولى قتل ضرغام، وفي الثالثة قتل شاور، وتقلد أسد الدين شيركوه وزارة العاضد، ولكنه مات سريعاً فتولى صلاح الدين الأيوبي هذه الوزارة، وأعاد البلاد إلى الأمن والهدوء، ثم قطع اسم الخليفة [الفاطمي العاضد] من الخطبة ودعا للخليفة العباسي [المستضيء بأمر الله]"[1].

يُعد عصر الدولة الأيّوبية الأبرز في القرن السادس الهجري، لما كان له أثر مهم على كافة مناحي الحياة في مصر والشام، حيث استقرت أمور الحكم وشؤون الدولة في مصر بيد صلاح الدين سنة 567 للهجرة، فعاد بمصر إلى الخلافة العباسية، وكانت هذه السنة "الخطوة الحاسمة في القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر، عندما أسقط صلاح الدين خطبة الفاطميين، وأمر الخطباء بالدعوة للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ... وأصبح يُخطب باسم صلاح الدين على منابر مصر بعد الخليفة العباسي، والملك العادل نور الدين"[2].

لم يقطع صلاح الدين "حبل الودّ مع نور الدين بل ظل يذكر اسمه في الخطبة، وينقشه على السكة، ويسترضيه بالهدايا والتحف النفيسة"،[3] ولكن هذه العلاقة الحميمة تعرضت لبعض التوترات، إذ "أُشيع أن نور الدين سيقدم على مصر ليستردها من قائده المتمرد"،[4] حينها جمع صلاح الدين مستشاريه وأهله حتى يستشيرهم في الأمر، فمنهم من طالبوه بمنع نور الدين من دخول مصر وقتاله، ولكنّ "نجم الدين أيوب –والد صلاح الدين– صاح فيهم منكراً ذلك، واستعظم هذا القول، وقال: لو حضر نور الدين لترجلنا له وقبَّلنا الأرض بين يديه، ولو أمرني أن أضرب عنق ابني لفعلت، وهذه البلاد لنور الدين، ولو أراد عزل صلاح الدين لسمعنا له

---

[1] انظر: شلبي، أحمد، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 162)، وسيد، أيمن فؤاد، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*. (223–228)، وحسن، حسن إبراهيم. (1932)، *الفاطميون في مصر: وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص*، القاهرة: المطبعة الأميرية، (301–308).

[2] سيد، أيمن فؤاد، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*. (239–240)، وانظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6/ 29).

[3] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 194).

[4] المرجع السابق، (ج5/ 194).

لأطعناه"[1]، فاستمع صلاح الدين لرأي أبيه، وقبل أن يرسل رسالة فيها: "بلغني أنك تريد التحرك لتسترد مصر مني، فأي حاجة إلى هذا؟ يرسل المولى مندوباً يضع في رقبتي منديلاً ويأخذني إليك، فما هنا من يتمنع عليك"[2]، وعندما وصلت الرسالة لنور الدين تحسنت العلاقة وهدأت الأحوال، وظلَّ صلاح الدين حاكماً لمصر، ظلَّ صلاح الدين يرسل تحف القصر الفاطمي إلى نور الدين إعلاناً عن ولائه وتبعيته له[3]، ولكنّ هذه الفترة لم تكن طويلة حيث توفي نور الدين سنة 569هـ، وبعد وفاته تعرضت الدولة الزنكية إلى عدة اضطرابات، وعدم استقرار؛ وذلك لأن "ابنه إسماعيل الذي نودي له بالسلطان بعده كان في الحادية عشرة من عمره"[4].

استمرت الدولة الزنكية في اضطراب وذلك بسبب تنازع الوزراء والولاة، فكانت المشورة من الخليفة العباسي ومستشاري صلاح الدين بأن يزحف نحو الشام، "فزحف صلاح الدين سنة 570هـ بعد أن هادن الفرنجة، وخاض في الشام بعض المعارك كُتب له في نهايتها النصر المؤزر، ودانت له بلاد الشام فيما بين 570 و 572هـ، وامتد نفوذه إلى الموصل، ثم استولى على حلب سنة 579هـ بعد وفاة إسماعيل بن نور الدين"[5].

توسع سلطان صلاح الدين ليشمل مصر والشام، عدا بعض المناطق التي يسيطر عليها الصليبيون، فخاض بعد ذلك عدداً من الحروب معهم، فانتصر عليهم وأخرجهم من الكثير من البلاد الإسلامية وعلى رأسها بيت المقدس.

---

[1] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5 / 195).

[2] المرجع السابق، (ج5/ 195).

[3] انظر: الصلابي، علي. (2008)، *صلاح الدين الأيوبي: وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ط2، بيروت: دار المعرفة، (ص218).

[4] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 196)، وانظر: الصلابي، علي. *صلاح الدين الأيوبي: وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، (ص416).

[5] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج5/ 197).

2. الحياة السياسية في الأندلس والمغرب العربي

شهد الربع الأول من القرن الخامس الهجري نهاية الحكم الأموي في الأندلس، وتفتت الأندلس إلى إمارات متعددة، عندها استغل المسيحيون في شمال الأندلس هذه الفرصة حيث كان "ألفونس السادس ملك قشتالة وليون قد أفاد أعظم ما تكون الإفادة من ضعف ملوك الطوائف في الأندلس، فبعد سقوط طليطلة استشعر المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية أنَّ الخطر يتعهده مباشرة،"[1] فاتفق مع صاحبي بطليوس وغرناطة على طلب المساعدة من دولة المرابطين في المغرب العربي، فاتفقوا على أن يستغيثوا بيوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين في المغرب، وأرسلوا إليه نفراً من قضاة مدنهم الكبرى يستنفرونه للوقوف معهم في وجه أعدائهم الشماليين من المسيحيين، وكان المرابطون قد نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام بالصحراء الكبرى والسنغال، واستمع ابن تاشفين إلى القضاة وهاله الأمر، فجهز سريعاً جيشاً جراراً، وانطلق بجيشه إلى الأندلس محارباً للنصارى، وانتصر عليهم، ثم عاد إلى المغرب بعد أن كسر شوكة الأعداء، فاستغل النصارى عودته وأعادوا الإغارة على شرقي الأندلس، وعلم ابن تاشفين فجاز إلى الأندلس جوازه الثاني سنة 481هـ، وكاد ينزل بألنوفس ما أنزله به في الزلاقة، غير أنَّ الشتاء دخل، فعاد إلى المغرب بعد أن ترك في الأندلس حاميه[2].

ثم عاد الشقاق والنزاع مرة أخرى بين أمراء الطوائف في الأندلس، فجاز يوسف إلى الأندلس مرة ثالثة سنة 483هـ مصمماً على إنهاء حكم هؤلاء الأمراء، واستسلم له سريعاً أمير غرناطة، عاد بعد ذلك ابن تاشفين إلى المغرب تاركاً لصهره سير بن أبي بكر مواصلة المشوار، وكانت أغلب الإمارات الأندلسية تستسلم لحكم دولة المرابطين، ومن أبى ذلك من الحكام أخذ أسيراً أو قتل، وبذلك أظل حكم ابن تاشفين الأندلس ما عدا سرقسطة، فإنَّه تركها لبني هود لتكون حاجزاً بين الأندلس ونصارى الشمال، وعبر ابن تاشفين إلى الأندلس مرة رابعة سنة 490هـ؛ لأخذ البيعة لابنه علي، وتوفي سنة 500 للهجرة[3].

---

[1] بروكلمان، كارل. (1968)، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، (ص320).

[2] انظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج8/ 39-40).

[3] انظر: المرجع السابق، (ص40).

كانت وفاة يوسف بن تاشفين في مطلع القرن السادس الهجري، وخلفه بعد ذلك ابنه علي، الذي سار على خطى أبيه، واتسع في عهده حكم دولة المرابطين، واشتبك مع النصارى في عدد من المواقع، وانتصر في أغلبها، "وتوفي علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة 537هـ، وخلفه ابنه تاشفين، وكان ضعيفاً، مما آذن بنهاية تلك الدولة"[1].

لم تكن الصفات البطولية التي امتاز بها المرابطون متوفرة لدى الجيل الجديد، الذي مال "إلى لين العيش ولذائذ الحياة، فضعف أمرهم وبدأ الانحلال في دولتهم، وما إن دنت سنة 540هـ حتى انتهى حكم المرابطين في شمالي إفريقية والأندلس، وعادت الأندلس إلى الإمارات والطوائف"[2]، و"نشأت في الأندلس بعد سقوط المرابطين عدة دويلات صغيرة كانت أعجز من أن تقاوم النصارى وتوقف تقدمهم"[3].

ولكنَّ هذه الفترة لم تكن طويلة مقارنة بعصر الملوك والطوائف الذين حكموا الأندلس بعد سقوط الأمويين، وتمَّ "خضوع الأندلس للقوة الجديدة التي ورثت ملك المرابطين في إفريقية، وهي قوة الموحدين"[4].

ويعدُّ ابن تومرت أول من أنشأ دولة الموحدين، حيث نظّم في المغرب ثورة واسعة ضد المرابطين، "وتبعه خلق كثيرون، وجعلهم طبقات: الطبقة الأولى سماها الجماعة، وسمى الطبقة الثانية باسم الموحدين [أو المؤمنين] وألّف منهم جيشاً ضخماً واقع به المرابطين سنة 524هـ"[5].

وكان ابن تومرت يقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون بقوله (ﷺ): (لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى

---

[1] ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي*، (ج8/ 40).

[2] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج4/ 11).

[3] بروكلمان، كارل. *تاريخ الشعوب الإسلامية*، (ص326).

[4] شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج4/ 119).

[5] ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي*، (ج8/ 42)، وانظر: المراكشي، عبد الواحد بن علي. (2006)، *المُعجب في تلخيص أخبار المغرب: من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، تح: الهواري، صلاح الدين، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، (ص141).

يأتي أمر الله)[1]، وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم، ويقتل الدجال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى ابن مريم، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة، وكان يوهمهم بأنَّه يعلم الكثير من الغيبيات التي لا يعرفوها، فزادت فتنة القوم به، وأظهروا له شدة الطاعة[2].

لم تكن فترة ابن تومرت طويلة إذ "توفي سريعاً فخلفه عبد المؤمن بن علي حتى وفاته سنة 558 للهجرة، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة إذ استطاع القضاء نهائياً على دولة المرابطين، وتبعه المغرب من طرابلس إلى المحيط،"[3].

رأى الموحدون أن يرثوا ملك المرابطين بالأندلس كما ورثوه في إفريقية فبدؤوا حملاتهم لذلك، وتم لهم النصر بعد عدة جولات، وخلال حكم الموحدين للأندلس اشتبكوا مع المسيحيين في عدة معارك، ومن أهم المعارك التي حقق فيها الموحدون انتصاراً عظيماً ضد المسيحيين معركة (الأرك) سنة 591هـ[4].

وظلَّ المغرب العربي والأندلس تحت حكم الموحدين حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري، حيث انهار حكمهم في الأندلس، وبدأ يتآكل في المغرب.

ثانياً: الحياة الاجتماعية

امتاز التكوين الاجتماعي في البلاد الإسلامية خلال القرن السادس الهجري بوجود ثلاث طبقات أساسية: عليا، ووسطى، ودنيا.

وفيما يلي عرض موجز لأهم الأحوال الاجتماعية التي كانت خلال القرن السادس الهجري.

1. الحياة الاجتماعية في المشرق

طرأ على الطبقات الاجتماعية في العصر العباسي الثاني، والذي يبدأ من منتصف القرن الثالث الهجري، وحتى سقوط الخلافة العباسية في منتصف القرن السابع الهجري، عددٌ

---

[1] يُلاحظ هنا أن ابن تومرت قد حرَّف الحديث النبوي، فأضاف إلى نصه ما يرى أنَّه يخدم فكرته.

[2] انظر: المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، (ص141).

[3] ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي*، (ج8/ 42).

[4] انظر: شلبي، أحمد. *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، (ج4/ 120).

من التغيرات التي كانت سادت في القرون الأولى للعصر العباسي، وامتدَّ على التغير إلى أن وصل للفئة الحاكمة، "وأصبح النفوذ الفارسي هو الغالب في المجتمع العباسي، كما كان للاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي انتابت الدولة العباسية في أواخر عصرها، كما كان للاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي انتابت الدولة العباسية في أواخر عصرها، وخضوع الخليفة العباسي لسيطرة كلٍّ من البويهيين ومن ثم السلاجقة من بعدهم كان له أثر كبير في تكوين الفئة الحاكمة نفسها والتي تمتلك زمام الأمر في الدولة، فأصبح لها تكوين جديد يخالف تكوين الفئة الحاكمة في العصور العباسية الأولى"[1].

أمَّا عن تقسيم المجتمع إلى طبقات، فقد كانت على هذا النحو: "طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يحق لهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي الأيسار، وطبقة وسطى تشتمل على رجال الدولة وموظفي الدواوين والتجار والصنّاع الممتازين، ثم طبقة دنيا تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم الرقيق، ويأتي إثر تلك الطبقات أهل الذمَّة"[2].

أمَّا أصحاب الطبقة الأولى فقد كانوا يغرقون في النعيم، وعلى رأسهم الخلفاء الذين كانت تُجبى لهم الأموال، وكان ذلك يظهر جليًّا في عدد من المظاهر التي تخصهم وخاصة في القصور، وقد تبارى بعض الخلفاء في بناء القصور، وكانت دار الخلافة وقصورها أشبه بمدينة كاملة، وكان فيها فلاحون وأكرة للعمل، ومساجد وحمامات تفوق الحصر، وكانت دار الخلافة تشتمل على بساتين وجداول متصلة بدجلة، وقباب شتى وأروقة وبرك مياه جارية، وامتدَّ هذا النعيم إلى أعوان الخلفاء من الوزراء وغيرهم، فقد كان الوزراء يعيشون في هذا النعيم نفسه، لما كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة وإقطاعات، وما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة[3].

"وكان أبناء البيت العباسي يتقاضون من الدولة رواتب ثابتة، ومثلهم العلويون والهاشميون بصفة عامة، وكثيرون منهم كانوا يتولون مناصب هامة، وكان لهم دائماً من يحجُّ

---

[1] الراجحي، جيهان سعيد. (2006)، *الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد* (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة الكرمة، (ص16)

[2] ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي*، (ج4/ 53).

[3] انظر: المرجع السابق، (ج4/ 56).

بالناس من كل عام... وأعان ذلك كله على اتساع الطبقة الأرستقراطية وأن تنشأ أجيال من أبنائها غارقة في الدعة والنعيم، وفي مقدِّمتهم أبناء الخلفاء والوزراء والقواد والأمراء، وبالمثل أبناء كبار الكتّاب"[1].

أمَّا فيما يخصُّ الطبقة الوسطى، فقد ضمت الكثير ضمن جنباتها، وفي مقدمتهم علماء العربية والفقه والتفسير والحديث، وكان أغلبهم يتقاضون رواتب من الدولة، وكان منهم معلمون يختلف إليهم الناشئة، وكانوا يدفعون إليهم أجوراً قليلة، حتى لقد تكون رغيفاً من الخبز أحياناً، وكان من الآباء من يدفع أجر أولاده دراهم معدودة، أمَّا من يُعلم أولاد الطبقة العليا تنهال عليه الهبات، ويقدَّرُ له راتب مميز، كما يدخل في هذه الطبقة أيضاً الشعراء والمغنون، وكانت تتدفق عليهم الأموال والهبات، ومنهم من أصبح من الطبقة العليا، ويدخل في هذه الطبقة أوساط الصناع وخاصة من كانوا يقومون على أثاث المساكن والأزياء والطعام، ويدخل في الأثاث صناعة البسط والسجاجيد والنمارق والمقاعد والتخوت والوسائد[2].

أمّا الطبقة الدنيا وهي طبقة العامة من الرعية، "وهي التي كان يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة وفي الصناعات الصغيرة، وفي خدمة أرباب القصور، فهي التي تعمل في الإقطاعات والضياع، وهي التي تقوم على تقديم أسباب الحياتين للطبقتين الوسطى والعليا، عاملة تارة أو صانعة أو خادمة تارة ثانية"[3].

ولعل هذا التمايز الطبقي بين فئات المجتمع أدّى إلى عدد من الفتن والثورات في العصر العباسي؛ وذلك لأن هذا البذخ والإسراف غير المحدود كان على حساب الطبقة العامة من الناس، والتي كانت تحيا حياة بؤس وشقاء؛ لينعم الخلفاء والوزراء ومن والاهم من رجال الدولة وأمراء البيت العبّاسي[4].

---

[1] ضيف، شوقي. *تاريخ الأدب العربي* (ج4/ 59).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج4/ 60-61).

[3] المرجع السابق، (ج4 / 56).

[4] انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (2004)، مقدمة ابن خلدون، تح: الدرويش، عبد الله محمد، ط1، دمشق: دار يعرب، (ج1/ ص444).

ولو تتبعنا بعض الثورات التي حدثت في العصر العباسي نجد أنَّ بعض قادتها استغلوا التمايز الطبقي؛ ليكسب تأييد الطبقات الدنيا من الشعب، فهذه ثورة الزنج الذين كادوا يدمرون الدولة، "وما كادت تُخمد حتى هبَّت ثورة القرامطة، وعنَّفت بالدولة هي الأخرى عنفاً شديداً، وشاعت معها فكرة المهدي المنتظر الذي ينشر العدالة بين الناس في الأرض، ولو أنَّ دعوة القرامطة وُجِّهت توجيهاً سليماً على أساس العدالة التي لا تصلح حياة الناس بدونها، وبيان فساد الحكم العباسي حينئذ وما داخله من جور وعنف لنجحت إلى أقصى حدٍّ، ولكنها وُجِّهت توجيهاً خاطئاً على أساس دعوة باطنية، حتى لكأنها محي منها مقصد الإصلاح الاجتماعي؛ ولذلك أخفقت إخفاقاً ذريعاً"[1].

وهناك طبقة اجتماعية أخرى كانت في ذلك العصر، وهي طبقة أهل الذمة، فقد كان هناك عدد كبير من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة، "وكانوا يسمون أهل الذمة، إشارة إلى أنهم في ذمة الإسلام وعهده ورعايته وما وضعه من مبادئ التسامح الرائع، فإذا هم يصانون ويُحرسون ويُحرس نساؤهم وأسرهم، حتى ليصبح لكل أهل ملة منهم كيانهم الخاص، فلهم معابدهم ولهم رؤساؤهم الدينيون: النصارى مثلاً الجاثليق والبطرك، ولهم محاكمهم الخاصة التي تفصل بينهم في خصوماتهم، تسامح لم يعرفه دين ولم تعرفه أمة قبل الإسلام، فلا ظلم ولا جور، بل عدالة مطلقة تعمهم وحماية بدون حدود، وليس عليهم للدولة إلا ضريبة مالية محدودة هي الجزية التي لم يكن يدفعها إلا القادر على حمل السلاح، أما المريض بعلة لا بَرْءَ منها وذوو العاهات والأطفال والنساء والشيوخ ورجال الدين في كل ملة فلا يؤدون شيئاً"[2].

هكذا كانت معاملة الحكام لأهل الذمة، أمَّا معاملة أهل بغداد من المسلمين فقد عاملوهم معاملة حسنة، وكانت العلاقة بينهما مليئة بالاحترام والتقدير، وأثناء حملة المغول الشرسة على

---

[1] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج4 / 62-63).

[2] المرجع السابق، (ج4 / 64)، وانظر: الراجحي، جيهان سعيد، *الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد*، (ص212-213)

بغداد، كان أهل الذمة يحمون المسلمين، ويسمحون لهم باللجوء إلى منازلهم، أو يضعوا منهم من يحرس منازل المسلمين[1].

أمَّا الحياة الاجتماعية في الشام فقد امتازت بتنوع الأجناس واختلاطها، وذلك بسبب الموقع الجغرافي المميز لها، وحين دخل العرب الشام وجدوا فيها أخلاطاً من أجناس شتى؛ لموقعها على أبواب آسيا الغربية، وفي قلب الشرق القديم، ولكثرة من نزلوها من الكنعانيين الفينيقيين ومن الفلسطينيين الأوروبيين القدماء، وكثرة المهاجرين إليها من البابليين والكلدانيين والحيثيين والآشوريين والآراميين والعبرانيين واليونانيين والرومانيين، ومن العرب أنفسهم الغساسنة، وغير الغساسنة، وتتميز البيئة الجغرافية للشام بأنها كثيرة الأنهار والوديان والزروع، وتنتج العنب والفواكه وصنوف النُّقْل من فستق وغير فستق، وعُني أهلها بالصناعات، مثل: صناعات الخزف الملون، والخشب المحفور أثاثاً وغير أثاث، والمعادن والأسلحة سيوفاً وغير سيوف، والزجاج الملون والقاشاني، ونقش الفولاذ بالذهب والفضة ونقش الأقمشة والعمارة[2].

هكذا كانت أحوال الحياة الاجتماعية في الشام إبان الحكم العباسي، وظلّت على هذا الحال حتى أواخر الحكم العثماني.

أمَّا عن طبقات المجتمع، فإن "المجتمع الشامي في دمشق وغير دمشق يتألف من ثلاث طبقات: عليا ووسطى ودنيا، والطبقة الأولى تشمل الحكام وكبار الموظفين في الدواوين وأصحاب الثراء من التجار والإقطاعيين، وتشمل الطبقة الوسطى العلماء وأوساط الزرَّاع والتجار والصناع، أما الطبقة الدنيا فهي طبقة العامة من صغار الفلاحين والعمال، وكان يتبع هذه الطبقة الرقيق الذي يؤسر في الحروب أو يبيعه النخاسون، وكان أخلاقاً من البيزنطيين والأوروبيين والأفريقيين"[3].

وظلت هذه الطبقات طوال فترات الحكم الإسلامي، ولم تتغير بتغير النظام السياسي.

---

[1] الراجحي، جيهان سعيد، *الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد*،(ص213-214).

[2] انظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6 / 37).

[3] المرجع السابق، (ج6 / 39).

تعد الضرائب من أكثر الأشياء التي أرهقت أهل الشام، ففي بداية الحكم العباسي شُدِّد عليهم في استخراج الأموال، أمَّا عندما "ضمّها ابن طولون إلى دولته في مصر أخذت تنتعش وخاصة في عهد خمارويه لكثرة ما كان يُجرى على الناس في رعيته بمصر والشام من الأموال، ولما كان ينفقه على جيشه بها من الأرزاق، وقد بنى بالقرب من دمشق قصراً فخماً، وعُني الإخديش بالشام، كما عُني بها كافور، وكانا يكثران من الخلع والهبات على أهلها، وكانت حلب والثغور بيد الحمدانيين وفرضوا فيها ضرائب ثقيلة"[1].

أمّا عن الضرائب في فترة حكم الفاطميين للشام، فقد "زادت واضطربت تبعاً لكثرة الولاة الفاطميين، وعمل كل منهم على جمع ما يستطيع من الأموال لنفسه، فكانت تدخل على الضرائب والجبايات زيادات ترهق الشعب الشامي إرهاقاً شديداً"[2].

وتغير هذا الحال في أوائل فترة حكم السلاجقة، حيث قلت الضرائب، ولكنها زادت استثنائياً بسبب الحروب الصليبية، واستمر الحال هكذا حتى إذا نهض عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، وحين حكم أجزاء كبيرة من الشام كدمشق وحماة وبعلبك وغيرها من المدن الشمالية أبطل كل ما كان بها من الضرائب الاستثنائية على الأسواق وما يباع فيها من الفواكه والبقول والحلوى والغنم والجبن واللبن، وكذلك صلاح الدين الأيوبي فقد سار على ذات الطريق التي سارها نور الدين من قبله، فألغى جميع المكوس والمغارم من ديار الشام ، وسامح الناس في ديون كثيرة كانت عليهم، ووزع في عماله منشوراً جاء فيه: إنَّ أشقى الأمراء من سمَّن كيسه، وأهزل الخلق، وأبعدهم من الله من اخذ الباطل من الناس وسمّاه الحق[3].

واهتمَّ صلاح الدين الأيوبي بالزراعة والتجارة؛ وذلك ليجنِّب البلاد ويلات المجاعات التي سببتها الحروب، واعتنى بوسائل الري، وتعاونت مصر والشام في تبادل المحاصيل الزراعية وتعزيز المصالح الاقتصادية[4].

---

[1] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6/ 40).

[2] المرجع السابق، (ج6/ 40).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج6/ 39).

[4] انظر: الصلابي، علي، *صلاح الدين الأيوبي: وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، (ص343).

وظلَّت أحوال الناس في الشام هكذا طوال القرن السادس الهجري، فبرغم الحروب الشديدة التي نشبت مع الصليبيين إلا أنَّ الحكام الأيوبيين لم يفرضوا المزيد من الضرائب، بل حتى إنَّ الحرب لم تمنع التجارة المتبادلة بين تجار المسلمين وتجار النصارى، "وقد يكون من المفارقات أن نعرف أنه على الرغم من الحروب التي كانت متصلة بين أهل الشام وحملة الصليب، نشطت التجارة بينهما نشاطاً واسعاً، فتجار المسلمين ينزلون بلادهم وحصونهم وبالمثل ينزل حملة الصليب بلاد المسلمين حاملين لسلعهم ومشترين سلعاً جديدة، وكأن الحرب شيء والتجارة شيء آخر"[1].

وكما في الشام نجد في مصر ذات الطبقات الاجتماعية الثلاثة: العليا، والوسطى، والدنيا، "وتشمل الطبقة الأولى الوالي وصاحب الخراج والقاضي وكبار أصحاب المناصب وقواد الجند ومعهم الأشراف من بيتي العباسيين والعلويين وكبار التجار، والطبقة الوسطى تشمل العماء والجند وأوساط الزراع وأصحاب الملكيات الصغيرة، والقائمين على الصناعات، اما الطبقة الدنيا فتشمل الفلاحين والصناع الصغار وصغار التجار، وبجوار هذه الطبقات كان هناك رقيق يجلب من إفريقية ومن بيزنطة وأرمينية وثغور البحر المتوسط، وكان الكثير منه يُحرَّر ويصل إلى أرفع المناصب"[2].

"وعندما وصل الفاطميون إلى مصر كان السكان المصريون أو المواطنون الأصليون من القبط ومن أهل السنة، وقد صحب الفاطميين عناصر متعددة استعانوا بهم في توطيد سيطرتهم ومد نفوذهم، كان أسبقهم العنصر المغربي متمثلاً في الكُتاميين والزُّوَيليين والصِّنْهاجيين والباطليين والبَرْقيين بالإضافة إلى عنصري الروم والصَّقالبة، وهؤلاء هم الذين قدموا مع جيش جوهر، ثم مع الخليفة المُعز إلى مصر"[3].

---

[1] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج6/ 41).

[2] المرجع السابق، (ج7/ 44).

[3] سيد، أيمن فؤاد، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*، (365).

وكانت القاهرة في ذلك الوقت مدينة خاصة بالخليفة وأعوانه، أمَّا "الفسطاط فقد كانت قبل العصر الفاطمي وطوال العصر الفاطمي المركز الاقتصادي النشيد لمصر، فكان يقطنها التجار والباعة وأصحاب المعايش"[1].

ويعد الأقباط واليهود عنصرين هامين في مصر في تلك الحقبة من الزمن، حيث "استفادوا من روح التسامح التي سادت في العصر الفاطمي، كما استغل الفاطميون مهارة الأقباط في الصناعة والشؤون المالية، وأسندوا إليهم عدداً من المناصب الهامة، وكذلك فعلوا مع اليهود، ولا شك في أنَّ موقف الفاطميين المحابي للأقباط نابع من عدم ثقتهم برعاياهم المسلمين السنيين"[2]، وقد أدى هذا الموقف إلى حدوث بعض التوترات بين المسلمين السنة وأهل الذمة.

ونجد إبان العهد الفاطمي شكلاً مميزاً وبارزاً للأحوال الاجتماعية في مصر حيث توسَّع الفاطميون بالأعياد الإسلامية ومن أبرزها: موسم رأس السنة، ويوم عاشوراء، ومولد النبي(ﷺ)، مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب وليلة نصفه، وليلة أول شعبان ولية نصفه، وموسم عيد الأضحى، وعيد الغدير الذي يؤمن فيه الشيعة بأن الرسول (ﷺ) عهد فيه بالخلافة إلى علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، وموسم كسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، وعيد النيروز، وغيرها الكثير من الأعياد التي كان يحتفل بها الفاطميون طوال العام، وقام الفاطميون بفرض الكثير من الضرائب على مصر أثناء حكمهم، وعندما انتقل الحكم إلى صلاح الدين الأيوبي، تحولت مصر إلى ثكنة عسكرية ضخمة، وسرعان ما أخذت تباشير النصر على الصليبيين تلوح، بل سرعان ما تهاوت قلاعهم تحت أقدام المصريين، وتهاوى معها بيت المقدس، ورُدَّت الديار إلى أصحابها إلا قليلاً، وكان المفروض أن يُثقل صلاح الدين كواهل المصريين بالضرائب الباهظة من أجل السلاح والإنفاق على جيشه، غير أنَّ الذي حصل كان عكس ذلك تماماً، فقد خفَّت الضرائب عن المصريين ورفع عنهم أكثر المكوس إن لم يكن كلها[3].

---

[1] سيد، أيمن فؤاد، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*، (366).

[2] المرجع السابق، (ص368).

[3] انظر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج7/ 51-52).

واعتنى صلاح الدين بالتجارة عناية كبيرة، وجعل من مصر حلقة وصل بين الشرق والغرب، وقد أدَّى ذلك إلى انتعاش كبير في مصر والشام، ووصل هذا الانتعاش إلى مدن أوروبية كانت تتبادل التجارة مع مصر[1].

كما "عُني صلاح الدين ببناء القلعة، وبناء الكثر من المدارس، والرِّباطات، وظلَّ خلفاؤه يعنون بالعمران، مما أنعش الصناعات في القاهرة"[2].

واستمر الحال في مصر خلال الحكم الأيوبي على هذا الحال، حيث لم "تفارق البسمة شفاه المصريين في أيام انتصارات سلاطينهم الأيوبيين على الصليبيين، ولم يفارق المرح نفوسهم"[3].

2. الحياة الاجتماعية في المغرب العربي والأندلس

يُعد البربر أهم عنصر في المغرب العربي، فهم العنصر الأصيل الذي عاشت قبائله وبطونه وعشائره في المغرب وسواحله وسهوله وجباله وهضابه ووديانه من برقة إلى المحيط الأطلسي، أما العرب فهم العنصر الثاني في المغرب الأقصى بعد البربر، وقد جاؤوا إلى المغرب في خلافتي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان لا طلباً للاستيلاء على ما فيه من طيبات الأرض وثمارها، وإنما طلباً لنشر دين الله حتى لا يعبد في الأرض إله سواه، وحتى تعم تعاليمه الداعية إلى العدل والمساواة بين الناس[4].

وكان المجتمع الأندلسي يتألف من عناصر عدة، "إذ نزلها قبائل من بلاد الغال في الشمال، ثم نزلها عناصر فينيقية ويونانية وقرطاجنية ورومانية وجرمانية، ونزلها كثيرون من اليهود، ثم نزلها مع الفتح العرب والبربر"[5].

---

[1] انظر: الصلابي، علي، *صلاح الدين الأيوبي: وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، (ص343).

[2] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج7/ 52).

[3] المرجع السابق، (ج7/ 53).

[4] انظر: المرجع نفسه، (ج10/ 298-300).

[5] المرجع نفسه، (ج8 / 46).

ومن هنا نصل إلى سؤال مهم: هل يمكن أن تكون هذه العناصر معياراً للتمييز الطبقي بين فئات المجتمع الأندلسي؟

وهذا التساؤل ليس غريباً "لا سيما وقد كان أهل الشرق ينقسون إلى طبقات ثلاث: العرب والموالي وأهل الذمة، ثم تعدد هذا التقسيم في العهد العباسي... ولكن الواقع أنَّ العرب في الأندلس كانوا من القلة والتنازع بينهم بحيث لا يستطيعون التميَّز على المولدين"[1].

ونجد في الأندلس "عوامل من المزج السريع بين المسلمين والمسيحيين، منها كثرة المصاهرة، فقد تزوج كثيرون في الجيش الإسلامي من الإسبانيات ... كما كان أهل الذمة من النصارى واليهود يعاملون بالحسنى معاملة كريمة"[2].

هكذا كانت الحياة الاجتماعية في الأندلس بشكل عام، أمَّا في القرن السادس الهجري، فإن بداية الحكم فيه كان لدولة المرابطين التي سعت –بعد تمكين حكمها في المغرب العربي– إلى النهوض بالأندلس ونشر العدل فيها بعد فترة عهد الملوك والطوائف التي تبعت سقوط الدولة الأموية، والعمل على تخفيف الضرائب، "فكان الأمير يوسف بن تاشفين لا يأخذ الضرائب والمكوس، بل أسقطها، وإنما يأخذ المال من حِلِّه، ويضعه في حقه ولا يمنعه من مستحقِّه"[3]، ولكنها لم تقدِّم هذا العدل المنشود طيلة فترة حكمها، إذ أصبح يشعر الفرد المغربي والأندلسي "بفقد حريته واستقلاله؛ وذلك بسبب التزمت الديني الذي تميز به ولاة المرابطين وجندهم، الذي أدَّى إلى تقييد حرية الفكر والعلم، والتزام أقوال الفقهاء، والاستهتار بالقيم والأخلاق، وإرهاق الناس بصنوف الاضطهاد والظلم"[4]، فقد عانى فقهاؤهم من الضيق الفكري "وحجرهم على

---

[1] الدغلي، محمد سعيد. (1984)، *الحياة الاجتماعية في الأندلس: وأثرها في الأدب العربي في الأدب الأندلسي*، ط1، منشورات دار أسامة، (19).

[2] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، (ج8 / 46).

[3] الصلابي، علي. (2003)، *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، (ص146).

[4] انظر: أشباخ، يوسف. (1940)، *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*، تر: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ص146).

أفكار الناس، ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده، وعملوا على منع بقية المذاهب السنية تعصباً لمذهبهم"[1].

وبرغم ما قام به ولاة المرابطين إلا أنَّ هذه الحياة سرعان ما تحولت إلى "طريق الترف والاستمتاع بملذات الحياة، حتى امتلأت الأسواق بآلات الطرب والغناء، وظهرت الآلات النحاسية لأول مرة، وأصبحت تستخدم في الموكب السلطاني"[2]، وسادت "روح الدعة والانغماس في الملذَات والشهوات عند حكام المرابطين وأمرائهم في أواخر عصر علي بن يوسف، وكان للمجتمع الأندلسي تأثير لا يُنكر في قادة وأمراء وحكام دولة المرابطين الذين استجابوا لنزوات شهواتهم وانغمسوا في الحياة الدنيا"[3].

أمَّا في بدايات النصف الثاني من القرن السادس الهجري، حيث تولى الموحدون الحكم بعد قضائهم على المرابطين في المغرب، ثم السيطرة على ما كان يملكه المرابطون في الأندلس، وفي بدايات حكمهم سعوا إلى نشر العدل في البلاد، ولكن هذه الأوضاع بدأت تختلف مع نهاية القرن السادس الهجري وحتى الربع الأول من القرن السابع الهجري، حيث "بدأ الانحدار في دولة الموحدين والصراع الداخلي والأهداف الخسيسة تظهر بين زعماء الموحدين، والذي يُقلب صفحات تاريخ تلك الفترة من الدولة الموحدية يدرك مدى الخزي والعار والاستهانة بديار المسلمين من أجل تحقيق مصالح شخصية على حساب الشعوب والعقيدة والمقدرات"[4].

---

[1] الصلابي، علي. *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، (ص228).

[2] السيد، محمد. (1999)، *تاريخ دولتي المرابطين والموحدين*، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، (ص114).

[3] الصلابي، علي، *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، (ص227).

[4] الصلابي، علي. (1998)، *دولة الموحدين*، (د.ط)، عمان: دار البيارق للنشر، (ص219).

الفصل الأول

نشأة الفكر النحوي وتطوره

المبحث الأول: مفهوم الفكر النحوي ونشأته

أولاً: مفهوم الفكر النحوي ومستوياته

- **الفكر النحوي لغةً:**

جاءت كلمة **(الفِكْر)** في لسان العرب على أنها: "إعمال الخاطر في الشيء؛ قال سيبويه: ولا يُجمع الفكر ولا العلم ولا النظر، وقد حكى ابن دريد في جمعه أفكاراً، والفِكْرةُ: كالفِكْر وقد فكَّر في الشيء وأفكَر فيه وتفكَّر بمعنىً، وعند الجوهري: التَّفكُّر التأمل، والاسم: الفِكْر والفِكرة، والمصدر: الفَكْر بالفتح"[1]، وفي القاموس المحيط جاءت بذات المعنى "إعمال النظر في الشيء"[2]، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة نجد: "فكّر في الأمر: تفكَّر فيه، تأمّله، أعمل العقل فيه ليصل إلى نتيجةٍ أو حلٍّ أو قرارٍ ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** ﴾[3]، وهو: نشاطٌ ذهنيٌّ، من خلال إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول"[4]، وكذلك في المعجم الوسيط حيث جاءت كلمة الفكر بمعنى: "إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويُقَال لي فِي الأمر فِكْر نظر ورويَّة، وما لي في الأمر فِكْر ما لي فيه حاجة"[5].

أي أننا نخلص إلى أنَّ المدلول اللغوي لكلمة الفكر يُشير إلى مدى ارتباطها بالعقل، مع إظهار ما في هذا العقل من طرق وأساليب لإعماله وإشغاله، والتفكير في أمر غير معلوم بإحدى طرق التفكير، كقياس أمر مجهول بآخر معلوم، أو عن طريق التجربة وملاحظة النتائج، أو غيرها من طرق التفكير المتعددة.

أمَّا كلمة **(النَّحْو)** فنجدها في لسان العرب بمعنى: "القصد والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، نحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاه، والجمع أنحاء، ونُحُوٌّ"[6]، وفي معجم اللغة العربية

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ)، *لسان العرب*، ط3، بيروت: دار صادر، (مج5 /65).

[2] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. (2005)، *القاموس المحيط*، تح: العرقسوسي، محمد، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (ص 458).

[3] [المدثر: 18].

[4] انظر: عمر، أحمد مختار. (2008)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، الرياض: عالم الكتب، (مج3 /1733-1734).

[5] مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (2004)، *المعجم الوسيط*، ط4، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، (ص 698).

[6] ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، (مج15 /309-310).

المعاصرة نجدها بمعنى: "نحا الشخص الشيء أو نحا إلى الشيء: قصده ومال إليه، ونحا نحوه: اقتدى به، وسار على أثره وقلَّده"[1]، ونجدها في المعجم الوسيط تشير إلى: "نحا إلى الشيء نحواً: مال إليه وقصده، فهو ناحٍ وهي ناحية، والشيء قصده، وكذا عنه: أبعده وأزاله"[2].

أي أنَّنا نجد كلمة النحو بمدلولها اللغوي تشير إلى الإمالة إلى الشيء والرغبة به، ومن هنا يُمكن لنا أن نُشير إلى أنَّ المدلول اللغوي لـ **(الفكر النحوي)** يُشير إلى إعمال العقل في أمر من الأمور بشكل مقصود، مع الإمالة له أو الابتعاد عنه.

❖ **الفكر النحوي اصطلاحاً**

جاء المعنى الاصطلاحي لكلمة **(النَّحْو)** في لسان العرب على أنَّه: "إعراب الكلام العربي، وهو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها"[3]، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة نجد أنَّ مصطلح النحو: "علم يدرس مواقع الكلمات داخل الجملة والعلاقات النحوية بينهما، ويُعرف به أحوال أواخر الكلام إعراباً وبناءً"[4].

أمَّا المعنى الاصطلاحي لكلمة **(الفِكْر)** يشير إلى أنَّه: "كل نشاط عقلي أدواته الرموز، ويقصد بالرموز كل ما ينوب عن الشيء، أو يشير إليه، أو يعبِّر عنه، أو يحلُّ محلَّه في غيابه، ومن الرموز: الصور الذهنية، والمعاني، والألفاظ، والأرقام، والذكريات، والإشارات، والتعبيرات، والإيماءات، والخرائط الجغرافية، والعلامات الموسيقية، والصيغ الرياضية، وبهذا المعنى يشمل التفكير جميع العمليات العقلية من التصورات، والتذكر، والتخيل، وأحلام اليقظة، إلى عمليات الحكم، والفهم، والاستدلال، والتعليل، والتعميم، والتخطيط، والنقد"[5]، وهذا الفكر الذي نتحدَّث عنه هو فكرٌ علميٌّ منظمٌ، إذ "أنَّ تقييد التفكير بصفة العلمية هدفه استبعاد أيِّ تفسيرٍ لا يرتكز

---

[1] عمر، أحمد مختار، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، (مج3 /2180).

[2] مصطفى، إبراهيم، وآخرون، *المعجم الوسيط*، (ص 908).

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، (مج15 /310).

[4] عمر، أحمد مختار، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، (مج3 /2181).

[5] العيسوي، عبد الفتاح، والعيسوي، عبد الرحمن. (1996)، *مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث*، الإسكندرية: دار الراتب الجامعية، (ص 36).

على قوانين العلم ونظرياته؛ وذلك لأن التفكير العلمي ينبني على التعامل المنظم مع الملاحظات والقوانين التي يُمكن إثباتها بالاستناد إلى نظرية عامة"[1].

أمَّا المصطلح الذي يهمُّنا وهو مصطلح **(الفكر النحوي)**، فإننا نجد أنَّ الدكتور علي أبو المكارم تحدَّث عنه بقوله هو: "الخطوط الرئيسية العامة التي سار عليها البحث النحوي، والتي أثَّرت في إنتاج النحاة وفكرهم على السواء"[2]، وقدَّم الدكتور محمد الخطيب تعريفاً مفصَّلاً للفكر النحوي، حيث قال بأنَّه: "ذلكم النتاج الذي استخرجته عقول النحاة العرب من خلال التفكير في اللغة وتعمُّق النظر فيها، والوقوف على طريق العرب في لسانها، ومعهود خطابها وفق أسس ومبادئ ومنطلقات منهجية بنوا عليها ذلكم الفكر، ويمثله في الحضارة العربية الإسلامية تراث ضخم من القواعد والضوابط، والتفاسير، والتعليلات، التي حاول بها نحاة العربية إدراك سر هذه اللغة الشريفة في: أساليبها، وتراكيبها، وانتظامها"[3].

ومما سبق يُمكن أن نقدِّم تعريفاً موجزاً للفكر النحوي على أنَّه: ذلك الجهد العقلي المبذول من قبل النحاة؛ لمعرفة السمت الخاص الذي سار عليه اللسان العربي الفصيح، وفق أسس منهجية وضعوها لضمان حفظ هذا اللسان؛ لذلك يُستنبط الفكر النحوي من دراسة النتاج العلمي للنحاة، وقدرتهم على تطوير هذا نتاج من سبقهم من العلماء، فضلاً عن تناولهم المسائل والقضايا النحوية بطرقهم الخاصة.

---

[1] الملخ، حسن خميس. (2002)، *التفكير العلمي في النحو العربي، ط1*، عمان: دار الشروق، (ص18).

[2] أبو المكارم، علي. (2007)، *أصول التفكير النحوي، ط1*، القاهرة: دار غريب، (ص3).

[3] الخطيب، محمد عبد الفتاح. (2006)، *ضوابط الفكر النحوي: دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم*، القاهرة: دار البصائر، (ج1 /32).

❖ **مستويات الفكر النحوي**

ويتكون الفكر النحوي من ثلاثة مستويات، وهي[1]:

المستوى الأول: التفكير الجزئي المحسوس: وهو مستوى تقدير الأحكام، والقواعد المستنبطة من استقراء الكلام.

المستوى الثاني: التفكير الكلِّي المحسوس: وهو مستوى القياس على تلك الأحكام، من خلال نظام من التفسيرات والتعليقات.

المستوى الثالث: وهو مستوى التعميم، والتجريد، وإقامة النظرية.

ويُعدُّ الوصول إلى المستوى الثالث إنجازاً كبيراً ومهماً للنحاة، إذ يتمكن من خلاله النحوي من تحديد نظامٍ وبناءٍ نحويٍّ معينٍ.

ثانياً: مراحل نشأة الفكر النحوي

يتحتم علينا في بادئ الأمر أنْ نؤكد بأنَّ هناك فرق بين الفكر النحوي وأصول النحو، وعلينا أنْ ندرك بأنَّ الفكر النحوي أسبق من أصول النحو، والفكر النحوي له خيوط "قديمة جداً في البحث النحوي، حتى أنَّ من الممكن أنْ نردَّها إلى البداية الباكرة لنشأة البحث في النحو العربي، أي أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني"[2] الهجري، ومن هنا نجد أنَّ بدايات الفكر النحوي كانت مع بدايات نشأة النحو، أو حتى قبل ذلك؛ لأن النحو وما نتج عنه عبارة عن نواتج لهذا الفكر.

---

[1] انظر: الخطيب، محمد عبد الفتاح، *ضوابط الفكر النحوي*، (ج1 /33)، والعيسوي، عبد الفتاح، والعيسوي، عبد الرحمن، *مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث*، (ص36-37)، والملخ، حسن خميس. (2000)، *نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1*، عمان: دار الشروق، (ص247).

[2] أبو المكارم، علي، *أصول التفكير النحوي*، (ص17).

مرَّ الفكر النحوي العربي بأربع مراحل، وتتمثل في التالي:

المرحلة الأولى: التمهيد لظهور الفكر النحوي

هي تلك المرحلة التي سبقت الإسلام، وهي مرحلة لا يمكن أن نقطع بتحديد تاريخ بدايتها؛ لنقص الأدلة المكتوبة أو المروية، إلا أنه يمكن القول: إنها مرحلة الإحساس الفني النظري باللغة[1].

وقد تميزت هذه المرحلة بالثراء في عدد المفردات والأساليب والتراكيب، "ويبدو أنَّ الطبيعة المادية الصحراوية هي سبب هذا الثراء، ففيها يقل تنوع الأشياء، وتأخذ حركة الإنسان نمطاً محدداً يتكرر دوماً، خالياً من التعقيد والعلاقات المتشعبة، فلا يتهَّيأ للإنسان أن يكتشف جديداً أو ينشغل بتزاحم الحركة والأحداث؛ ولهذا فهي تُهيئ له فسحة واسعة للتأمُّل وإطالة النظر إلى الموجودات، ومن ثم إطلاق الأسماء العديدة والصفات المتنوعة عليها"[2].

"وحفظت لنا البيئة العربية المتقدمة نسقاً مطرداً من النحو البنيوي سواء من حيث المفردات أو علاقات التراكيب وقوانينها العامة بفعل تجانس المتكلمين من حيث مصادر الثقافة، والبيئة الواحدة، والأصل اللغوي الواحد"[3].

كانت هذه العوامل متوفرة بشكل كبير في البادية أكثر من الحضر؛ وذلك لأن "المدينة هي محط رِحال العناصر الأجنبية التي تأتي للعمل أو التجارة؛ مما يؤدي إلى الاختلال اللغوي، وظهور الحاجة إلى المعالجة التعليمية، وذلك بإرسال الأبناء إلى البادية؛ ليتعلموا الفصاحة فيها"[4]، وهذا يفسر سبب توافد أبناء الحضر إلى البادية؛ وذلك حرصاً منهم على سلامة لغتهم؛ لأنَّ الحياة في البادية لم يكن فيها اختلال كالموجود في الحضر.

---

[1] انظر: الياسري، علي. (2003)، *الفكر النحوي عند العرب: أصوله ومناهجه*، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات، (ص144).

[2] المرجع السابق، (ص145).

[3] المرجع نفسه، (ص146).

[4] المرجع نفسه، (ص146).

المرحلة الثانية: بدايات الفكر النحوي

تمثلت هذه المرحلة البداية التطبيقية، ونجد فيها بدايات النتاج الفكري للنحو، "وهي المرحلة التي تلت ظهور الإسلام إلى بداية القرن الثاني الهجري، وهي مرحلة تحوَّل فيها الإعجاب البلاغي القديم إلى نمط من القدسية أضفاها على اللغة العربية نزول القرآن الكريم"[1].

ويمكن تحديد هذه المرحلة بشكل أدق بأنها "تبدأ منذ نشأة التفكير النحوي والمحاولات المختلفة للكشف عن الظواهر اللغوية، وصبها في قواعد نحوية، وتنتهي بالخليل بن أحمد، الذي يعدُّ قمة هذه المرحلة في تحديد الأصول العامة للبحث النحوي وتنقيتها وتطبيقها جميعاً، وقد استطاع البحث النحوي في هذه المرحلة أن يكشف عن الظواهر الرئيسية للغة العربية، وكان أول ما اكتشف في هذا المجال ظاهرة التصرُّف الإعرابي"[2].

والمقصود بظاهرة التصرُّف الإعرابي هو تغيُّر الحركة الإعرابية في أواخر الكلمات أو لزومها، ويطلق عليها أربع تسميات أخرى، وهي: "تعاقب الحركات في أواخر الكلمات، تغيُّر الحركات في أواخر الكلمات، وظاهرة الإعراب، والحركة الإعرابية"[3].

وتعد هذه المرحلة هي المرحلة التأسيسية لتقعيد النحو العربي، وفيها نجد النتائج الأولى للفكر النحوي، وقد عدَّها بعض الباحثين المرحلة الأولى لنشأة الفكر النحوي[4]؛ لأن المرحلة الأولى التي سبق ذكرها، كانت مرحلة ضبابية غير واضحة المعالم، ولم نجد لها نتاجاً حقيقياً، إلا أنَّ أبرز ما يُميِّز هذه المرحلة أنَّها اشتملت على موروثٍ ثقافيٍّ مهمٍّ كان أبرزه الشعر العربي الذي ارتكز عليه علماء النحو في فكرهم النحوي، وتأصيلهم وتنظيرهم له.

---

[1] الياسري، علي، *الفكر النحوي عند العرب: أصوله ومناهجه*، (ص147).

[2] أبو المكارم، علي. (2005)، *تقويم الفكر النحوي*، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، (ص82).

[3] أبو المكارم، علي. (2006)، *الظواهر اللغوية في التراث النحوي*، ط1، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، (ص29).

[4] انظر: أبو المكارم، علي، *تقويم الفكر النحوي*، (ص82).

المرحلة الثالثة: نضوج الفكر النحوي

تعدُّ هذه هي المرحلة الأبرز في الفكر النحوي؛ لأنها اشتملت على أهم المؤلفات النحوية، وفيها تشكَّلت الأسس الأولى لعلم النحو، وتبدأ هذه المرحلة على وجه التقريب من بدايات الربع الثاني من القرن الثاني الهجري، "حيث أخذت تتَّضح سمات الدرس اللغوي، والنحوي المتخصص، وفيها يتَّضح الكثير من معالم الدرس النحوي، ومصطلحاته، وأصوله، حيث تم استيعاب المسائل النحوية وتصنيفها على أبوابها وفصولها، اعتماداً على المسموع من كلام العرب"[1].

ويمكن تحديد هذه المرحلة بشكل أكثر دقة بأنها المرحلة التي تبدأ "بتلاميذ الخليل بن أحمد، وتنهي بالزجَّاج، فتمتد قرابة قرن ونصف القرن، ولعلها –باعتبارها فترة انتقال– أكثر المراحل أهمية في تاريخ النحو العربي، بل في حياة الفكر العربي بأسره، إذ هي المرحلة التي شهدت بداية التفاعل الحقيقي بين الفكر العربي الإسلامي، وبين الأفكار غير العربية الإسلامية بعامة، والإغريقية منها بصورة خاصة"[2]، وظهر هذا التأثُّر من خلال حرص العلماء العرب والحكام على ترجمة نتاج الفكر الأعجمي إلى اللغة العربية.

وتعد هذه المرحلة أحد أهم مراحل الفكر النحوي، ولا نبالغ إنْ قلنا أنَّها الأهم؛ لأنَّه نما فيها الفكر النحوي بشكل كبير، وكان ثمرة ذلك وجود مدرسة البصرة النحوية، ثم تبعتها مدرسة الكوفة، حيث كان لهما الفضل الأول والأبرز في تنمية الفكر النحوي وبنائه.

وفي هذه المرحلة برز كتاب سيبويه الذي "يُعدُّ النص الحقيقي المؤسس للفكر النحوي العربي، فهو يشترع للعربية في طورها الجديد، ويقيم المعالم التي تهدي إلى حقيقتها، وتعين على حمايتها، ونفي الزيف عنها؛ حتى لا يُطغى عليها، ويُغيَّر من خصائها في الحاضر أو في المستقبل القريب أو البعيد؛ لذلك فهو دراسة واسعة في النحو والصرف، أي في أساليب العربية وبنية مفرداتها"[3]، وبات هذا الكتاب أساس كتاب للنحو العربي.

---

[1] الياسري، علي، *الفكر النحوي عند العرب*، (ص148).

[2] أبو المكارم، علي، *تقويم الفكر النحوي*، (ص92).

[3] ناصف، علي النجدي. (1979)، *سيبويه إمام النحاة*، ط2، القاهرة: عالم الكتب، (ص142).

ويُعدُّ هذا الكتاب ثروة غزيرة، وجامع للأسس والمبادئ التي أرساها المشتغلون بدرس اللغة والنحو في القرنين الأول والثاني الهجريين، وخاصة شيخه الخليل بن أحمد، وكان لهذا الكتاب أثرٌ كبيرٌ في تاريخ الفكر النحوي، حيث أقبل عليه النحاة يتدارسونه، ويوضِّحون مفاهيمه، ويبيّنون مراد سيبويه من عباراته، وبعضهم عمد إلى شرحه، أو شرح شواهده، ومنهم مَن عارضه في عدَّة مسائل، أي إنَّنا أمام كتاب غير عادي، إذ كان فتيلاً لإشعال عقول العلماء والباحثين في اللغة والنحو[1]، ولعل أبرز دليل على أهمية هذا الكتاب أنَّه –على الأغلب– لا توجد دراسة لغوية أو نحوية قديمة أو حديثة إلا واستعانت بهذا الكتاب، أو علّقت عليه، أو اقتبست منه، ولا تكاد تخلو هذه الدراسات من ذكر اسم سيبويه، رغم مرور قرون عدة عليه، فهو يعدُّ كتاب النحويين الأول ودستورهم.

المرحلة الرابعة: تمكين الفكر النحوي

وهي أطول مرحلة في الفكر النحوي، "وتبدأ هذه المرحلة بابن السَّرَّاج، وتظلُّ خصائص هذه المرحلة الفكرية تمتدُّ عبر القرون التالية حتى العصر الحديث، فإنَّ الدراسات النحوية التقليدية المعاصرة تتبع في دقَّةٍ اتجاهات النحاة على هذه المرحلة"[2]، وقد قيل عن ابن السرَّاج: "ما زال النحو مجنوناً حتى عقَّله ابن السرَّاج بأصوله"[3]، كما تُعدُّ هذه المرحلة أيضاً "مرحلة: المتون، والشروح، والحواشي، والتقارير، والموازنات، والمراجعات"[4].

مع إطلالة القرن السادس الهجري، وجد علماء النحو أنفسهم أمام نتاج عظيم من المؤلفات والآراء النحوية المتنوعة، حيث تمَّ تحديد أصول النحو وأسسه، واتضحت طرائقه وأبوابه ومسائله، فانصبَّت مجهوداتهم على هذا التراث الغزير جمعاً له، وشرحاً لغوامضه، واختصاراً لتطويلاته، وتدقيقاً لمسائله، ومراجعة للآراء المتنوعة، وترجيحاً لآرائه المختلفة، مع إضافة آراء نحوية جديدة كانت نتاجاً لهذه الجهود.

---

[1] انظر: الخطيب، محمد عبد الفتاح، *ضوابط الفكر النحوي*، (ج1/ 45).

[2] أبو المكارم، علي، *تقويم الفكر النحوي*، (ص108).

[3] الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1993)، *معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تح: عباس، إحسان، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ج6/ 2535).

[4] الخطيب، محمد عبد الفتاح، *ضوابط الفكر النحوي*، (ج1/ 48).

ويعدُّ القرن السادس الهجري من أهم قرون الفكر النحوي؛ لما يمثله من خلاصة القرون السابقة، ولأثره الكبير في ظهور صورة جديدة للنحو العربي، وإضافاته النوعية لفكر النحو التالين لهم، والذي بدأ بالقرن السابع الهجري ولازال يستمر حتى يومنا هذا، إذ كان له دور بارز في ظهور المتون العلمية وشروحها، وكذلك المؤلفات المُيسَّرة لطلبة العلم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الفكر النحوي القائم في عصرنا هو امتداد لهذا الفكر، ويسير وفقاً للأصول المتَّبعة فيه، وبالتأكيد لا نغفل البحوث النحوية المعاصرة التي دعت إلى تيسير النحو وتصحيح اتجاهاته، لكنَّها ظلَّت أفكاراً مقترحةً دون تطبيق ملموس، أو أثرٍ واضحٍ في الدرس النحوي.

المبحث الثاني: مراحل تطور النحو وأهم العوامل المؤثرة في الفكر النحوي

مرَّ النحو العربي منذ نشأته بأربعة أطوار، ومع كل طور من هذه الأطوار نجدُ عدة عوامل قد أثَّرت فيه، وساعدت على تطوُّره، وتجدر الإشارة إلى "أنَّه ليس في الاستطاعة وضع حد توقيفي ينفصل به كلُّ طورٍ عمَّا يسبقه أو يعقبه، فإنَّ الأطوار لا بدَّ من تداخلها، وسريان بعض أحكام سابقها على لاحقها، كما أنَّه لا مناص من تسرُّب شيء مما في تاليها على بادئها"[1]، وهذا الأمر يُفسِّر اختلاف المصنفين ومؤرخي النحو في إدراج بعض العلماء ضمن أحد هذه الأطوار، وسبب اختلافهم في تحديد بدايات ونهايات هذه الأطوار.

والانتقال من مرحلة إلى مرحلة انتقالٌ متداخلٌ، "فهناك مدَّة انتقالية بين كل مرحلتين، كما أنَّ الحكم على المراحل على سبيل الإجمال لا التفصيل"[2]، وعليه "فإنَّ تحديد هذه الأطوار إلى التقريب أقرب منه إلى التحقيق"[3].

وسنعرض في هذا المبحث أطوار النحو الأربعة، مع إبراز أهم العوامل التي أثَّرت فيه، بشكل موجز؛ وذلك وصولاً إلى القرن السادس الهجري للتركيز على العوامل التي أثَّرت في الفكر النحوي خلال هذه الفترة.

الأطوار الأربعة التي مرَّ بها النحو[4]

1. طور الوضع والتكوين
2. طور النشوء والنمو والارتقاء
3. طور النضوج والكمال والازدهار
4. طور المراجعة والترجيح والبسط

أولا: طور الوضع والتكوين، وأهم العوامل المؤثرة فيه

يعدُّ هذا الطور طورًا بصريًّا محضًا، إذ تُعدُّ مدرسة البصرة صاحبة السبق الأول في وضع النحو العربي، وتمتدُّ هذه الفترة إلى قرابة قرن من الزمن، أو قرن ونصف، إذ تبدأ "من

---

[1] الطنطاوي، محمد. (1995)، *نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة*، ط2، القاهرة: دار المعارف، (ص36).

[2] الملخ، حسن خميس، *نظرية التعليل في النحو العربي*، (ص35).

[3] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص37).

[4] انظر: المرجع السابق (ص36)، وانظر: الملخ، حسن خميس، *نظرية التعليل في النحو العربي*، (ص35)، وعبد الله، مصطفى حسين. (2009)، *تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري: من قطر الندى إلى مغني اللبيب*، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، (ص98).

عهد أبي الأسود الدؤلي، حتى عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولعل أهمية هذه الفترة في النحو تعود إلى أنَّها شهدت بدء محاولات استكشاف الظواهر اللغوية"[1].

وقام الشيخ محمد الطنطاوي بتقسيم علماء هذا الطور إلى طبقتين، ولم يصنِّف أبا الأسود الدؤلي (ت69هـ) ضمنهما، بل عدَّه المنبع الأساس لهما، ومن أبرز علماء الطبقة الأولى: عنبسة بن معدان الفيل(ت100هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت89هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (117هـ)، ويحيى بن يعمر (129هـ)، وأبرز ما قام به نحاة هذه الطبقة أنَّهم استنبطوا الكثير من أحكام النحو، وسعوا إلى نشرها بين الناس، ولم تنبت لديهم فكرة القياس، إذ كان جل اعتمادهم على نقل المسموع، ولم تقوَ حركة التصنيف بينهم، أي أنَّ أعمالهم لم تبلغ حد الكتب المنظمة، إذ كان جل اعتمادهم على حفظهم في صدورهم، ورواياتهم بلسانهم[2].

ومن أبرز علماء الطبقة الثانية: عبد الله بن أبي إسحاق (117هـ)، وعيسى بن عمر (149هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (154هـ)، وكانت هذه الطبقة أوفر حظاً من سابقتها، حيث ازدادت المباحث النحوية لديها، وأضافت الكثير من القواعد، ونشأت حركة نقاش بينهما، ودوِّن فيها بعض الكتب المفيدة، وبدأت تتخمر بينهم فكرة التعليل، وإعمال الفكر في القياس، وكانت كتبهم مزيجاً من النحو واللغة والصرف والأدب[3].

- **أبرز العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في طور الوضع والتكوين**

يُعدُّ ظهور اللحن في اللسان العربي أبرز عامل مؤثر في الفكر النحوي في هذا الطور، فقد كان السبب الأساسي في إعمال الفكر النحوي؛ وذلك سعياً من علماء النحو لتلاشي هذه الظاهرة، والمعلوم أنَّ اللسان العربي نشأ سالماً من المغالط، خالصاً لأهله، يتناقلونه في حلِّهم وترحالهم، وبهذا اللسان الفصيح نطق الرسول (ﷺ)، وبه نزل القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[4]، ويقول جلَّ في علاه: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ**

---

[1] أبو المكارم، علي. (2008)، *مدخل إلى تاريخ النحو العربي*، القاهرة: دار غريب، (ص167).

[2] انظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص37-38).

[3] انظر: المرجع السابق، (ص38-39).

[4] [يوسف: 2].

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[1]، وبما أنَّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية، فهذا جعلها وعاء العلوم الشرعية، "وجاء الاعتناء بها من هذه المكانة، وقد كان في البداية نَقَلَةُ الدين من الصحابة عرباً أقحاحاً، لم تشب لسانهم عُجمةٌ، ولا هُجنةٌ"[2].

لكن هذا اللسان العربي الفصيح تعرض لعدة عوامل أدت لظهور اللحن فيه، ولعل أبرز هذه العوامل يتمثل فيما يلي:

أ. اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس

لقد كان رسول الله (ﷺ)، وصحابته الكرام (ﷺ) من العرب الأقحاح، وعندما يقع أحدهم في لحن ما، يتمُّ استدراكه سريعاً، لكنَّهم بعدما خالطوا الأعجام بدأ اللحن يفشو بينهم، "فعند تتابع الفتوحات الإسلامية اتسعت رقعة دولة الإسلام، وامتدَّ سلطانهم ليشمل أمماً جديدة من رومٍ وفرسٍ وغيرها، ونزل العرب تلك البلاد المفتوحة، واختلطوا بأهلها، وقد كانت ملكة اللسان العربي عندهم صافية ناصعة"[3]، لكن هذه الملكة تأثَّرت شيئاً فشيئاً بما تستمع، فعندما فارق العرب الفاتحين الحجاز، "وخالطوا العجم تغيَّرت تلك الملكة بما أُلقي إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين من العجم، –والسمع أبو الملكات اللسانية– ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع"[4].

ب. اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم

لقد انشغل العرب بالسياسة وإدارة الدولة عن طلب العلم وتبليغه، فقام بهذه المهمة الموالي[5]، وعن هذا الأمر يقول ابن خلدون: "من الغريب أن حملة العلم من الملَّة الإسلامية أكثرهم من العجم، إلا في القليل النادر"[6].

---

[1] [الشعراء: 193–194].

[2] ابن التمين، محمد عبد الله. (2012)، *اللحن اللغوي: وآثاره في الفقه واللغة*، ط2، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، (ص39).

[3] المرجع السابق، (ص41).

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، (ج2/ 368).

[5] انظر: ابن التمين، محمد عبد الله، *اللحن اللغوي*، (ص42).

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، (ج2/ 361).

وقد مرَّ نقل العلوم وخاصة الشرعية بمرحلتين، الأولى: كانت على يد عرب حملوا القرآن والحديث في صدورهم عارفين بمعانيها بقوةٍ طبيعيةٍ، أمَّا الثانية: جاءت استجابة لظروف اتساع دولة الإسلام، فأوجب التدوين، فأصبحت صناعة يجيدها أهل الحضر والعمران أكثر من أهل البدو[1]، ويمكن تفسير سبب انشغال غير العرب باللغة العربية بأنهم الأكثر حاجة لتعلمها وفهم مكنوناتها، أمَّا العرب فحاجتهم أقل؛ بسبب معرفتهم القوية لها.

ثانياً: طور النُّشوء والنُّمو والارتقاء، وأهم العوامل المؤثرة فيه

كان الطور الأول بصريٌّ خالصٌ، أمَّا هذا الطور فقد ظهرت فيه –إلى جانب مدرسة البصرة– مدرسة نحوية جديدة باتت تعرف بمدرسة الكوفة، ويبدأ هذا الطور "من عهد الخليل بن أحمد البصري، وأبي جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي[2] إلى أول عصر المازني[3] البصري، وابن السِّكِّيت[4] الكوفي"[5]، والبعض عدَّ نهاية هذا الطور إلى بداية عصر أبي بكر السَّرَّاج[6]، وفي هذا الطور "استوعب النحويون كافة ظواهر اللغة دراسةً وتقنيناً، وانتهوا من تحديد المصطلحات، وأتمُّوا تصنيف أهم ما بين أيدينا من مؤلفات، وتعددت مراكز البحث اللغوي – والنحوي بخاصة– بعد أن كانت مقصورة على البصرة وحدها في المرحلة السابقة"[7]، وهنا نجد أنَّ المنافسة النحوية بين البصريين والكوفيين قد بدأت واشتدَّت في هذا الطور.

---

[1] انظر: ابن التمين، محمد عبد الله، *اللحن اللغوي*، (ص43–44).

[2] محمد بن أبي سارة علي، أبو الحسن، الكوفي الرؤاسي، أبو جعفر: أول من وضع كتاباً في النحو من أهل الكوفة، وهو أستاذ الكسائي والفراء، وكلما قال سيبويه في كتابه (قال الكوفي) عنى الرؤاسي، توفي سنة 187هـ. انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج6/271–272).

[3] بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازني، من مازن شيبان: أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة، توفي سنة 249هـ. انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج2/ 69).

[4] يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول. توفي سنة 244هـ. انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج8/195).

[5] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص40).

[6] انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص168).

[7] أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص168).

وقد نشط علماء النحو في هذا الطور منذ بدايته، وساروا في طريقٍ مختلفٍ عن أصحاب الطور الأول، الذين صبُّوا تركيزهم على أواخر الكلمات، أمَّا أصحاب هذا الطور فقد "نشطوا في التَّقصِّي والاستقراء للمأثور عن العرب، وفي إعمال الفكر، واستخراج القواعد"[1].

ومن أبرز علماء هذا الطور تلميذ الخليل سيبويه[2]، الذي يُعدُّ شيخ النحويين ومُلهمهم، فكتابه أشغل الفكر النحوي لقرون طويلة، ولا زال يُذكر إلى يومنا هذا، فهو يُعدُّ مرجعاً أساسياً للنحاة عبر العصور، وهو كتابهم الأول، ويُعدُّ "كتاب سيبويه هو نقطة البداية لجميع الدراسات اللغوية العربية، فهو أول كتاب في النحو العربي يصل إلينا، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنَّ سيبويه حاول أنْ يجعل في مؤلفه هذا مادة تكاد تكون متكاملة للدرس النحوي؛ ليقدِّم بها وبالقضايا المطروحة فيه وصفاً دقيقاً وشمولياً ما أمكن لهذه المادة اللغوية، بل إنه يعدُّ سجلاً موثوقاً باعثاً على الاطمئنان لكل ما كان يدور بين العلماء من مناظرات وتحليلات متصلة بالدرس النحوي"[3].

- **أبرز العوامل المؤثرة في طور النُّشُوء والنُّمُو والارتقاء**

أبرز العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في هذه المرحلة تمثَّلت في التنافس بين نحويي البصرة ونحويي الكوفة، حيث كان "مبعث ذلك النشاط التنافس البلدي الذي عُرض إبان هذا الطور، فرام كلٌّ من أهل البلدين (البصرة والكوفة) ظفراً على الآخر"[4]، وكان لهذا التنافس والخلاف الدور الكبير في إعمال الفكر النحوي في هذه المرحلة، وكان عاملاً مُهماً على مدى العصور اللاحقة أيضاً.

وفيما يلي أبرز الأسباب التي أدَّت إلى ظهور الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة:

---

[1] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص42).

[2] عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو، لم يُصنع قبله ولا بعده مثله، اختُلِف في تاريخ وفاته، وهي على الأغلب 180هـ. الزركلي، *الأعلام*، (ج81/5).

[3] طلافحة، أمجد، وأبودلو، أحمد. (2013)، *الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية*، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، م16، ع2، (ص58).

[4] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص42).

أولاً: أسباب علمية

1. الأسلوب والطريقة:

اختلاف البصريين والكوفيين في المنهج والأسلوب كان أحد أهم الأسباب التي أدَّت إلى وجود خلاف بينهما، فمثلاً أقام البصريون الحدود المكانية والزمانية للسماع، فكان ذلك أسلوباً من أساليبهم، وطريقة من طرقهم في القياس، واستخلاص قواعد النحو العربي، "بينما عكسه عند الكوفيين الذين توسعوا في السماع عن القبائل العربية، وتوسعوا في القياس حتى على القليل الشاذ"[1]، ومن المؤكَّد أنَّ هذا الاختلاف في المنهج والأسلوب قد ولَّد لديهم نتائج خالف فيها بعضهم الآخر.

2. الاختلاف في تطبيق مقتضيات نظرية العامل والمعمول:

يُجمع العلماء على الفضل الكبير للخليل بن أحمد الفراهيدي في ابتكار نظرية العامل والمعمول، والتي سعى فيها لتفسير "الحركات الإعرابية على أواخر الكلمة، فأُعجب علماء النحو على مر العصور بهذه النظرية أيما إعجاب، ودرسوا اللغة في إطارها، ووضعوا الأبواب النحوية بناء على الحركة الناتجة عن العامل، وجعلوا لكلٍّ من المرفوعات والمنصوبات والمجرورات باباً مستقلاً"[2]، ولكن يُؤخذ على هذه النظرية "إسرافها في تفسير وجود كثير من الحركات الإعرابية على أواخر الكلم، لأسباب عديدة، منها: ضعف العامل عن العمل، أو عدم إمكان تقديره، أو عدم الاختصاص"[3]، وكان ذلك سبباً من الأسباب التي أدَّت لوجود خلافات بين النحويين، الذين سَعَوا إلى تفسير العامل الذي يُبرر وجود الحركة الإعرابية كلٌّ حسب نظْرته، ومن هذه الخلافات: "ذهب الكوفيون إلى أنَّ المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو: زيد أخوك، وعمرو غلامك، وذهب البصريون إلى أنَّ المبتدأ يُرفع بالابتداء، وأمَّا الخبر فاختلفوا فيه: فذهب قوم إلى أنَّه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلى أنَّه يُرتفع بالابتداء

---

[1] جعفر، محمد عبد النبي. (2009)، *اختلاف النحاة: ثماره وآثاره في الدرس النحوي*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، (ص61-62).

[2] الشهري، علي محمد. (1420هـ)، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة، (ج1/ 3).

[3] الشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 3).

والمبتدأ معاً"[1]، أي أنَّنا نجد أنَّ هذا الأمر كان سبباً علمياً بارزاً أوجد الخلاف النحوي بين علماء مدرستي البصرة والكوفة.

ثانياً: أسباب تخصُّ اللغة العربية ونشأتها

1. اختلاف القبائل العربية في الفصاحة وسلامة اللغة:

تعدُّ نشأة اللغة العربية أحد أهم الأسباب التي أوجدت الخلاف النحوي بين العلماء، فقد عاش العرب في شبه الجزيرة العربية، وكوَّنوا قبائل متعددة ومتفرِّقة، وعاشت معهم اللغة العربية وتطوَّرت في هذه الظروف، ومن المعروف علمياً بأنَّ الفرد يؤثر ويتأثر بالبيئة المحيطة به، ما جعل هذه القبائل العربية على درجات متفاوتة من "الفصاحة وصفاء العروبة، فقد اشتُهِر بعضها بأنه أفصح من بعض، ولم تكن كذلك في درجة واحدة من سلامة اللغة، فقد سَلَمت بعض القبائل وحافظت على عربيتها من تسرُّب الدخيل إليها"[2]، وإنَّ اختلاف القبائل العربية في فصاحتها وفي قوة لغتها كان عاملاً مؤثراً في بناء الفكر النحوي، ونشوء الخلاف بين علمائه، هذا الأمر الذي دفع علماء مدرسة البصرة إلى تحديد القبائل التي يجوز النقل عنها، وامتنعوا عن النقل من قبائل أخرى، أمَّا الكوفيون فقد كانوا أقل التزاماً بذلك، وعن ذلك يقول ابن خلدون: "كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية واحرصها؛ لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأمَّا من بَعُدَ عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"[3].

---

[1] الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1961)، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: عبد الحميد، محمد محيي الدين، ط4، القاهرة: مطبعة السعادة، (ج1/ 44).

[2] جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص66).

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، (ج2/ 378).

2. تعدُّد اللهجات العربية للقبائل:

كانت القبائل العربية في عصر السليقة اللغوية متباينة في لغاتها ولهجاتها؛ لأنها "كانت متباعدة متناثرة في شتَّى أنحاء الجزيرة العربية، في نجد والحجاز وتهامة، وكان لكل قبيلة طريقتها، وأسلوبها الخاص في الكلام"[1].

ومن صور هذا الخلاف أنَّهم يستعملون كلمات مختلفة الدلالة على معنى واحد، أو يستعملوا كلمة واحدة للدلالة على معانٍ مختلفة، وقد يكون هذا الخلاف في الحركات، فبعض القبائل كقريش تفتح المضارع فتقول: نَستعين، وبعضها كأسد تقول: نِستعين بالكسر[2]، "وهذه اللهجات تختلف باختلاف الوطن الذي تعيش فيه القبيلة، والبيئة التي تأوي إليها، فضلاً عن العوامل الإقليمية التي تركت آثارها في لهجات الشعوب المتعربة على المدى الواسع من مجلس الشرق الآسيوي إلى أقصى الغرب الإفريقي والأندلسي، حيث أخذت حريتها في التعبير بلسانها العربي على سجيتها دون أن تلتزم بقيود"[3]، وبالتأكيد سيؤثر هذا الخلاف في اللغات واللهجات على آراء النحاة، ولم يقتصر هذا التأثير على نحاة البصرة والكوفة، بل امتدَّ ليشمل غيرهم من النحاة أيضاً.

ثالثاً: أسباب جغرافية وسياسية

1. الموقع الجغرافي لبيئتي البصرة والكوفة:

لعب الموقع الجغرافي لبيئة الخلاف المتمثل في مدينتي البصرة والكوفة دوراً مهماً في إعمال الفكر النحوي، وفي بروز الخلاف بين المدرستين، فموقع البصرة على الخليج العربي "جعل عملية الاختلاط بغير العرب عملية سهلة نتيجة الملاحة البحرية، وهذا بدوره جعل البصريين يتحرَّون الدقة في السماع اللغوي عن العرب، بالإضافة القياس على الكثرة المطردة"[4]، أمَّا موقع الكوفة الجغرافي فقد كان في وسط العراق، "فكانت قليلة الاختلاط بغير

---

[1] الشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 6).

[2] انظر: جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص65).

[3] حمودة، فتحي. (د.ت)، ما فات *الإنصاف من مسائل الخلاف*، طبعة خاصة، أبها: شركة المروة، (ص16).

[4] جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص62).

العرب، مما جعل الكوفيين يطمئنون إلى سلامة اللغة"[1]، فمن هنا يتَّضح لنا أهمية الموقع الجغرافي في بناء الفكر النحوي، فقد أثَّر الموقع الجغرافي للبصرة والكوفة على نمط التفكير لديهما.

2. الاتجاه السياسي والعصبية الإقليمية:

بدأ الخلاف السياسي بين مدينتي البصرة والكوفة في أواخر الخلافة الراشدة، وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان (ﷺ)، وباتت البصرة تُعرف بأنَّها عثمانية بعدما نزلتها عائشة والزبير وطلحة (ﷺ)، حيث خرجوا من مكة مطالبين بدم عثمان (ﷺ)، أمّا علي بن أبي طالب (ﷺ)، فقد توجه إلى الكوفة، ونتج عن ذلك حدوث معركة الجمل، ومنذ ذلك الحين دبَّ وازداد الخلاف بين المدينتين[2].

وكان من الطبيعي أن يؤثر ذلك على مختلف الجوانب الفكرية والثقافية، وخاصة الفكر النحوي، والتعصُّب لرأي دون الآخر، "وقد ظهر هذا التعصُّب في المناظرات والمجالس التي كانت دور بين عالم من البصرة، وآخر من الكوفة... وقد كان كل عالم يحاول أن ينتصر لمذهبه وشيوخه، معتمداً على لهجة لم تصل الآخرين، أو على توجيه جديد لبعض التراكيب اللغوية، أو بيان ضعف رأي المخالِف بقدحه فيه"[3].

رابعاً: أسباب أخرى متنوعة

1. التنافس وإثبات الذات:

لم تكن كل الأسباب التي أججت الصراع بين نحويي البصرة والكوفة علمية أو موضوعية دائماً، فقد كانت بعض هذه الأسباب ذاتية شخصية محضة، تقوم على "التعصُّب للرأي بغية الانتصار على الخصم، ولو كان هذا التعصُّب في غير جانب الصواب"[4]، "وهذا أمر غريزي

---

[1] جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص62).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص63)، والشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 14)، وحمودة، فتحي، ما فات *الإنصاف من مسائل الخلاف*، (ص17).

[3] الشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 15).

[4] حمودة، فتحي، ما فات *الإنصاف من مسائل الخلاف*، (ص17).

في جلبة الناس، كلٌّ يحب أنْ يجد لنفسه المكانة، والقدمة، سواء على مستوى المدرسة [النحوية] الواحدة أو على مستوى المدارس"[1]، وأقرب مثال على ذلك المناظرات المتعددة التي كانت تقام بين النحويين مثل: الكسائي وسيبويه، والكسائي والأصمعي.

2. الاجتهاد:

يعدُّ باب الاجتهاد من أوسع الأبواب التي تدعو إلى التفكير، وإعمال العقل، "وهو بابٌ مفتوحٌ على مصراعيه، ويعدُّ سبباً مهماً من أسباب الخلاف النحوي، حيث تفتُّح العقل العربي، وحيث تطوُّر اللغة ونموها، مما يجعل الأمر لا بدَّ منه، والدليل على ذلك أنَّ الدارس لمسائل الخلاف [النحوي] يجد أنَّ كثيراً منها خلافاً عقلياً جدلياً، لا يتعدى الخلاف اللفظي، وفي بعض الأحيان لم يكن له فائدة مجدية"[2].

3. اهتمام نحاة الكوفة بالقراءات:

تميَّز أهل الكوفة بأنهم سبَّاقون في دراسة الحديث والفقه وعلوم القرآن الكريم، ونجد أنَّ فيها ثلاثة من القرَّاء السبعة لروايات القرآن الكريم، وهم: أبو الحسن الكسائي[3]، وحمزة بن حبيب[4]، وعاصم بن أبي النجود[5]، وهذا الأمر جعل نحويي الكوفة يخالفون نظائرهم من نحويي البصرة في الكثير من المسائل النحوية، وخاصة تلك التي لها علاقة بالقرآن الكريم، أو بقراءاته، ومن الأمثلة على ذلك: أجاز الكوفيون العطف على المضمر المخفوض كما في قراءة

---

[1] جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص62).

[2] المرجع السابق، (ص65).

[3] علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في إحدى قراها، وتعلم بها، وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالريّ، عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. توفي سنة 189هـ. الزركلي، الأعلام، (ج283/4).

[4] حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات: أحد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنسب إليهم، ومات بحلوان، كان عالما بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. توفي سنة 156هـ. الزركلي، الأعلام، (ج277/2).

[5] عاصم بن أبي النجود بهدلة، الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها، كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث. توفي سنة 127هـ. الزركلي، الأعلام، (ج248/3).

حمزة: قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ۚ ﴾[1]، أي أنَّهم خالفوا نحاة البصرة في عدم جواز العطف على المضمر المخفوض[2].

فوائد وثمرات الخلاف النحوي

لقد نتج عن الخلاف النحوي كثيراً من الفوائد والثمرات والجوانب الإيجابية، التي خدمت اللغة العربية، وأثْرت الفكر النحوي، و كان من أبرزها:

1. المناظرات واللقاءات النحوية:

أصبحت هذه المناظرات سمةً بارزةً بين أعلام البصرة والكوفة، وتُعدُّ مناظرة سيبويه والكسائي حول المسألة الزنبورية أشهر هذه المناظرات النحوية[3]، وقد ترتَّب على هذه المناظرات كثيراً من الفوائد، وطُرِح فيها عددٌ من المسائل النحوية التي أفادت الفكر النحوي على مرِّ العصور.

2. المجالس اللغوية:

كانت المجالس اللغوية تتسم بالهدوء، والمحاورات فيها أقرب إلى الواقعية؛ لأنها بعيدة عن مجالس الأمراء والسلاطين، بخلاف المناظرات النحوية التي تشتدُّ فيها حدَّة التعصُّب، ونتج عنها ثروةٌ لغويةٌ ونحويةٌ كبيرةٌ؛ لما كان يُثار فيها من مسائل توضِّح وجهة نظر كلِّ فريقٍ فيما دقَّ من مسائل نحوية بنوعٍ من العمق والتفكير الحر الموضوعي، دون تعصُّبٍ أو حدَّةٍ، وقد اهتم العلماء بجمع هذه المجالس، وتدوينها؛ حتى ظهرت كتبٌ ومؤلَّفاتٌ فيها، ومنها: مجالس ثعلب ومجالس ابن قتيبة[4].

---

[1] [النساء: 2].

[2] انظر: الشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 13-14)، حمودة، فتحي، ما فات *الإنصاف من مسائل الخلاف*، (ص18).

[3] انظر: جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص303-304).

[4] انظر: المرجع السابق، (ص308-309).

3. مؤلفات نحوية جديدة:

كان من أبرز ثمار الخلاف النحوي أن زخرت المكتبة النحوية العربية بالمؤلفات التي تعالج كثيراً من مسائل النحو وقضاياه، التي كانت محلَّ خلافٍ بين النحاة، مما عاد على المكتبة النحوية ودارسيها بالنفع الكثير[1].

4. إنصاف القرَّاء:

اختلاف النحويين أنصف كثيراً من القرَّاء، وبخاصة القرَّاء السبعة الذين انعقد الإجماع على تلقِّي قراءتهم، فقد طعن عدد من النحويين في قراءة بعضهم، حيث طعنوا في القراءات التي تخالف ما تنص عليه قواعدهم، فرموها إمَّا بالشذوذ أو الخطأ[2].

5. حفظ اللهجات العربية، والأساليب اللغوية:

أسهمت الخلافات النحوية في حفظ الكثير من الأساليب اللغوية، واللهجات العربية الفصيحة، التي لم تشملها قواعد النحويين –بخاصة الحدود المكانية والزمانية التي وضعها نحاة البصرة– من الضياع أو النسيان، فقد بنى النحويون قواعدهم على الشائع من كلام العرب، وأخرجوا ما عداه أو خالفه من هذه القواعد[3]، ونتج عن ذلك كثرة وتعدُّد الأساليب اللغوية الفصيحة في اللغة العربية، ما يسَّر على أبنائها كثيراً من الحرية في الاستعمال اللغوي، وأدَّى إلى حفظ صور منوعة من الأساليب والتراكيب اللغوية، حتى وإن كانت شاذة أو قليلة.

6. اكتشافات لغوية مهمة:

دراسة الخلافات النحوية تُثير لنا جوانب من عقلية الأمة التي تتكلم بهذه اللغة، فالاشتقاق مثلاً خاصية انفردت بها اللغة العربية الفصحى، ودلَّت هذه الظاهرة على مدى حيوية هذه اللغة، وقدرتها على النمو والتطوُّر[4].

---

[1] انظر: الشهري، علي محمد، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (ج1/ 17).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 18).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج1/ 18).

[4] النشمي، أحمد. (2010)، *المسائل الخلافية بين المدرستين الكوفية والبصرية ودورهما في إثراء الفكر اللغوي والنحوي*، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، ع11، يناير، (ص107).

7. مراجعة اللغة وتقويمها:

دراسة الخلافات النحوية تمكننا من إصلاح ومراقبة اللغة وتطورها، والسير بها في الاتجاه الصحيح، ما دمنا نمتلك قواعد ننطلق منها، وما دامت هذه القواعد الأقيسة التي تُمثل المعايير الصحيحة[1].

ثالثاً: طور النُّضوج والكمال والازدهار

حدَّد عددٌ من العلماء بداية هذا الطور من عهد أبي عثمان المازني البصري، ويعقوب بن السِّكِّيت الكوفي، إلى آخر عصر المبرد البصري، وثعلب الكوفي[2]، وهذا يُمثل الطبقة السابعة والثامنة لنحاة البصرة، والرابعة والخامسة لنحاة الكوفة، وهي الفترة الممتدة منذ الربع الأول للقرن الثالث، وحتى نهايته، ولكن علماء آخرين جعلوا هذا الطور يمتدُّ لفترة أطول من ذلك، إذ يرون أنَّه يمتدُّ لأكثر من قرنين من الزمن، حيث جعلوه يبدأ من أوائل القرن الرابع الهجري، وحتى الربع الأخير من القرن السادس الهجري[3].

ويُمكن القول بأنَّ "هذه الفترة أخصب فترات النحو العربي، بمقياس ما خلَّفت في هذا النحو من آثار كمية، وأضافت إليه إضافات موضوعية"[4]، وتمثلت الإضافات الكمية بالكم الهائل من الأعمال والمؤلفات التي قدَّمها النحاة واللغويون في هذا الطور، أمّا الإضافات الموضوعية فتمثلت بالآراء الفريدة، والمواضيع الجديدة التي قدَّمها العلماء في هذا الطور، فقد كان هذا الطور البداية الفعلية لمدرسة جديدة من مدارس النحو العربي، التي باتت تُعرف باسم المدرسة البغدادية.

وقد واصل النحاة في هذه الفترة ذات المسيرة التي سارها أسلافهم من الطور السابق، "فأكملوا ما فات السابقين، وشرحوا مجمل كلامهم، واختصروا ما ينبغي، وبسطوا ما يستحق،

---

(1) انظر: النشمي، أحمد، *المسائل الخلافية بين المدرستين الكوفية والبصرية*، (ص108).

(2) انظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص46)، ومحمد، محمد الشاطر أحمد. (1983)، *الموجز في نشأة النحو*، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (ص71).

(3) انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص170)، والملخ، حسن خميس، *نظرية التعليل في النحو العربي*، (ص51).

(4) أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص170).

وهذَّبوا التعريفات، وأكملوا الاصطلاحات، ولم يدعوا شيئاً منه إلا نظَّروه، ولا أمراً إلا فصَّلوه[1]"، وتميَّزت هذه الفترة بتشعُّب مسالك التأليف في العلوم اللغوية العربية، فكان العلماء ما بين "مؤلف للنحو وحده، ومصنف في الصرف وحده، ومنهم من خالط بينهما[2]".

لقد كان الطور الأول بصرياً خالصاً، أمَّا الثاني فكان بصرياً وكوفياً، وفي هذا الطور شاركت مدرسة بغداد النحوية إلى جانب المدرستين الأوليَّتين في صناعة النحو العربي، و"لم ينسلخ هذا الطور حتى فاضت دراساته في المدن الثلاث (البصرة، والكوفة، وبغداد) واغترف الجميع من منهله، وبذلوا الجهود الجبارة في استكماله، والإحاطة بجميع قواعده –وكان لهم ما أرادوا– فاستوى النحوُ قائماً على قدميه، ومثُلت صورته بارزةً للجميع[3]"، ومثَّلت هذه المرحلة انتقالاً مهماً للنظرية النحوية، إذ بدأت تنتقل من "مرحلة الأعراف غير المكتوبة إلى مرحلة البنود المكتوبة شبه القانونية، التي يترسمها النحاة في درسهم النحوي[4]".

وقد اتسم هذا الطور بسمتين أساسيتين، أمَّا "السمة الأولى: التفاوت الكمي، فإنَّ منها ما يقع في بضع صفحات، ومنها ما يقع في عدد من المجلدات، ومنها ما يتوسط بين بين، وأمَّا السمة الثانية: التنُّوع الموضوعي، فإنَّ منها ما يهدف إلى بيان مسألةٍ، أو شرح موضوعٍ، أو عرض رأيٍ، أو الاستدلال على فكرةٍ، ومنها ما يُقصد إلى استعراض القواعد ملخصةً أو مبسوطةً، مجردةً من الأدلة أو مستندة إليها، كما أنَّ منها ما يلجأ إلى شرح آثارٍ نحويةٍ سابقةٍ لنحاة سابقين، أو –في أحيان جد قليلة– معاصرين[5]".

ولعل أبرز الإضافات الموضوعية في هذا الطور، تتلخَّص في أربعة مجالاتٍ جديدةٍ للبحث النحوي، تتمثل في التالي:

---

[1] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص47).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص47).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ص48).

[4] الملخ، حسن خميس، *نظرية التعليل في النحو العربي*، (ص51–52).

[5] أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص171).

المجال الأول: البحوث التي هدفت إلى دراسة الأسس المنهجية التي تمَّ اتباعها في دراسة الظواهر اللغوية، وقواعدها النحوية، والتي اصطلح على تسميتها باسم علم أصول النحو[1].

المجال الثاني: البحوث التي لا تدرس الظواهر اللغوية وقواعدها النحوية منفصلةً عن الأصول التي اتُّبِعت في تناول الظواهر، ومن ثم بُنيت عليها تلك القواعد، وإنَّما يدمجهما معاً في دراسة شاملة من خلال تحديد مجالات الاختلاف بين التَّجمعات النحوية، واصطلح على تسميتها باسم المسائل الخلافية[2].

المجال الثالث: تسجيل تاريخ النحو ورصد أخبار النحاة بصورة مباشرة، فقد كان ذكر هذا التاريخ في السابق يأتي عرضاً، أمَّا في هذا الطور فبات فرعاً مستقلاً، حيث حرص عدد من النحاة على تناول نشأة النحو العربي، وتاريخ هذه النشأة، ودراسة مراحل تطوره وأعلامه[3].

المجال الرابع: تمثل في تلك المحاولة الفذة التي بلورها الإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني[4]، والتي تُعرف في تاريخ الفكر العربي باسم نظرية النظم[5].

ومن خلال هذه المجالات الأربعة، نرى أنَّ هذا الطور قد اشتمل على الكثير من الميِّزات؛ لأنه احتوى على مجالات نحوية جديدة ومهمة، وهي: علم أصول النحو، مسائل الخلاف النحوي، علم تاريخ النحو ونشأته، نظرية النظم، مما جعل هذا الطور يكون رائداً بين أطوار النحو المختلفة؛ لما فيه من هذه المجالات من أهمية كبيرة، وأثر في بناء الفكر النحوي.

كنا قد أردفنا على الأطوار السابقة أهمَّ العوامل المؤثرة في فكرها النحوي، أمَّا فيما يخصُّ العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في هذا الطور، سيتم دمجها مع الطور الرابع؛ لتشابه هذه العوامل، حيث سنولي هذه العوامل شيئاً من الاهتمام؛ لوجودها ضمن القرن السادس الهجري،

---

(1) انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص171).

(2) انظر: المرجع السابق، (ص171-172).

(3) انظر: المرجع نفسه، (ص172).

(4) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة. توفي سنة 471هـ. الزركلي، الأعلام، (ج144/7).

(5) انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص173).

وإبراز أثرها على الفكر النحوي الذي ساد بين علماء هذا القرن، وسنخصص الفصل الثاني لهذه المهمة.

رابعاً: طور المراجعة والتَّرجيح والبسط

يعدُّ هذا الطور خُلاصةً ونتاجاً للأطوار السابقة له، ولعل أبرز ما يُميِّز الطور انتهاء الخلاف، وانجلاء ما كان في القلوب من ضغينة، فقد "أذهبه تعاقب الأيام، وانقراض المتنافسين شيئاً فشيئاً[1]"، وتعدُّ بداية هذا الطور مع نهاية الطور السابق، وهي الفترة الواقعة ما بين القرن الرابع الهجري، وحتى السادس الهجري.

في هذه المرحلة وما قبلها نجد أنَّ علماء البصرة والكوفة ارتحلوا إلى بغداد، فتحلَّق حولهم طلاب العلم، وكان الأمر في بدايته يحمل العصبية، والخلاف بين البغداديين؛ لاختلاف مشاربهم وذلك "تبعاً لمن تتلمذوا عليه، فمنهم مَنْ أخذ عن البصريين، فغلبت عليهم النزعة البصرية، ومنهم من أخذ عن الكوفيين، فغلبت عليهم النزعة الكوفية[2]"، وبين هذين المذهبين ظهر طرف ثالث "أخذ عن المذهبين، ونظر إلى العلم نظرة خاصة مُتجردة عن العصبية[3]"، وصنع أصحاب هذا المذهب مدرسة نحوية ثالثة باتت تُعرف باسم المدرسة البغدادية، التي كانت قد بدأت بالظهور خلال الطور السابق، ولكن في هذا الطور اكتمل وتأكد ظهورها، وإلى جانب هذه المدرسة ظهرت مدارس نحوية أخرى، تمَّ تسميتها وفقاً للموقع الجغرافي التي نشأت فيه، حيث ظهرت المدرسة الشامية البصرية، والمدرسة الأندلسية المغربية.

وفي هذه المرحلة يُعَدُّ نحاة "القرنين الخامس والسادس حلقة الوصل بين المتقدمين من النحاة والمتأخرين، فقد كان لقرب هذا الجيل من المنابع الأولى بالتَّلَقِّي والمُشافهة، وما ظفر به نحاة هذا الجيل أيضاً من الكتب والمُصنَّفات التي عَمَرت بها دور العلم وخزائن المكتبات، قبل

---

[1] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص47).

[2] محمد، محمد الشاطر أحمد، *الموجز في نشأة النحو*، (ص86).

[3] المرجع السابق، (ص86).

أن تعصف بها عوادي الأيام، كان لذلك كله فضل حفظ آراء المتقدمين، مما أمدَّ النحاة المتأخرين بذلك الفيض الزاخر من الوجوه والآراء[1]".

وظهر عددٌ من العلماء الذين عدُّوا أنَّ هذا الطور، لم يُقدِّم جديداً للنحو العربي، ووصفوه بالجمود، وكان على رأسهم الدكتور علي أبو المكارم، الذي يؤكد أنَّ "ليس ثمة إضافة حقيقية إلى ما خلَّفته الأطوار السابقة، سواء من الناحية المنهجية أو في المجالات الموضوعية، ولعل أدقَّ وصف يمكن أن توصف به هذه الفترة كلها أنَّها فترة جمود، عكف فيها النحويون على اجترار ما قدَّمه الأسلاف من أفكار وآراء، واتجاهات وقضايا ومواقف أيضا، فتجاوزوا بذلك مجرد المحاكاة والتمثيل إلى التقوقع في إطار الموروث والتحجُّر فيه[2]".

وفي الردِّ على هذا الرأي نسلك مسارين، أمَّا المسار الأول: يتمحور حول سؤالٍ مهمٍّ، وهو: ما المدَّة التي حددها أصحاب هذا الرأي لهذا الطور؟ وللإجابة على هذا التساؤل وجب أن نعود خطوة إلى الوراء، ونلاحظ المدة الزمانية التي عيَّنوها للطور الثالث، حيث وجدنا أنَّهم يرون أنَّ الطور الثالث يستمر حتى أوائل القرن السادس الهجري، أي أنهم يتحدثون عن فترة غير تلك التي أرَّخ لها أغلب النحاة فيما يخصُّ الطور الثالث، الذي يرون أنَّه انتهى في أواخر القرن الثالث الهجري.

ويتحدَّث أصحاب هذا الرأي عن فترة زمنية قليلة إذا ما قُورنت بالأطوار السابقة، إذ يرون أنَّ الطور الرابع "امتدَّ إلى نحو خمسين عاماً[3]"، ومنهم من يرى أنَّه يبدأ من القرن السابع الهجري[4]، هذا فيما يخصُّ الفترة الزمنية التي خصصوها لهذا الطور، وعلى كلٍّ فإنَّ ما قُدِّم من رأي يصف تلك الفترة بالجمود والتقوقع هو رأي يحتاج لإعادة النظر؛ لأنَّ تلك الفترة كانت فترة انتقالية مهمة، حيث بدأ فيها وبعدها ينتقل النحو نقلة نوعية، إذ كان الاعتماد الأساسي على كتاب سيبويه، ثم حدثت ثورة فكرية من خلال كتب الألفيات، والتي تربع كتاب ألفية ابن مالك

---

[1] ابن الشجري، هبة الله بن علي. (1992)، *أمالي ابن الشجري: مقدمة التحقيق*، تح: الطناحي، محمود محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، (ص8).

[2] انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص174).

[3] أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص174).

[4] انظر: الملخ، حسن خميس، *نظرية التعليل في النحو العربي*، (ص82).

على صدارتها، حيث تمثل ذلك بنهضة جديدة في الفكر النحوي العربي، وكانت هذه الثورة في القرن السابع الهجري، والتي استندت وارتكزت على ما قدَّمه علماء القرن السادس الهجري، وأوائل القرن السابع.

وأمَّا المسار الثاني: يتمحور حول هذا السؤال: لماذا وصفوا هذه الفترة بالجمود؟ يبدو أنَّهم لم يقصدوا بالجمود ذلك الجمود العقلي الذي لا تفكير فيه، ولا رأي له، ولكنَّهم قصدوا بذلك أنَّ قواعد النحو العربي قد تم اكتمالها، ولا جديد فيها، وقد قال عن ذلك الشيخ محمد الطنطاوي متحدثاً عن النحو في الطور الثالث: " استوى النحوُ قائماً على قدميه، ومثُلت صورته بارزةً للجميع، وامتازت شخصيته، وأوفى الغاية التي ليس وراءها نهاية لمستزيد، ولا مرتقى لذي همة، فتمت أصوله، وانتهى الاجتهاد فيه بين الفريقين[1]"، أي أنَّ النحو قد تمَّ واكتمل في الطور الثالث، أمَّا الطور الرابع فلم يأتِ بجديدٍ، ولكن المتتبع لأحوال النحو في هذا الطور يجد أنَّه كان مهماً، إذ تمت فيه مراجعة قواعد النحو وأصوله، ثم تمَّت خلاله عمليةً مهمةً جداً وهي عملية الترجيح، وأول من خاض غمارها علماء بغداد، ثم تبعهم علماء المدارس الأخرى، كما تمَّت فيه عملية أخرى مهمة وهي عملية البسط، الذي تمَّ تبسيط قواعد النحو العربي، أي أنَّنا أمام ثلاث عمليات غاية في الأهمية وهي: المراجعة والترجيح والبسط، ومن هنا استمدَّ هذا الطور تسميته، كما أنَّه من غير المقبول أن نصف أي طور أو مرحلة من مراحل نشأة النحو وتطوره بالجمود والتحجُّر، حتى إنَّ من وصف الطور الرابع بهذا الوصف قدَّموا استثناءات تمثلت في ثورة ابن مضاء القرطبي، والمحاولات المميزة، والآراء الفكرية لكلٍّ من ابن هشام الأنصاري، والسيوطي[2]، ولا شكَّ أنَّ هذه المحاولات قد سبقها، أو شاركها كثير من المحاولات الفريدة، التي أضافت رونقاً وجمالاً للنحو العربي.

وفي ختام الحديث عن هذا الطور، نلاحظ أنّنا أمام طورٍ مهمٍّ من أطوار النحو العربي، فالمعلوم أنَّ لكلِّ عملٍ تمام، وتمام النحو حدث في هذا الطور، من خلال مراجعاته وترجيحاته، ولعل أهمَّ ما تميز به هذا الطور هو اختفاء التعصُّب المذهبي في النحو، وظهور العقلانية في الآراء النحوية.

---

[1] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص48).

[2] انظر: أبو المكارم، علي، *مدخل إلى تاريخ النحو*، (ص175-176).

أمَّا فيما يخصُّ العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في هذا الطور، والتي سيتم دمجها مع العوامل المؤثرة في الفكر النحوي للطور السابق، حيث سيُخصص الفصل الثاني لها؛ للحديث عنها بشيء من التفصيل؛ لأنها تلامس لبَّ دراستنا المخصصة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري.

الفصل الثانـي

العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري

المبحث الأول: الفقه ومذاهبه وأثره في الفكر النحوي

تعدُّ العوامل الدينية أهمَّ العوامل المؤثرة في الفكر النحوي، إذ كانت هي العامل الأساسي في ظهور النحو العربي، و"لا شكَّ أنَّ الباعث الأول لنشأة العلوم العربية هو الدين الجديد الذي أتاهم به محمد (ﷺ)، فاهتمامهم بأحكامه حفَّز على تدوين الفقه والحديث ثم نشأة العلوم المتعلقة بهما، وعنايتهم بالقرآن الكريم صرفهم إلى الاهتمام بقراءاته وتفاسيره وتاريخه، وذلك حملهم على ضبط اللغة وإحكام قواعدها"[1]، والمتتبِّع لعلم النحو وتاريخه، يُلاحظ مدى تقاربه وتأثُّره بالعلوم الدينية، وخاصة علوم القرآن الكريم، والفقه، والعقيدة، "وكان علم النحو أشدَّ العلوم تداخلاً مع علوم الشريعة، فهذا الإمام فخر الدين الرازي يرى أنَّ معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية"[2].

ويمكن القول بأنَّ الفقه من أبرز العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، حيث نجد "بين الفقه والنحو من التفاعُل والتمازُج الشيء الكثير، فلم يكن ثمة تحديد دقيق للأطر أو الدوائر التي يختصُّ بها علم دون الآخر، وبخاصةٍ في فترة نشأة تلك العلوم... ودلائل التفاعل بين العلوم الشرعية، وعلم العربية تظهر في مرحلة النشأة الأولى لعلم العربية، إذ ظهر علم النحو من أجل خدمة القرآن الكريم؛ حفاظاً على فصاحته وحفظاً للألسنة من اللحن"[3].

وكانت العلاقة بين الفقه والنحو تسير وفقاً لاتجاهين هما:

الاتجاه الأول: يتمثل في تأثير النحو على الفقه، ويبدو فيه الأثر الكبير "الذي تركه النحو العربي في المباحث الفقهية والمعالجات العلمية لمسائل الفقه، من حيث احتياج الفقيه للنحو في التفريق بين المعاني من جهة الألفاظ، ومن جهة اشتراط الأصولي معرفة العربية وعدَّه شرطاً من شروط بلوغ رتبة الاجتهاد"[4].

---

[1] الأفغاني، سعيد. (1957)، *في أصول النحو*، ط2، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، (ص90).

[2] صالح، محمد سالم. (2006)، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، (ص84).

[3] المرجع السابق، (ص84).

[4] صالح، محمد سالم، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، (ص87).

وتتعدد الأمثلة على ذلك: ومن أبرزها ما كان لدى الفقيه "ابن الحداد المصري، كانت له ليلة في كل جمعة يتكلم فيها في مسائل الفقه عن طريق النحو"[1]، ومن الأمثلة التي حدثت في القرن السادس الهجري، ما نجده عند أبي حامد الغزالي في كتابه المنخول، الذي يخرج فيه عن موضوع بحثه في الاستثناء ودلالته على تخصيص العموم، إلى مسائل في إعراب المستثنى بإلا، وفي وجوب نصب المستثنى إذا تقدَّم على المستثنى منه[2]، وهكذا نجد أنَّ النحو كان له دور كبير في أصول الفقه، ومباحثه المتنوعة، وأنَّ هناك تداخلاً واتفاقاً بين النحو والفقه.

الاتجاه الثاني: يتمثل في تأثير الفقه على النحو، ويبدو فيه التأثير "الذي تركه علم أصول الفقه بصورته الناضجة في محاولات وضع أصول العربية، وظهور هذا التأثير في مجالات متعددة من أصول النحو العربي"[3].

لقد سبق علم أصول الفقه في تدوينه علم أصول النحو، وكان علم أصول النحو متأخراً عنه، حيث كان التدوين الأول لأصول الفقه في القرن الثاني الهجري، أما التدوين الأول لأصول النحو كان في القرن الرابع الهجري، وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذين العلمين ظهرا عملياً قبل ذلك، ولكن هذا التوقيت لتدوينه وليس لظهوره.

إنّ أول تأليف مُدوَّن لأصول الفقه ما نُسب للإمام محمد بن إدريس الشافعي في رسالته التي كتبها استجابة لطلبٍ من المحدث عبد الرحمن بن مهدي، واشتملت على أكثر مباحث الشافعي في الأصول[4]، أمّا علم أصول النحو، فقد كانت البداية النظرية له على يد ابن جني، في كتابه الخصائص، ولم يكتمل هذا العلم، ويفرد له مؤلف خاص إلا على يد الأنباري في القرن السادس الهجري[5]، وسبق ابن جني عدة محاولات لتأليف بعض الأدلة الأصولية، إلا أنها كانت في القرن الثالث الهجري، أي بعد أصول الفقه بحوالي قرن من الزمان.

---

(1) الأفغاني، سعيد، *في أصول النحو*، (ص94).

(2) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1998)، *المنخول من تعليقات الأصول*، ط3، بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر، (ص238–239).

(3) صالح، محمد سالم، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، (ص87).

(4) انظر: المرجع السابق، (ص93).

(5) انظر: المرجع السابق، (ص94).

وبما أنَّ علم أصول الفقه كان قد اكتملت أصوله، فقد كان أحد أهم العوامل المؤثرة في تدوين علم أصول النحو، ونجد أنَّ النحاة يقرُّون بأنهم احتذوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنفية خاصة، فهذا ابن جني يقول: ينتزع أصحابنا العلل من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة؛ لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق[1].

وظهر هذا التأثير جلياً في القرن السادس الهجري حيث صرَّح أبو البركات الأنباري بهذه العلاقة، وأنَّ أصول النحو محمول على أصول الفقه[2]، وقد أوضح الأنباري هذه العلاقة بشكل صريح عندما تحدَّث في مقدمة كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف عن سبب تأليفه للكتاب، حيث قال إنَّ "جماعة من الفقهاء المتأدبين، والأدباء المتفقهين سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويِّي البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل بين الشافعي وأبي حنيفة"[3].

يتضح من كلام أبي البركات الأنباري مدى العلاقة القوية والمتداخلة، التي سادت في القرن السادس الهجري بين الفقه واللغة العربية، وخاصة عندما دمج بين علماء العربية والفقه، وأنَّ الطريقة التي اتبعها في رصد المسائل الخلافية كانت على ذات الطريقة التي سار بها الفقهاء في ترتيب ورصد المسائل الخلافية الفقهية.

كما ظهرت مظاهر تأثير أصول الفقه في أصول النحو ومجالاته من خلال ما قام به النحاة عند وضع أصوله مستعينين بذات التسمية لدى الفقهاء، فجعلوا التسمية أصول النحو على غرار تسمية الفقهاء لأصول الفقه، وتعريف النحاة لأصول النحو مطابق لتعريف الفقهاء لأصول الفقه [4].

---

[1] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (1952)، *الخصائص*، تح: النجار، محمد علي، القاهرة: دار الكتب المصرية، (ج1/ ص163).

[2] انظر: صالح، محمد سالم، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، (ص95).

[3] الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف*، تح: عبد الحميد، (ص5).

[4] انظر: عياض، محمد رضا. (2016)، *العوامل المؤثرة في أصول النحو عند ابن هشام الأنصاري*، مجلة الأثر، الجزائر، ع25، جوان/يونيو، (ص20).

وكان لظهور عدد من المذاهب الفقهية أثر كبير في الفكر النحوي الذي ساد بين نحاة القرن السادس الهجري، وكان لها أثر مباشر في توجيه الفكر النحوي لدى النحاة، وأبرز هذه المذاهب هو المذهب الظاهري، والآن نستعرض نبذة عن هذا المذهب، ثم نبرز أثره في الفكر النحوي، وردود بعض المذاهب عليه.

❖ أثر المذهب الظاهري في الفكر النحوي

كان المذهب الظاهري أحد أهم المذاهب الفقهية المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، والذي يقوم على الأخذ بظواهر النصوص، وهذا ما تميز به هذا المذهب عن غيره من المذاهب الفقهية، وهو ما أعطاه اسم الظاهرية.

ظهر المذهب الظاهري في المشرق العربي منتصف القرن الثالث الهجري، على يد داود ابن علي الأصفهاني (ت297هـ)، الذي "قلَّد الشافعي مدة، وتعصب له، ثم ترك تقليده واستقل بمذهب خاص بناه على ظواهر النصوص من القرآن والسنة، وترك كل أنواع الرأي من قياس واستحسان وغيرهما، فالأصول عنده الكتاب والسنة والإجماع، ويقصره على إجماع الصحابة"[1]، ثم انتقل هذا المذهب عن طريق عدد من المرتحلين من المغرب إلى المشرق طالبين العلم، حيث تأثروا به ونقلوه إلى المغرب العربي والأندلس، ومن أشهر الأندلسيين انتماءً لهذا المذهب، وتأثُّراً به علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ)، وكان أحد أكبر المنظرين له، الذين ساهموا في نشره في الأندلس، حيث "جاهد في نشر هذا المذهب والدفاع عنه، وألَّف كتاب المحلى في الفقه، وكتاب الإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه، وقد اشتُهر ابن حزم بأسلوبه الشديد في مناقشة أئمة المذاهب الأخرى، حتى مُلئت كتبه بالعبارات القاسية"[2].

سار المذهب الظاهري –خاصة عند ابن حزم– على عدة أسس، من أهمها :

1. الالتزام بالنص والاحتكام إلى الدلالة اللغوية الواضحة، فأتباع الظاهرية يرون أنَّ التكليف منوط بصدوره عن المُشرع الأول، ولا يُمكن حينها التعويل على مصادر

---

[1] شلبي، محمد مصطفى. (1985)، *المدخل في الفقه الإسلامي: تعريفه وتاريخه ومذاهبه– نظرة الملكيَّة والعقد*، ط10، القاهرة: الدار الجامعية، (ص206).

[2] المرجع السابق، (ص206).

مظنونة، تاركين اليقين الذي يمثله النص القرآني والبيان النبوي إلى القياس ومستلزماته بدعوى تعدد صور الفهم، فهم يرون أنَّ دين الله ظاهر لا باطن فيه، جهر لا ستر تحته، كله برهان لا مشاحنة فيه[1].

2. فتح باب الاجتهاد وتبديد أوهام التقليد، ودعوة الناس إلى ضرورة إمعان الفكر المؤطَّر ببيان اللغة؛ لفهم النصوص واستثمارها على أحسن وجه[2].

3. يهدف المنهج الظاهري إلى ربط النص بمنطق البيان؛ ليغدو واضحاً قابلاً للتحوُّل إلى سلوكيات وممارسات يومية في حياة الإنسان، أي أنَّها نظرة جديدة في الربط بين النص والواقع المُعاش، من خلال تعميم تطبيق المنهج على الفقه والأخلاق والعقيدة والسياسة وأحوال الناس أفراداً ومجتمعات[3].

ولعل أبرز ما تأثر به الفكر النحوي من خلال المذهب الظاهري، ومن خلال ما قدَّمه ابن حزم، يتمثل في أمرين: أمَّا الأول القياس، "فأهل الظاهر يرفضونه؛ لأنَّ فيه نقلاً للأحكام دون أن ينصَّ عليها نصٌّ، فقالوا لا يجوز الحكم البتة في شيء إلا بنص كلام الله (ﷻ) أو نبيِّه (ﷺ) أو إجماع من جميع علماء الأمة دون استثناء، وقد أقاموا حججهم على ما رووه من الأحاديث، أو تعلَّموه من طرق الجدل"[4].

وأمَّا الأمر الثاني العلل النحوية، ولعل أجرأ الآراء الظاهرية التي تبناها ابن حزم الأندلسي ومن اتفق معه هي إبطال العلل النحوية، ففي حديثة في باب كيفية أخذ المقدمات من العلوم نجده يقول عن النحو: "وأمَّا علم النحو فإلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، وأمَّا العلل فيه ففاسدة جداً"[5]، وبقوله بفساد العلل نجده قد قضى على

---

[1] انظر: بوقرة، نعمان. (2004)، *النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي: قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني وأبعاده المعرفية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، (ص17).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص18).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ص19).

[4] عمار، ربيح. (2009)، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ع5، جوان/يونيو، (ص288).

[5] ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي. (1959)، *التقريب لحد المنطق والمدخل إليه*، تح: عباس، إحسان رشيد، ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة (ص202).

أكثر أجزاء النحو، لكنه لم يفسر كيف يمكن أن يكون هناك نحو دون تلك العلل[1]، وتعد هذه المشكلة الأبرز فيما قدَّمه ابن حزم والظاهريون، حيث كانوا معاول هدم دون بناء.

وهكذا نرى أنَّ ابن حزم قد وطَّد "أركان هذا المذهب، وأقام له دولة علمية، واستطاع بمؤلفاته القيمة أن يجد له أتباعاً ناصروه، وتُوج ذلك كله بدولة الموحدين التي طبَّقت منهجه، وحدبت على علمائه في القرن السادس الهجري"[2]، وفي بعض فترات دولة الموحدين عمدت هذه الدولة إلى محاربة المذاهب الفقهية الأخرى، وخاصة المالكية، وعززت في المقابل المذهب الظاهري، ما أدى إلى تأثر بعض النحاة بهذا المذهب، ويظهر ذلك جلياً لدى أحد أبرز نحاة الأندلس في القرن السادس الهجري، وهو ابن مضاء القرطبي، الذي قال عنه الدكتور شوقي ضيف في مقدمته على تحقيق كتابه الرد على النحاة: "إنَّ من يرجع إلى نصوص كتاب الرد على النحاة يُلاحِظ ملاحظة واضحة أنَّ صاحبه ثائر على المشرق، وهي ثورة تعدُّ امتداداً لثورة أميره عليه، وأيضاً فإنه يُلاحِظ نزعة ظاهرية في ثنايا الكتاب، مما يؤكد صلة صاحبه بثورة الموحدين على كتب المذاهب"[3]، وكان ابن مضاء قد ألَّف هذا الكتاب في فترة ثورةٍ على فقه المشرق وفروعه؛ لأن عصر الموحدين والذي عاش فيه ابن مضاء، وكان قاضياً للجماعة فيه، تميز بهجوم واسع على المذاهب الأربعة – الحنفي، والشافعي، والحنبلي، والمالكي– إذ أمر يعقوب المنصور بحرق كتب هذه المذاهب، وفرض المذهب الظاهري على الناس[4].

في بداية كتابه يؤكد ابن مضاء على أهمية الإنجاز الذي قدَّمه النحاة، حيث يرى أنَّ النحاة "قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمُّوا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا"[5]، إلا أنه يرى أنَّ النحاة بالغوا في

---

[1] انظر: مطلق، ألبير حبيب. (1967)، *الحركة اللغوية في الأندلس: منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف*، بيروت: المكتبة العصرية (ص275).

[2] عيد، محمد. (1989)، *أصول النحو العربي: في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث*، ط4، القاهرة: عالم الكتب، (ص50).

[3] ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن. (1982)، *الرد على النحاة*، تح: ضيف، شوقي، ط2، القاهرة: دار المعارف، (ص19).

[4] انظر: حفيظة، يحياوي. (2011)، *إسهامات نحاة المغرب والأندلس في تأصيل الدرس النحوي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين*، الجزائر: منشورات مخبر الممارسات اللغوية– جامعة مولود معمري، (ص95).

[5] ابن مضاء، *الرد على النحاة*، تح: ضيف، (ص19).

ذلك لدرجة أنهم جعلوا النحو من العلوم الصعبة والمعقدة، حيث نراه يقول عنهم: "إلا أنَّهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أوردوه منها، فتوغَّرت مسالكها، ووهنت مبانيها، وانحطت عن رتبة الإقناع حججها"[1]، كما يقول عن كتابه: "قصدي أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ عليه"[2]، يبدو أنَّ ابن مضاء يرى أنَّ النحو قد أُضيف إليه عدد من الزوائد التي لا حاجة لها، وأنَّ العلماء قد وقعوا في بعض الأخطاء، "فعرض رأيه بجرأة غير مسبوقة، في شجاعة الواثق من علمه، المعتقد لمذهبه، لم يبالِ بتأخر عصره، ولا بنأي مصره عن منشأ النحو وموطنه، وخاض في تلك المبادئ التي كانت مثار الخلاف بين فقهاء الظاهرية، وأصحاب المذاهب، وهي القياس والتعليل والتأويل، ولكن بأدوات نحوية"[3].

حاول ابن مضاء أن يقدِّم عملاً يُسهِّل فيه أمر النحو، ولكن يؤخذ عليه أنَّه هدم دون أن يبني، وانتقد دون أن يصلح؛ لذا ظلت محاولته محدودة ولم تتجاوز حدود كتابه، ولعل أبرز دليل على ذلك، أنَّه كان الوحيد في القرن السادس الذي تبنَّى هذه الأفكار، حتى العلماء الذين ظهروا بعده لم يأخذوا بهذه الآراء؛ وظل كتابه طي النسيان سنوات طوال، حتى جاء الدكتور شوقي ضيف الذي حققه، وقدَّم عليه مقدمة مُطولة، أعاد من خلالها إحياء هذا الكتاب من جديد، ولكن من الناحية العلمية والنظرية، أمَّا من الناحية التطبيقية فلم يُحدث ذلك أي تقدُّم.

في ختام هذا المبحث: يمكننا أن نقول أنَّ العلاقة بين الفقه والنحو علاقة وثيقة، ومترابطة، وهما عِلْمان متلازمان يُكمِّل أحدهما الآخر، ولا شك أنَّ كلاً منهما قد أثَّر في الآخر، أو تأثر منه، وكان ذلك جلياً في كتب فقهاء ونحاة القرن السادس الهجري.

---

[1] ابن مضاء، *الرد على النحاة*، تح: ضيف، (ص72).

[2] المرجع السابق، (ص76).

[3] عمار، ربيح، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، (ص290).

المبحث الثاني: العقيدة والفرق العقدية وأثرها في الفكر النحوي

كان للعقيدة أثر واضح في صقل وبناء الفكر النحوي والتأثير عليه، كما كان للفكر النحوي أثر واضح في بعض المسائل والتفسيرات العقدية، فالعلاقة بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية علاقة تلازم، فلا غنى لأي منهما عن الآخر، وكان القرن السادس الهجري يزخر بعدد من الفرق الإسلامية، التي نشب بينهما كثيراً من الخلافات العقدية، وكان النحو العربي أحد هذه الأدوات المستخدمة من قبل هذه الفرق المتناحرة؛ ولهذا السبب وجدنا أنَّ عدداً من النحاة دافعوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان على رأسهم أبو البركات الأنباري، حيث أسهم "إسهاماً كبيراً في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على الخصوم من المذاهب المختلفة"[1]، ومن أهم المصنفات التي أعدَّها الأنباري للدفاع عن عقيدته كتابه: الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام، وقد علَّق مُحقق الكتاب عليه قائلاً: "تبيَّن لي أنَّ هذا الكتاب يكشف عن وجه جديد من شخصية الأنباري النحوي البارع، فلم يَعُد يُشتهر فقط باللغة والأدب وعلوم العربية، بل يجب أن يُضاف إلى أنَّه عالم من علماء العقيدة، يكتب فيها، ويدافع عنها بجهود موفقة"[2]، ونجد الأنباري في مقدمته على هذا الكتاب يقول: "فقد أودعت في هذا الكتاب الموسوم بالداعي إلى الإسلام فصولاً في أصول علم الكلام، تختص بالردِّ على من خالف الملة الإسلامية المعمورة المعالم، المنشورة الأعلام، المؤيدة بالبراهين القاطعة، والأدلة الساطعة الأنوار في ظلم شُبَه الأنام"[3].

ومن أبرز الظواهر العقدية التي كان لها أثرٌ جليٌّ في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري ظاهرة الاعتزال، فالمعتزلة "فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية؛ لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى احرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أُطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقدرية، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدة، والوعيدة"[4]،

---

[1] صالح، محمد سالم، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، (ص124).

[2] الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1988)، *الداعي إلى الإسلام*، تح: باغجوان، سيد حسين، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، (مقدمة التحقيق/ 8).

[3] المرجع السابق، (ص117).

[4] الجهني، مانع. (1420هـ)، *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*، ط4، الرياض: دار الندوة العالمية ، (ج1/ 64)، وانظر: التميمي، محمد. (2002)، *مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات*، ط1، الرياض: أضواء السلف، (ص86-87).

واتفق المعتزلة "على أنَّ الكلام محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت، كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه، فإنَّ ما وجد في المحل عرض قد فنى في الحال"[1].

يقوم مذهب المعتزلة على خمسة أصول، وجب أن تتوفر في الشخص حتى يكون معتزلياً، وهذه الأصول هي كالتالي:

1. التوحيد

يعدُّ هذا الأصل أهم الأصول التي قام عليها هذا المذهب، إذ يُعدُّون أنفسهم أشد الطوائف إيماناً بالتوحيد ودفاعاً عنه، ونتيجة لهذا التشدُّد نفوا أن يكون لله (ﷻ) صفات؛ لأنهم يرون أنَّ ذلك يقتضي القول بتعدد الآلهة، وبذلك خالفوا عقيدة السلف القائلة بقِدم القرآن، فقالوا بخلقه.[2]

كما اتفق المعتزلون على أنَّ "الله (ﷻ) لا تقوم له صفة من الصفات، وما وُصف به من الكلام فإنما هو فعل من أفعاله تعالى، يُحدثه ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والزجر والترغيب، وإذا أحدث (ﷻ) الكلام صحَّ أن يكون متكلماً، وهذا الكلام هو لفظ مكون من الحروف المنظومة والأصوات المقطَّعة المسموعة، وبناءً على هذا القول في كلام الله تعالى قالوا بخلق القرآن"[3].

2. العدل

يأتي هذا الأصل في الدرجة الثانية من حيث أهميته، واهتمام المعتزلة به، ويتفق المعتزلة في هذا الأصل مع سائر الفرق الإسلامية عليه، إلا أنهم طرحوا مسائل وموضوعات كثيرة ومتشعبة حول هذا الأصل، ومن تلك المسائل التي أثارها المعتزلة: مسألة القدر، وهل الإنسان مُخيَّر في أفعاله أم مُجبر، فقالوا بأنَّ الله (ﷻ) ليس له في أكساب العباد ولا الحيوانات صنع

---

[1] الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. (1975)، *الملل والنحل*، تح: كيلاني، محمد سيد، ط2، بيروت: دار المعرفة، (ج1/ 45).

[2] الربيعي، فالح. (2000)، *تاريخ المعتزلة: فكرهم وعقائدهم*، ط1، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، (ص42)، وانظر: الشهرستاني، *الملل والنحل*، (ج1 / 44).

[3] العليوي، يوسف. (2008)، *التوجيه البلاغي لآيات العقيدة: في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين*، ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ص20).

ولا تقدير لا بإيجاد ولا بنفي، وأنَّ الإنسان يمتلك الاختيار وحرية الإرادة في أفعاله؛ لأنهم يرون بأنَّه لو كان الإنسان مُجبراً في أفعاله ما كان الله ليحاسبه أو يعاقبه[1].

3. الوعد والوعيد

يتفرَّع هذا الأصل من الأصل الثاني (العدل)، ولا يختلفون في تفسيره عن سائر الفرق الإسلامية، إلا أنهم ينفون الشفاعة على اعتبار أنها تتنافى مع الوعيد، ويرون أنَّ مرتكب الكبيرة مخلَّد في النار[2].

4. المنزلة بين المنزلتين

يعدُّ هذا الأصل أكثر ما ميَّز المعتزلة عن غيرهم من الفرق، وهو الذي ارتبط بظهورهم ونشأتهم، حيث اتخذوا موقفاً وسطاً بين الخوارج والمرجئة[3].

5. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اتفقت جميع الفرق الإسلامية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنَّ المعتزلة افترقوا فيه عنهم، إذ ارتفعوا به من ناحية الوجوب إلى أصول الدين، أي أنهم يُعدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً من أصول الدين، وفي حين ترى الفرق الإسلامية الأخرى أنَّه يمثل فرعاً من فروع الدين مع الاختلاف في وسائل تطبيقه بين اللسان واليد والسيف، أمَّا المعتزلة فيرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذه الفريضة مع عدم إهمال الوسائل الأخرى. [4].

❖ ظاهرة الاعتزال وأثرها في الفكر النحوي

يقوم المذهب المعتزلي في الأساس على العقل وعلم الكلام والجدل والفلسفة؛ لذا نجده قد ترك آثاراً واضحة في الكثير من جوانب الحياة الفكرية، وخاصة في الجانب اللغوي منه، فلا يمكن لأحد "أن ينكر أثر المعتزلة ودورهم الإيجابي الفاعل في تحرير الفكر الإسلامي من حالة الجمود على النص واتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار، والاكتفاء بالنصوص القرآنية

---

[1] انظر: الربيعي، فالح، *تاريخ المعتزلة*، (ص43)، وانظر: الشهرستاني، *الملل والنحل*، (ج1/ 45).

[2] انظر: الشهرستاني، *الملل والنحل*، (ج1 / 45).

[3] انظر: الربيعي، فالح، *تاريخ المعتزلة*، (ص44).

[4] انظر: المرجع السابق، (ص43).

والأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر الإسلامي من مُشككين، وزنادقة، وملاحدة، وأصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى الغريبة عن روح الدين الإسلامي ومبادئه"[1].

وكانت ظاهرة الاعتزال من أبرز المؤثرات في الفكر النحوي خلال القرن السادس الهجري، ونجد ذلك واضحاً وجلياً لدى أحد أبرز نحاة القرن السادس الهجري وهو الزمخشري، الذي كان معتزلي المذهب، ومجاهراً به، وعن ذلك يقول ابن خلكان: "كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نُقل عنه أنَّه إذا قصد صاحباً له استأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب، وأول ما صنَّف كتاب (الكشاف) كتب استفتاح الخطبة: الحمد لله الذي خلق القرآن، فيقال أنه قيل له: متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه، فغيَّره بقوله: الحمد لله الذي جعل القرآن، وجعل عندهم بمعنى خلق، ورأيت في كثير من النسخ: الحمد لله أنزل القرآن، وهذا إصلاح الناس لا إصلاح المصنِّف"[2].

وقد برز أثر الاعتزال في فكر ومنهج الزمخشري من خلال استخدامه اللغة والبلاغة والنحو في تقرير عقيدته الاعتزالية، حيث نراه استغل اللغة والنحو في تفسير كلام الله (ﷻ) ومبيناً لمعانيه، وموضحاً لأغراضه، حيث نراه يرجّح إعراباً على إعرابٍ، ويحمل كلام الله (ﷻ) على وجه دون الآخر، بل ويقلِّب الوجوه للوصول إلى المعنى الذي يتلاءم في عقيدته الاعتزالية، أي أنَّه يستخدم علمه في النحو إرضاءً لمعتقده الاعتزالي، ودعماً لآرائه التي تخدم هذا المعتقد[3].

يمثل كتاب الكشَّاف للزمخشري "ذروة نضج الآراء الاعتزالية وتبلورها، ونحسُّ ونحن نقرأ للزمخشري أننا بإزاء عالم كبير قد استوعب جميع ما كتبه جيل المعتزلة الذين تقدَّموه، واختمرت هذه القراءات جميعها في ذهنه بعد أن صقلها عقول أدبائهم ومفكريهم أزماناً طويلة"[4].

---

[1] الربيعي، فالح، *تاريخ المعتزلة* (ص20).

[2] ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، (ج5 / 170).

[3] الجبالي، مهند. (2001)، *أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، الأردن، (ص15).

[4] قصاب، وليد. (1985)، *التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة*: حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدوحة: دار الثقافة، (ص226).

نجد أنَّ الزمخشري في كتابه الكشَّاف استخدم قواعد النحو العربي للانتصار لعقيدته الاعتزالية، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، نراه يتخلَّص من المعنى الظاهر لكلمة ﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ لأنه لا يتفق مع مذهبه القائل بعدم رؤية الله (ﷻ)؛ وحتى يبتعد عن هذا المعنى نجده يستعين بقواعد اللغة العربية؛ لإظهارها بمعنى آخر، وهو التوقُّع والرجاء، حيث يقول في تفسيره لهذه الآية: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ الوجه: عبارة عن الجملة، والناضرة: من نضرة النعيم، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، تنظر إلى ربها خاصةً، لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله (ﷻ): ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾[2]، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾[3]، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾[4]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[5]، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[6]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[7]، كيف دلَّ فيها التقديم على معنى الاختصاص. معلوم أنَّهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنَّ المؤمنين نظَّارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصحُّ معه الاختصاص، والذي يصحُّ معه أن يكون قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقُّع والرَّجاء"[8].

إنَّ المتتبع للآيات التي تسبق هذه الآية أو تليها يجد أنَّ الزمخشري يفسرها بكلمات قليلة، على نظرية المثل القائل: خير الكلام ما قلَّ ودلَّ، أمَّا هذه الآية فقد أطال الحديث عنها، وراح يُعطي تفسيرات وتوضيحات مُستعيناً بفكره النحوي؛ لأنها تلامس فكره الاعتزالي، وتتنافى مع معتقداته، فراح يُطيل الحديث عنها حتى تخدم عقيدته الاعتزالية، وقد عقَّب أحمد بن المنير

---

[1] [القيامة: 22-23].

[2] [القيامة: 12].

[3] [القيامة: 30].

[4] [الشورى: 53].

[5] [آل عمران: 28].

[6] [يونس: 56].

[7] [هود: 88].

[8] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2003)، *تفسير الكشَّاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تح: شيحا، خليل مأمون، ط3، بيروت: دار المعرفة، (ص1162).

على ما قاله الزمخشري –في حاشيته التي سمَّاها بالانتصاف فيما تضمنه الكشَّاف من الاعتزال– فقال: "ما أقصر لسانه عن هذه الآية، فكم له يدندن ويطيل في جحد الرؤية، ويشقّق القباء ويكثر ويتعمق، فلما فغرت هذه الآية فاه، صنع في مصادمتها بالاستدلال على أنَّه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول؛ لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله (ﷻ)، وما يعلم أنَّ المتمتع برؤية جمال وجه الله (ﷻ) لا يصرفه عنه طرفه، ولا يؤثر عليه غيره، ولا يعدل به (ﷻ) منظوراً سواه، وحقيق له أن يحصر رؤيته إلى من ليس كمثله شيء"[1].

ومن الأمثلة التي استخدم فيها الزمخشري قواعد النحو العربي تأثراً بعقيدته الاعتزالية، ما جاء في كتابه الفائق، حيث أراد نفي التشبيه عن الله (ﷻ)، حيث أورد في كتابه أنَّ أبا رَزين العُقيلي سأل رسول الله (ﷺ): "أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال (ﷺ): كان في عماء تحته هواء، وفوقه هواء"[2]، وعن تفسير هذا الحديث يقول الزمخشري: "هو السحاب الرقيق، وقيل: السحاب الكثيف والمطبق، وقيل: شِبْه الدخان يركب رؤوس الجبال، وعن الجرمي: الضباب، ولا بدَّ في قوله: أين كان ربُّنا؟ من مضاف محذوف، كما حُذف من قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[3]، ونحوه[4].

أراد هنا الزمخشري أن ينفي التشبيه عن الله (ﷻ)؛ انتصاراً لمنهجه الاعتزالي، فهو يرى أنَّ هذا الحديث يشبه في تفسيره الآية السابقة من سورة البقرة، والتي يقول في تفسيرها: "إتيان الله: إتيان أمر الله وبأسه"[5]، أي أنَّه يرى بأنَّ السؤال الذي طُرح في الحديث السابق (أين كان ربُّنا؟)، ليس المقصود به أين مكان الله (ﷻ)؛ لأن فكرهم الاعتزالي ينفي تشبيه الله

---

[1] درويش، محيي الدين. (1999)، *إعراب القرآن وبيانه*، ط7، دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ودار اليمامة، (مج8/ 156–157)، وحاشية/ الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص1162).

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1993)، *الفائق في غريب الحديث*، تح: البجاوي، علي محمد، وإبراهيم، محمد أبو الفضل، بيروت: دار الفكر، (ج3/ 26).

[3] [البقرة: 210].

[4] الزمخشري، *الفائق في غريب الحديث*، (ج3/ 26).

[5] الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص124).

(ﷻ) "جهةً، ومكاناً، وصورةً، وجسماً، وتحيزاً، وانتقالاً، وزوالاً، وتغيُّراً، تأثُّراً"[1]، وعليه فإنَّ الزمخشري سيعمد إلى تأويل كل ما يُخالف هذه العقيدة، وهذا يُشبه تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]، حيث يقول في تفسيرها: "﴿ **الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ أي: أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه؛ لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء؛ لأنَّ الاسم لا بدَّ له من مسمَّى"[3]، وعليه فإنَّ الزمخشري يرى أنَّ السؤال المطلوب هو: أين كان أمر الله وبأسه؟ وقد علَّق ابن المنير على تفسير الكشاف للآية السابقة في حاشيته على الكشَّاف فقال: "وهو يفرُّ من اعتقاد أنَّ الاسم: هو المسمَّى؛ لأنَّ ذلك معتقد أهل السنة"[4].

ومن آراء الزمخشري الاعتزالية ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ**﴾[5]، يرى أنَّ معنى لن "تأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غداً، فإذا أكَّدت نفيها قلت: لن أفعل غداً، والمعنى: أنَّ فعله ينافي حالي، و﴿**لَن تَرَانِي**﴾ تأكيد وبيان؛ لأنَّ المنفي منافٍ لصفاته (ﷻ)"[6]، لقد قام الزمخشري بهذا التفسير انتصاراً لمعتقده الاعتزالي الذي يُؤمن بأنَّ الله (ﷻ) لا يُرى أبداً، ويقوِّي تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[7]، "فالمعنى: أنَّ الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعالٍ أن يكون مُبْصَراً في ذاته؛ لأنَّ الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً، أو تابعاً كالأجسام والهيئات"[8].

---

[1] السامرائي، فاضل صالح. (1971)، *الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري*، بغداد: مطبعة الإرشاد، (ص211).

[2] [البقرة: 31].

[3] الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص71).

[4] حاشية المرجع السابق، (ص71).

[5] [الأعراف: 143].

[6] الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص385).

[7] [الأنعام: 103].

[8] الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص340).

ردَّ عدد من النحاة على الزمخشري فيما يخصُّ أداة النفي لن، حيث قال ابن هشام: "ولن تفيد النفي والاستقبال باتفاق، ولا تقتضي تأبيداً، خلافاً للزمخشري في أنموذجه، ولا تأكيداً خلافاً له في كشافه"[1]، وقال الأزهري: "ولا تقتضي لن تأبيد النفي خلافاً للزمخشري في أنموذجه؛ لأنها لو كانت للتأبيد لزم التناقض بذكر اليوم في قوله تعالى: ﴿**فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا**﴾[2]، ولزم التكرار بذكر أبداً في قوله تعالى: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**﴾[3]، ولم تُجمع مع ما هو لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى: ﴿**لَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي**﴾[4]، وتأبيد النفي في ﴿**لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا**﴾[5] لأمرٍ خارجي لا من مقتضيات لن، ولا تقتضي تأكيداً؛ أي النفي خلافاً للزمخشري في كشافه"[6]، ويقول السيوطي: "ذهب الزمخشري في مفصله إلى أنَّ لن لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل... وذهب في أنموذجه إلى أنَّها تفيد تأبيد النفي... وقال ابن مالك: حمله على ذلك في ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ أنَّ الله لا يُرى، وهو باطل"[7].

بعد مراجعة كتاب تفسير الكشَّاف[8]، وكتاب المفصل[9]، وجدنا أنَّ الزمخشري يقول بذلك، أي: (لن) لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل، أما فيما يخصُّ مسألة التأبيد فيها وبعد مراجعة كتاب الأنموذج وجدناه يقول: "لن نظيرة لا في المستقبل، ولكن على التأكيد"[10]، وقد

---

[1] ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين. (1994)، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: عبد الحميد، محيي الدين، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، (ص112).

[2] [مريم: 26].

[3] [البقرة: 95].

[4] [يوسف: 80].

[5] [الحج: 73].

[6] الأزهري، خالد بن عبد الله. (2000)، *شرح التصريح على التوضيح*، تح: عيون السود، محمد باسل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ج2/ 357).

[7] السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن. (1998)، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، تح: شمس الدين، أحمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ج2/ 286-287).

[8] انظر: الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: شيحا، (ص358).

[9] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2004)، *المُفصل في علم العربية*، تح: قدارة، فخر صالح، ط1، عمان: دار عمار، (ص312).

[10] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1999)، *الأنموذج في النحو*، تح: المنصور، سامي بن حمد، ط1، المنصورة: لسان العرب، (ص32).

علَّق على هذا الموضوع الدكتور فاضل السامرائي بقوله: "وأمَّا ما ذكره ابن هشام، والأزهري، والسيوطي، وغيرهم من أنَّ (لن) عنده تفيد التأبيد في الأنموذج، وأنَّ ذلك حمله عليه اعتقاده المعتزلي فوهم نُسب إليه"[1]، أي أنَّه يرى أنَّ ما أورده ثلة من علماء النحو التالين للزمخشري عبارة عن وهم ظنَّوه، وذلك بعد رجوعه لكتاب الأنموذج الذي وجد فيه كلمة التأكيد، وليس التأبيد، ولكن من غير المعقول أن يكون إجماع علماء أفاضل أمثال ابن هشام، والأزهري، والسيوطي وهماً، وخاصة أنهم أكَّدوا وجود مسألة التأبيد في كتاب الأنموذج، فكان لزاماً علينا مراجعة هذا الأمر، ومعرفة السبب الذي دفعهم لقول ذلك، فتمَّ الرجوع إلى عدد من النسخ القديمة والحديثة لكتاب الأنموذج، والعودة للكتب التي شرحته، فنتج لدينا التالي: عبارة (لن نظيرة لا في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد) وجدناها في النسخة التي قام سامي بن حمد المنصور بتحقيقها والاعتناء بها[2]، وكذلك في نسخة مطبعة الجوائب[3]، وكذلك في كتاب الفيروزج شرح الأنموذج[4]، أمَّا في كتاب شرح الأنموذج للأردبيلي[5]، وكتاب الفوائد العبدية شرح الأنموذج للموستاري[6]، فنجد أنَّ الشارحين قد أشارا إلى أنَّ بعض النسخ كُتبت بذات العبارة السابقة، وبعضها الآخر كُتبت بعبارة (التأبيد، بدلاً من التأكيد)، أمَّا بعد الرجوع إلى كتاب شرح عمدة السري على أنموذج الزمخشري فنجد أنَّ العبارة كالآتي (لن نظيرة لا في نفي المستقبل، ولكن على التأبيد)، وقد أشار الكاتب أنَّ ما دفعه لهذا هو اعتقاده الفاسد[7].

لعل هذه المراجعة قد بيَّنت لنا أنَّ بعض النُّسخ كُتبت بكلمة (التأبيد)، وربما هذه هي الكلمة الأصلية التي كُتب بها أنموذج الزمخشري، ولكن يبدو أنَّ النُّسَّاخ استبدلوا كلمة التأبيد،

---

[1] السامرائي، فاضل صالح، *الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري*، (ص216).

[2] الزمخشري، *الأنموذج في النحو*، تح: المنصور، سامي بن حمد، (ص32).

[3] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1289هـ)، *الأنموذج في النحو*، ط1، قسطنطينية: مطبعة الجوائب، (ص102).

[4] انظر: عسكر، محمد عيسى. (1289هـ)، *الفيروزج شرح الأنموذج*، ط1، مطبعة المدارس الملكية، (ص134-135).

[5] انظر: الأردبيلي، جمال الدين محمد بن عبد الغني. (1990)، *شرح الأنموذج في النحو: للعلامة الزمخشري*، تح: يوسف، حسني عبد الجليل، القاهرة: مكتبة الآداب، (ص190).

[6] انظر: الموستاري، مصطفى بن يوسف. (2015)، الفوائد العبدية *شرح الأنموذج للزمخشري*، تح: العجمي، فالح بداح (رسالة ماجستير غير منشورة)، عَمان: جامعة الشرق الأوسط، (ص281).

[7] انظر: الخصوصي، إبراهيم سعيد. (1312هـ)، *شرح عمدة السري على أنموذج الزمخشري*، ط1، بولاق (القاهرة): المطبعة الكبرى الأميرية، (ص281).

بالتأكيد بقصدٍ أو بغير قصدٍ، وإنَّ ما يُقوي هذا الرأي ما قام به العلماء الأفاضل السابق ذكرهم، والذين نقلوا عبارة (التأبيد) عن كتاب الأنموذج، فلا يُعقل أن يجمعوا على توهمٍ كما قال البعض.

من خلال ما سبق نلاحظ مدى تأثير العقيدة على الفكر النحوي وما يترتَّب عليه من تأويلات، وقد كان ذلك واضحاً جلياً لدى الزمخشري الذي جعل فكره النحوي وتأويلاته النحوية سلاحاً يدافع به عن عقيدته الاعتزالية، وأيضاً كان واضحاً لدى الأنباري الذي كان مُدافعاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن إذا نظرنا إلى جانب آخر من علماء القرن السادس الهجري فإننا نجد ابن الشجري الذي كان ينتمي إلى المذهب الشيعي، حيث لم يُؤثِّر ذلك على فكره النحوي، وقد قال عنه محمود الطناحي مُحقق كتابه الأمالي: "ومع انتماء ابن الشجري للعلوية، وكونه من أكابر علماء الإمامية، لم يُؤْثَر عنه أنَّه ألَّف أو كتب شيئاً عن عقيدة القوم، وأصول مذهبهم، بل دارت تصانيفه في فلك النحو واللغة والأدب، ولم يظهر في شيء من تصانيفه – وبخاصة الأمالي وهي أعظم تصانيفه– شيء من عقائد الشيعة أو أصول الإمامية"[1].

كما نجد أنَّ ابن الشجري قد استشهد بكلام عمر بن الخطاب (ﷺ)، ثم ترضَّى عليه[2]، وذكر أبي بكر الصديق (ﷺ)، ثم ترضَّى عليه[3]، وعثمان بن عفان (ﷺ)، ثم ترضَّى عليه[4]، ونلاحظ مما سبق أنَّ انتماء ابن الشجري للمذهب الشيعي لم يُؤثِّر عليه، ولم يكن أحد عوامل التأثير في بناء الفكر النحوي لديه.

---

[1] ابن الشجري، هبة الله بن علي، *أمالي ابن الشجري*، (مقدمة التحقيق/ ص28).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 262 و 420).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج1/ 263).

[4] انظر: المرجع نفسه، (ج1/ 266).

المبحث الثالث: الرحلات العلمية والتحولات السياسية وأثرهما في الفكر النحوي

1. الرحلات العلمية وأثرها في الفكر النحوي

أسهمت الرحلات العلمية في صقل الفكر النحوي، وخاصة في بلاد المغرب العربي والأندلس، وكانت هذه الرحلات أحد أهم العوامل المؤثرة في بناء الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، وكانت رحلات الأندلسيين تهدف "للأخذ عن علماء اللغة في المشرق، والسعي إلى لقائهم ورواية الأصول عنهم، وكانت هذه الرحلات أحياناً تقف عند حدود الأندلس نفسها، وأحياناً تتجاوز إلى القيروان، وأحياناً ثالثة تكون ارتياداً لكثير من المناطق الثقافية في المشرق"[1].

لقد كان طلاب الأندلس والمغرب وعلماؤها يتنقَّلون بين البلدات المختلفة في الشرق العربي؛ ليجمعوا في جِعابهم خلاصة ما توصَّل إليه علماء المشرق العربي.

ومن أبرز النماذج على هذه الرحلات العلمية، رحلة أبي موسى الجزولي، حيث انتقل إلى مصر؛ لإتمام رحلة علمية واسعة، "ولعل المركز العلمي لمصر وشهرة علمائها، وإغنائهم مجالس العلم بها، من العوامل التي جعلت أبا موسى يُفضِّلها على غيرها من الحواضر الإسلامية الأخرى، بحيث أقيمت له الظروف المواتية لطلب العلم، وتلقِّيه عن أشهر النابهين فيه، على أنَّ الرحلة العلمية إلى أرض الكنانة كانت أحد الأسس التي قامت عليها الحركة الثقافية بالمغرب"[2].

وأثناء تواجده في مصر حضر أبو موسى الجزولي مجلس أبي محمد عبد الله بن بري رئيس النحويين بالبلاد المصرية، وكان مرجعاً يُرجع له في علم العربية، وقيل أنَّ أبا موسى في ذلك الوقت لم يكن يُحسن الكثير من النحو؛ ولكن بسبب حبِّه له ومواظبته على طلبه، تمكَّن من

---

[1] مطلق، ألبير حبيب، *الحركة اللغوية في الأندلس*، (ص45).

[2] الزواوي، أحمد. (1984)، *أبو موسى الجزولي: عرض لحياته العلمية ومنهجه في البحث وتأثيره في حقل النحو ثم نقد لمنهجه*، المحمدية– المغرب: مطبعة موناستير، (ص40).

فهم طريقته والتكلُّم فيه، وعكف على قراءة النحو عند أبي محمد بن بري، وقرأ عليه تاج اللغة وصحاح العربية للجواهري[1].

وبعد أن انتهى الجزولي من رحلته بمصر، عاد إلى الأندلس، وتصدَّر الإقراء بالمَريَّة، وغيرها من مدن الأندلس، وتتلمذ على يديه مجموعة من علماء النحو، ومنهم الشلوبين[2].

2. التحولات السياسية وأثرها في الفكر النحوي

كانت السياسة لاعباً أساسياً في نمو وازدهار الفكر النحوي، وتُعدُّ السياسة أحد العوامل المؤسسة للنحو، فإذا نظرنا إلى بدايات النحو الأولى لوجدنا أنَّها كانت أبرز سبب في وجود النحو الكوفي، وظهور الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة.

لم تكن هذه الخلافات النحوية في أولها أكثر من المذاكرة وحكاية الأقوال المخالفة والرد عليها أحياناً، وكنا نجد سيبويه يورد لشيخيه يونس والخليل أقوالاً لهما، ثمَّ يخالفهما[3]، ولكن لمَّا تدخَّلت السياسة في ذلك أدّى لظهور مدرسة الكوفة النحوية، وساهم ذلك في ظهور التعصُّب بين أصحاب المدرستين، وتمسُّك كلُّ فريق برأيه، وبرزت تلك الخلافات عندما "قرَّب العباسيون الكسائي وتلاميذه، وخصُّوهم بتربية أولادهم، وبالإغداق عليهم إذ كان أهل الكوفة بالجملة أخلص لهم وأحسن سابقة معهم، على عكس أهل البصرة، فاجتهد المقربون في التمسُّك بدنياهم التي نالوها، ووقفوا بالمرصاد للبصريين"[4].

ومن أكثر الدلائل على إسهام السياسة في التأثير على الفكر النحوي المناظرة التي دارت بين سيبويه والكسائي، والتي عُرفت باسم المسألة الزنبورية[5]، وكما كان للسياسة دور بارز في التأثير على الفكر النحوي منذ نشأة النحو، كان لها تأثير بارز في القرن السادس الهجري، وهنا نشير إلى أنَّ الحالة السياسية في المنطقة العربية والإسلامية كان يعتريها تمزق

---

(1) انظر: الزواوي، أحمد. (1984)، *أبو موسى الجزولي: عرض لحياته العلمية ومنهجه في البحث وتأثيره في حقل النحو ثم نقد لمنهجه*، المحمدية- المغرب: مطبعة موناستير، (ص40).

(2) انظر: ضيف، شوقي. (1992)، *المدارس النحوية*، ط7، القاهرة: دار المعارف، (ص301).

(3) انظر: الأفغاني، سعيد. (د.ت)، *من تاريخ النحو*، بيروت: دار الفكر، (ص45).

(4) المرجع السابق، (ص45-46).

(5) انظر: المرجع نفسه، (ص49-51)، وانظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص52-56).

وتفكك سياسي، ولكن هذا "التمزُّق السياسي والإداري في المغرب والمشرق في هذا العصر قابله ترابط علمي، ذلك أنَّ الرحلات التي كان يقوم بها طلاب العلم جعلت التأثُّر والتأثير بعيدَي المدى، كما أنَّ تشجيع الدويلات –التي انشعبت من المملكة الإسلامية واستقلَّت– للمفكرين والأدباء، ومنافستها لبعضها في النفوذ والسلطان والحضارة ساهم –إلى حدٍّ كبير– في هذه النهضة الفكرية، وبذلك كان في انقسام الدولة وتقطُّعها قوةٌ للعلم ورواجٌ للأدب"[1].

وحتى نتعرَّف على هذه الصورة بشكل أدق سيتم التعرف على أثر التحولات السياسية في المشرق العربي، ثمَّ الانتقال للحديث عنها في المغرب العربي والأندلس.

أ. التحولات السياسية في المشرق، وأثرها في الفكر النحوي:

شهد القرن السادس الهجري كثيراً من التحولات السياسية، وتعرَّضت خلاله الأمة الإسلامية لكثير من الهجمات، وحدثت فيه معارك متعددة، وفي هذا العصر كانت الخلافة العباسية تنحصر سيطرتها الفعلية على بغداد وما حولها، أمَّا باقي البلدان فقد كانت خارج سيطرتها، وأبرز من حكم بعض المناطق في المشرق: الفاطميون في مصر، والأمويون في مصر والشام، والسلاجقة في بغداد والشام، ومن أبرز النماذج على العلماء الذين عاصروا هذه الدول ابن الشجري، الذي عاش في عصر السلاجقة، حيث تميَّزت هذه الفترة "بالتوسُّع في إنشاء المدارس، فلم يعد المسجد هو المكان الوحيد الذي يتحلَّق فيه التلاميذ وطلاب المعرفة، بل ظهر إلى جواره المدارس التي تَنَافس سلاطين السلاجقة ووزرائها في بنائها"[2].

وقد أدَّى وجود مثل هذه المدارس إلى ازدهار العلم وتنمية الفكر العقلي، فالمدرسة النظامية في بغداد التي أسسها السلاجقة كانت قبلة الطلبة الوافدين من شتى الأقطار، فرادى وجماعات، مقيمين على الدرس، قد أغنتهم عن التفكير في متطلبات الحياة أوقات عظيمة

---

[1] ابن الخشاب، أبو محمد عبد الله بن أحمد. (1972)، *المرتجل*، تح: حيدر، علي، دمشق: طبعة خاصة (د.ن)، (مقدمة التحقيق/ 5–6).

[2] ابن الشجري، *أمالي ابن الشجري*، (مقدمة التحقيق/ 18).

قضوها في هذه المدارس، ساهمت المدرسة النظامية وغيرها في ظهور عددٍ مهمٍ من العلماء الأفذاذ الذين تركوا بصماتهم في مختلف الميادين[1].

ومن النماذج على تداخل السياسة بالفكر، ما كان مع ابن بَرّي في مصر، حيث تم اختياره ليتولَّى التصفُّح في ديوان الإنشاء، وهو في الحادي والعشرين من عمره، وعندما كان يُصدَر كتابٌ عن الدولة إلى ملك من الملوك لا يتمُّ إرساله إلا بعد اطلاعه عليه، ويقوم بالتعديل عليه إن لزم الأمر، ثمَّ يُرسل بعد موافقته، وكان ابن بَرّي قد تولى هذا العمل خلفاً لمحمد بن بركات السعدي، المتوفى سنة 520هـ، الذي تولَّاه خلفاً لابن بابشاذ، المتوفى سنة 469هـ[2]، وكان هذا التعيين في أواخر عهد الدولة الفاطمية، ولما جاءت الدولة الأموية، حفظت مكانة هذا العالِم، وإنَّ عدداً من حكَّام الدولة الأيوبية تعلموا عنده، وكان على رأسهم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، ومنهم أيضاً: الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين، والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، وغيرهم[3].

بالرغم من التحوُّل السياسي المهم الذي حدث في مصر، والمتمثل في إسقاط الحكم الفاطمي، وقيام الحكم الأيوبي، والرجوع بمصر للخلافة العباسية، إلا أنَّ ذلك لم يساهم في دفع عجلة العلم للأمام بشكل كبير؛ لأنَّ "قيام الدولة الفاطمة، وامتداد سلطانها إلى المغرب ومصر كان له أثره السلبي على الرحلة إلى المشرق، نظراً لسوء الظروف السياسية السائدة في المشرق"[4]، وكان لفترة الحكم الطويلة التي حكمتها الدولة الفاطمية أثر كبير في عدم النهوض الواسع للعلم زمن الدولة الأيوبية؛ لأنَّ آثار أكثر من مائة عام لا يُمكن إزالتها في بعض أعوامٍ، ولعل الباحثين يستطيعون إدراك ذلك، فالنهضة الكبيرة لمصر، وللفكر النحوي فيها كان في

---

(1) انظر: ابن الخشاب، *المرتجل*، (مقدمة التحقيق/ 6).

(2) انظر: ابن بَرّي، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش. (2003)، *خمسة نصوص محققة: (مسائل منثورة في التفسير/ شروط الحال/ رسالة في لو/ تسمية الشيء/ فصول في العربية)*، تح: الضامن، حاتم صالح، ط1، دمشق: دار البشائر، (مقدمة التحقيق/ 7)، وانظر: ابن بَرّي، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش. (1980)، *التنبيه والإيضاح عما وقع في الصِحاح*، تح: حجازي، مصطفى، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب، (مقدمة التحقيق/ 41-42)، وانظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3 / 108-109).

(3) انظر: ابن بَرّي، *خمسة نصوص*، (مقدمة التحقيق/ 10).

(4) عصيدة، فادي. (2006)، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، (ص26)، وانظر: مطلق، ألبير حبيب. (1967)، *الحركة اللغوية في الأندلس*، (ص106).

القرن السابع الهجري، أي أنَّ الدولة الأيوبية مهَّدت الطريق أمام هذه النهضة الفارقة في تاريخ النحو العربي.

ب. التحولات السياسية في المغرب العربي والأندلس، وأثرها في الفكر النحوي:

شهدت بدايات القرن السادس الهجري حكم المرابطين للأندلس، وكانت هذه الفترة حافلة بالمعارك وعدم الاستقرار، وأبرز ظاهرة حصلت فيه تمثلت في بروز الفقهاء، وسيطرتهم على المشورة، ومن أبرز المظاهر التي تُبيِّن سيطرة الفقهاء عندما أمر علي بن يوسف الأمير المرابطي بحرق جميع نسخ كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وتهديد كل مَن يحتفظ به[1]، وقد كان لهذا الأمر تأثير بارز على الفكر بشكل عام، وعلى الفكر الديني والنحوي بشكل خاص، فمثلاً: "نجد أنَّ السهيلي لا يذكر كتاب إحياء علوم الدين بين مصادره في كتبه كلها، على الرغم من ذكره لبعض كتب الإمام الغزالي"[2].

كما شهدت هذه الفترة هجرة كثيرٍ من العلماء إلى خارج الأندلس؛ بسبب سوء المعاملة التي كانوا يتعرَّضوا لها، مقارنة مع التشجيع الذي كانوا يحصلون عليه من الأمراء في عهد ملوك الطوائف، ومن أبرز العلماء الذين هاجروا من الأندلس: عبد الله بن أبي سعيد الأنصاري النحوي الغريشي، حيث رحل إلى مصر[3]، ومحمد بن طاهر بن علي بن عيسى أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي الداني النحوي، حيث رحل إلى دمشق، ثمَّ إلى بغداد[4]، وسلامة بن غيَّاض، أبو الخير النحوي الشامي، حيث رحل إلى مصر، وتتلمذ على يد ابن القطاع، ثمَّ غادر إلى العراق، حيث أقام في بغداد ثمَّ إلى البصرة، ورحل بعد ذلك إلى الشام[5].

من الواضح أنَّ عهد دولة المرابطين لم يشهد نهضة لغوية كبيرة؛ "فقد شهد حروباً مريرة، كان لها أثرها على صعيد العلم والمعرفة، وتميَّز بأنَّه عهد الفقهاء، حيث قرَّبهم علي بن يوسف

---

[1] انظر: البنا، محمد إبراهيم. (1985)، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، ط1، جدة: دار البيان العربي، (ص18).

[2] المرجع السابق، (ص18).

[3] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 108).

[4] انظر: المرجع السابق، (ج3/ 153).

[5] انظر: المرجع نفسه، (ج2/ 108).

بن تاشفين، وآثرهم بالرأي والمشورة"[1]، وإذا ما قارنَّا النشاط اللغوي في هذه الفترة مع النشاط اللغوي في الفترة السابقة –عصر ملوك الطوائف– نجده أنَّه قد تراجع كثيراً، لكنه لم يندثر، وظل جمع من العلماء نشيطين في المجال اللغوي، "فعلى الرغم من إشارة بعض الروايات إلى ضمور الحركة الفكرية الأندلسية في ظل دولة المرابطين عمَّا كانت عليه أيام ملوك الطوائف، إلا أنَّ الحركة العلمية والأدبية في الأندلس لبثت خلال العهد المرابطي تحتفظ بكثير مما كان لها أيام الطوائف من قوة وحيوية، كما درس أكثر عمال المرابطين في الأندلس على أيدي أشهر العلماء"[2].

وقد توزَّع العلماء في هذا العصر إلى فئتين: "فئة شغلتها الرواية والتدريس، وفئة أخرى اهتمت بالتصنيف والتأليف، ومن أعلام الرواية والتدريس في عهد المرابطين: أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن المذحجي، وأبو عبد الله بن سليمان ابن أخت غانم، وأبو قاسم بن محمد بن الرمَّاك، أمَّا أصحاب التصانيف في هذا العصر فأشهرهم: ابن السيد، وابن الطراوة، وابن الباذش، وسلامة بن غياض"[3].

وأيضاً من أبرز علماء اللغة في عصر المرابطين: أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري النحوي، وقد كان من أهل المعرفة بالآداب واللغة، مُتقدِّماً في علم القراءات، وأبو محمد بن أحمد بن عبد الله النحوي المعروف بابن اللجاش، وكان عالماً متبحِّراً في النحو، وأبو العباس أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله المعروف بالتدميري، وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن غزوان الفري، وكان من أهل المعرفة بالنحو والعروض[4].

أمَّا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري انتقل الحكم للموحدين، ويُعدُّ هذا العصر من أزهى عصور الأندلس، حيث تكاملت فيه الأسباب التي أدَّت إلى ازدهاره، حيث خرج الأندلس فيه من ضيق الحياة الفكرية إلى حريتها، بعد فترة من الزمن عاشه في ظلال دولة

---

[1] نعيم، مزيد، ومرجان، روفائيل. (2005)، *أبو الحسين ابن الطراوة وآراؤه في النحو والصرف*، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م27، ع2، (ص70).

[2] السامرائي، خليل، وآخرون. (2000)، *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس*، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، (ص341).

[3] نعيم، مزيد، ومرجان، روفائيل، *أبو الحسين ابن الطراوة وآراؤه في النحو والصرف*، (ص70).

[4] انظر: الصَّلابي، علي محمد، *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، (ص222).

المرابطين التي ساد فيها الجمود والتزمُّت الفكري، فاستعاد الأندلس عصوره الزاهرة[1]؛ ويرجع ذلك إلى أمرين مهمين، أمَّا الأمر الأول: "أنَّ ملوك الموحدين كانوا يقدِّرون العلوم والفنون حق قدرها، وأنَّ الدعوة إلى العلم كانت أصلاً من أصول داعيتهم محمد ابن تومرت، ومن ثمَّ كان ملوك الوحدين علماء، فعبد المؤمن بن علي مؤسس هذه الدولة كان عالماً جليل القدر، تجمع حاشيته العلماء والأدباء والشعراء من المغرب والأندلس"[2]، ومما يؤكد هذا الكلام ما أردفه المراكشي واصفاً أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: وهو من أوائل وأبرز حكام الموحدين، حيث يقول عنه: "أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم لأيامهم ومآثرهم وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام، صرف عنايته إلى ذلك أيام كونه بإشبيلية والياً عليها في حياة أبيه، ولقي بها رجالاً من أهل علم اللغة والنحو والقرآن، منهم الأستاذ اللغوي والمتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك، المعروف عندهم بابن فلْكون، فأخذ عنهم ذلك وبرع في كثيرٍ منه... وكان أحسن الناس ألفاظاً بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية"[3].

وعمد ملوك الموحدين على تشجيع العلماء والشعراء، فكان من أهم ما ترتَّب على ذلك أن ازدهرت إشبيلية، ونشطت المدارس الإقليمية في قرطبة، وغرناطة، ومالَقَة، وبَلَنْسِيَة، ومُرْسِية، وظهر في هذا العصر جمع من العلماء والأدباء والشعراء[4].

أمَّا الأمر الثاني الذي أدَّى إلى ازدهار الحركة اللغوية والفكرية في عصر الموحدين: "هو عودة أبي يوسف [يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن] إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ونبذ كُتب مذهب مالك، وهو المذهب الغالب على أهل المغرب والأندلس، فأُحرقت هذه الكتب"[5]، حيث سعى إلى قطع علم الفروع والعودة إلى الأصول، فأمر بإحراق كتب هذا المذهب بعد تجريد ما فيها من قرآن أو حديث؛ لأنه سعى إلى إخراج الناس من الجمود والتزمُّت الفكري، ويتحدَّث المراكشي عن ذلك فيقول: "لقد شهدتُ منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يُؤتى بالأحمال فتوضع، ويطلق فيها الناس، وتقدَّم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه،

---

(1) انظر: البنا، محمد إبراهيم، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، (ص30).

(2) المرجع السابق، (ص30).

(3) المراكشي، *المُعجب في تلخيص أخبار المغرب: من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، (ص175).

(4) انظر: البنا، محمد إبراهيم، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، (ص31).

(5) المرجع السابق، (ص31).

وتوعَّد على ذلك بالعقوبة الشديدة... وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمْل الناس على الظاهر من القرآن والحديث"[1].

وكان من أبرز نتائج ذلك أن علا شأن الحديث، وكثر المحدِّثون كثرة لم تُعرف في عهد سابق، ولكن حملة أبي يوسف على مذهب مالك لم تؤتِ ثمرتها التي كان يرجوها؛ لتغلغل مذهب مالك في نفوس المغاربة والأندلسيين[2].

لقد كانت دعوة الموحدين إيقاظاً لحرية الفكر بعد أن حاول المرابطون تقييدها، "ومما يلفت النظر في عصر الموحدين هو ظهور أعلام كبار في النحو، لهم اجتهادات وآراء جديدة في هذا الميدان، ومن أشهرهم أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مضاء القرطبي"[3].

ومن علماء النحو الذين برزوا إبان حكم الموحدين، أحمد بن محمد القيسي، من أهل جيان ويُعرف بالفندري، وأبو بكر بن سلمان بن سمحون الأنصاري، من أهل قرطبة، درس القراءات والعربية والآداب، وبرع في النحو حتى فاق سائر أقرانه، وعبد الرحمن بن محمد السلمي من أهل شرق الأندلس، وداود بن يزيد بن عبد الله السعدي النحوي، من أهل قلعة يحصب من عمل غرناطة، وعبد الله بن أحمد بن علي بن قريشي الحجري، من أهل قرطبة، ومحمد بن طاهر الأنصاري النحوي، من أهل إشبيلية، وإبراهيم بن محمد بن منذر بن أحمد بن سعيد بن ملكون الحضرمي النحوي، من أهل إشبيلية، وعدد آخر غيرهم[4].

وكان من نتائج رعاية الموحدين للعلم والعلماء، أن تقاطر العلماء على مراكش حاضرة الموحدين، وكان من أبرز وأهمِّ أعلامهم أبو القاسم السهيلي، وأقبل طلاب العلم من المغرب على معاهد الأندلس، فانتعشت الحياة الفكرية في هذين البلدين[5].

---

(1) المراكشي، *المُعجب في تلخيص أخبار المغرب*، (ص203-204).

(2) انظر: البنا، محمد إبراهيم، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، (ص32).

(3) السامرائي، خليل، وآخرون، *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس*، (ص350).

(4) انظر: غنان، محمد عبد الله. (1990)، *دولة الإسلام في الأندلس*، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، (العصر الثالث/ القسم الثاني/ 681-686).

(5) انظر: البنا، محمد إبراهيم، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، (ص33).

ختاماً نقول: إنَّ التحولات السياسية كانت عاملاً مهماً ومؤثراً في الفكر النحوي، حيث نجد أنَّها عزَّزت هذه العوامل الفكر النحوي في المشرق والمغرب، وأبرز صورها في المشرق عندما تدخَّلت السياسة في إشعال الخلاف النحوي، وما نجم عنه من إعمال لفكر النحاة، مدافعين عن اتجاهاتهم وآرائهم، وما نجم عنه من زيادة للموروث اللغوي والنحوي، أمَّا في المغرب فقد أتت على صورتين، الأولى في عصر المرابطين، حيث لم تولِ الدولة اهتماماً كافياً بعلماء اللغة، فتراجع الفكر النحوي في هذه الفترة، لكنه لم يندثر، واستمر دون قوته المعتادة، أمَّا الثانية في عصر الموحدين، فالصورة مختلفة تماماً، حيث أدَّى اهتمام الحكام بالعلماء إلى ازدهار الفكر النحوي، وتعبئته بروافد وآراء فكرية جديدة وفريدة.

الفصل الثالث

علماء القرن السادس الهجري في المشرق العربي والإسلامي

واتجاهات الفكر النحوي لديهم

المبحث الأول: أبرز علماء المشرق وأهمُّ مؤلفاتهم

لعبت البيئة الجغرافية دوراً مهماً وكبيراً في تحديد الاتجاه الفكري للنحاة، ويتفق أغلب نحاة العصر الحديث على تسمية الانتماء والاتجاه الفكري للنحاة وفقاً لبيئاتهم الجغرافية[1]؛ ويرجع سبب ذلك لملاحظتهم اتفاق أغلب نحاة البيئة الواحدة على الكثير من الأفكار والقواعد والنظم النحوية، فما كان من علماء النحو المعاصرين[2] إلا أنْ قاموا بتصنيف النحاة إلى مدارس نحوية (مدرسة بغداد، ومدرسة مصر والشام، ومدرسة المغرب والأندلس)، وذلك وفقاً للبيئة الجغرافية التي انتموا إليها، وقد ساروا على نهج العلماء المتأخرين[3] الذين اعتمدوا على البيئة الجغرافية في تسمية الاتجاهات الفكرية للنحاة، فكانت مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، وبعضهم قال مذهب البصرة ومذهب الكوفة، وآخرون قالوا نحاة البصرة ونحاة الكوفة، أي أنَّنا أمام تصنيف جغرافي لاتجاهات النحاة الفكرية، بغض الطرف عن التسمية.

وفي القرن السادس الهجري كانت الخلافة العباسية ضعيفة من الناحية السياسية، فبعد أن امتدَّ سلطانهم مشارق الأرض ومغاربها (انظر الخريطة 1)، قلَّ سلطانهم، ولم تعد تسيطر على جميع الأقطار العربية أو الإسلامية.

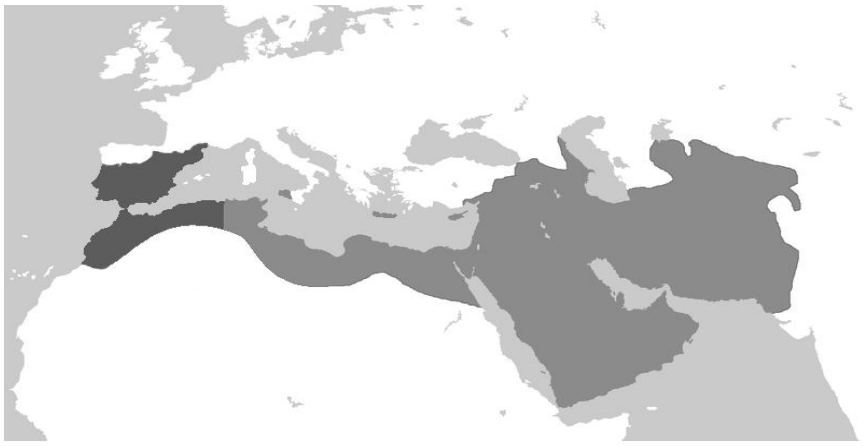

خريطة 1: تمثل هذه الخريطة أقصى اتساع للدولة العباسية

---

[1] انظر مثلاً إلى تقسيم الاتجاهات النحوية، أو المدارس النحوية في الكتب الآتية: (نشأة النحو لمحمد طنطاوي، والمدارس النحوية لشوقي ضيف، والمدارس النحوية لخديجة الحديثي).

[2] المعاصرون يبدؤون من القرن التاسع عشر الميلادي، حتى عصرنا هذا أمثال: محمد الطنطاوي، وسعيد الأفغاني، وشوقي ضيف.

[3] المتأخرون علماء المدرسة البغدادية ومن جاء بعدهم، أمثال: أبو البركات الأنباري، وابن برّي، والسهيلي.

ونازع الدولة العباسية على الحكم الكثير من الأطراف، وفقدت السيطرة على عدد من الأقطار، وأهمها مصر، التي ظلت قرابة قرن تحت سيطرة الدولة الفاطمية، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي الذي أسقط الفاطميين وأعاد مصر إلى كنف العباسيين، (انظر الخريطة 2) والتي تُبرز عدداً من الدول التي استقلَّت عن العباسيين.

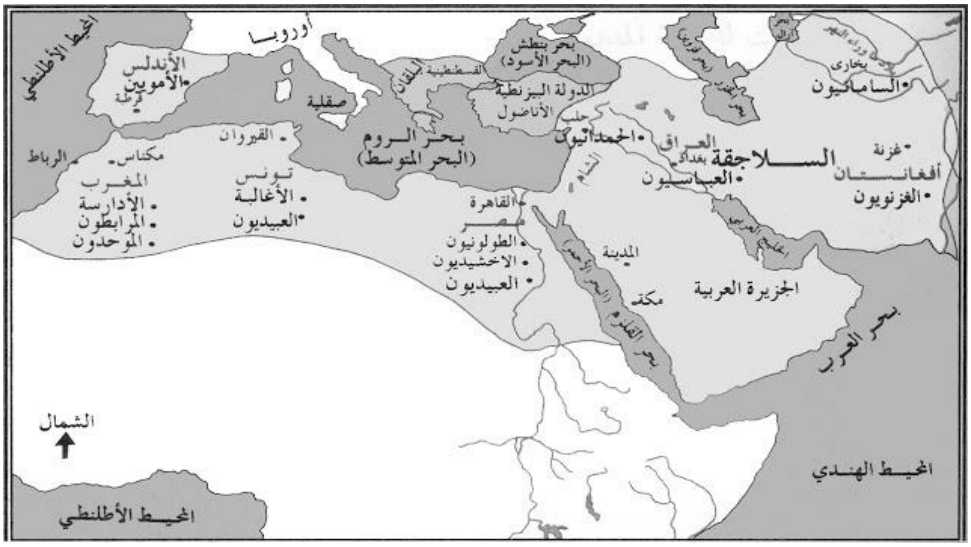

خريطة 2: أبرز الدول التي استقلَّت عن العباسيين

وكان تقسيم أقطار العرب والمسلمون في القرن السادس الهجري في المشرق جغرافياً كالتالي:

الجزء الأول من المشرق: بغداد وما حولها وأقصى الشرق أو ما تُعرف ببلاد ما وراء النهر، ومن أهم البلدان في هذا القطر إضافة إلى بغداد، الحجاز وما حولها، فبرغم أنَّها أهم البيئات من الناحية الدينية، لكنها لم تكن كذلك من ناحية الفكر النحوي، ومدارس النحو العربي، ولم يكن لها بروز حقيقي في ذلك الوقت، ومن بلدانه أيضاً بخارى وخرسان في أقصى الشرق، وكانت الكثير من هذه المناطق في القرن السادس الهجري تتبع الدولة العباسية شكلياً، (انظر الخريطة 3).

خريطة 3: تمثل هذه الخريطة الجزء الأول من المشرق والذي يضم: بغداد وما حولها، وأجزاء من الحجاز، وبلاد ما وراء النهر

الجزء الثاني من المشرق: وهذا الجزء يضمُّ مصر والشام، وكانت الشام تعد منطقة مهمة وحيوية في الكثير من النواحي؛ لأنها كانت حلقة الوصل بين بغداد ومصر، لكنها كانت مليئة بالصراعات السياسية، والمعارك الفاصلة، وكذلك تعد مصر منطقة أساسية ومهمة، فقد كانت حلقة الوصل بين الشرق والغرب، وفي القرن السادس الهجري حدث فيها تحوُّل سياسي كبير رسم ملامحها لقرون قادمة من الزمن، تمثل ذلك في إسقاط الحكم الفاطمي على يد صلاح الدين الأيوبي، (انظر الخريطة 4).

خريطة 4: تمثل هذه الخريطة الجزء الثاني من المشرق، والذي يضمُّ مصر والشام، بالإضافة إلى بعض الأجزاء من الحجاز، والمغرب الأدنى

وبرز في المشرق مدرستان للفكر النحوي، الأولى مدرسة بغداد النحوية، والثانية مدرسة مصر والشام النحوية، وكانت مدرسة بغداد الأبرز بينهم، حيث ضمَّت علماء المشرق الإسلامي، وعلماء بغداد وما حولها من المناطق المختلفة.

ونسعى من خلال هذا المبحث إلى تقديم ترجمةٍ لعدد من علماء النحو واللغة الذين برزوا خلال القرن السادس الهجري في المشرق، ثمَّ نتحدث عن اتجاهات الفكر النحوي لدى بعضهم والتي كانت تُمثل الأسس التي سارت عليها مدرستا النحو في المشرق (مدرسة بغداد، ومدرسة مصر والشام).

وفيما يلي نعرض أسماء أبرز علماء النحو واللغة في القرن السادس الهجري، وفقاً للتوزيع الجغرافي:

1. **بغداد وما حولها والمشرق الأقصى:**

أبرز علماء النحو واللغة في بغداد والحجاز والمشرق الأقصى في القرن السادس الهجري هم: أبو القاسم الزمخشري، والخطيب التبريزي، من بلاد ما وراء النهر، وابن الشجري، وابن الخشاب، وابن الدهَّان، وأبو البركات الأنباري، وابن الجواليقي، وعلي بن محمد الفصيحي، من بغداد وما حولها، وعلي بن محمد بن وهاس العلوي، عبد الله بن طلحة اليابري، من الحجاز.

2. **مصر والشام:**

أبرز علماء النحو واللغة في مصر والشام في القرن السادس الهجري هم: ابن القطاع السعدي، وابن بَرّي، محمد بن بركات، علي بن جعفر السعدي، من مصر، والحسن بن صافي المعروف بملك النحاة، وعثمان بن عيسى البلطي، من الشام.

❖ **تراجم نحاة القرن السادس الهجري في بلاد المشرق**

والآن نعرض لمحات من حياة عدد من هؤلاء العلماء، الذين تم اختيارهم ليمثلوا نحاة القرن السادس الهجري، وللحديث عن اتجاهات الفكر النحوي لديهم، وهؤلاء العلماء كان لهم بصمات واضحة ومؤثرة في الفكر النحوي.

أولاً: نحاة بغداد وأقصى المشرق

1. ابن القطَّاع: (433 – 515 هـ)

نسبه، ومولده: أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي بن إبراهيم بن الأغلب، المعروف بابن القطاع السعدي، وكان مولده بصقلية[1] في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة[2]، ارتحل إلى مصر ومكث فيها طويلاً، وتوفي فيها[3].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: بدأ ابن القطَّاع تعليمه بصقلية على يد والده وجده حيث كانا على دراية كبيرة باللغة والنحو، أمَّا عن شيوخه فلم تذكر كتب التراجم إلا ابن البر الصقلي حيث تعلَّم على يديه، وروى عنه الصحاح للجوهري[4]، وذكر السيوطي أنَّ ابن القطَّاع قد صحب إسماعيل بن علي بن أبي مقشر النحوي أبو الطاهر، وانتسب إليه[5].

أبرز تلاميذه: ظهرت الشهرة الحقيقية لابن القطاع بمصر، وكان أكثر تلاميذه فيها، أمَّا عن تلاميذه بالأندلس فلا تذكر كتب التراجم عنهم شيئاً؛ ولهذا السبب صنَّفه العلماء ضمن

---

(1) **صِقِلِّية:** بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلّيّة يفتحون الصاد واللام، من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1995)، معجم *البلدان*، ط2، بيروت: دار صادر، (ج3/ 416).

(2) انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1977)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: عباس، إحسان، بيروت: دار صادر، (ج3/ 322)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1979)، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح: إبراهيم، محمد، ط2، بيروت: دار الفكر، (ج2/ 153)، والقفطي، علي بن يوسف. (1986)، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، (ج2/ 236)، والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2000)، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، تح: المصري، محمد، ط1، دمشق: دار سعد الدين، (ص204)، والزركلي، خير الدين. (2002)، *الأعلام: قاموس تراجم*، ط15، بيروت: دار العلم للملايين، (ج4/ 269)، الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1993)، معجم *الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تح: عباس، إحسان، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ج4/ 1669).

(3) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 323)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص205)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1669).

(4) انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1669)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 153)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 323).

(5) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 451).

علماء مصر وليس الأندلس؛ لأنَّ جُلَّ تلاميذه فيها، ومن أبرز تلاميذ ابن القطَّاع: أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرّي بن عبد الجبار بَرّي، وهو أشهر تلاميذه، وأحد أبرز علماء القرن السادس الهجري، وقام بإكمال كتاب حواشي الصِّحَاح بعد أن ابتدأ به ابن القطَّاع وأسماه التنبيه والإفصاح، عما وقع من الوهم في كتاب الصِّحَاح، أو التنبيه والإيضاح عمَّا وقع في الصِّحَاح[1]، علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي، المتوفى سنة تسع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية، وقال عن ابن القطَّاع: لم أر قطّ أحفظ للعربية واللغة من أبي القاسم ابن القطاع الصقلي، وقرأت عليه كثيراً[2]، وأبو الخير سلامة بن غياض بن أحمد النحوي الشامي، كان أديباً فاضلاً، وله معرفة جيدة بالنحو واللغة، المتوفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة[3].

وفاته: توفي ابن القطَّاع بمصر في صفر سنة خمس عشرة وقيل أربع عشرة وخمسمائة، ودفن بقرب ضريح الإمام الشافعي[4].

أبرز مؤلفاته: ترك ابن القطَّاع الكثير من المؤلفات في مجالات عدة، حيث كتب في اللغة والعروض والأدب والتاريخ، وأبرز كتبه المطبوعة: كتاب الأفعال، وكتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، وهما كتابان في اللغة، ومن أبرز كتبه المفقودة: حواشي الصحاح، وتاريخ صقلية، والدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة، وهو مختارات من شعراء الجزيرة اشتمل على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت، ولمح الملح، والشذوذ، وغير ذلك[5].

---

(1) انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (1941)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، تح: شرف الدين، محمد، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (ج2/ 1072).

(2) انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1793– 1794)، والصفدي، صلاح الدين. (2000). *الوافي بالوفيات*، تح: الأرناؤوط، أحمد، ومصطفى، تركي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (ج21/ 146).

(3) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة* (ج2/67)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص146).

(4) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 324)، السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 154)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 236)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1669).

(5) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 154)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج20/ 175).

2. الزَّمخشري: (467 – 538 هـ)

نسبه، ومولده: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، ولد في زمخشر[1] يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، كما أنّه سافر إلى مكة فجاور بها زمناً، فلُقِّب بجار الله، وكان هذا اللقب علماً عليه[2].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: بدأ الزمخشري تعلُّمه في زمخشر، وبعد إلحاح من والده انتقل إلى خوارزم وأكمل تعليمه فيها، فنهل من منابع الثقافة المختلفة على أيدي ثلة من العلماء الأفذاذ، ومن أبرزهم: أبو مضر محمود بن جرير الضبّي الأصفهاني، وأبو علي الضرير، والسديد الخياطي، وأبي سعيد البيهقي، وركن الدين محمد الأصولي[3].

واصل الزمخشري رحلته في طلب العلم، فانتقل إلى بغداد ولقي فيها أبا منصور الجواليقي، وسمع من أبي سعد الشناني، ثم غارد إلى مكة المكرمة، ولقي فيها أبا بكر بن طلحة البابري الأندلسي، وقرأ عليه كتاب سيبويه، ولقي كذلك الشريف علي بن حمزة بن وهاس العلوي، ثم عاد إلى وطنه خوارزم، وبعد عامين عاد إلى مكة المكرمة وطالت مدة إقامته فيها، حيث قاربت أربع عشرة سنة، بعد ذلك غادرها عائداً إلى خوارزم، وفي طريق العودة مرَّ ببغداد، فزاره ابن الشجري النحوي، وأضحى الزمخشري فخر خوارزم، ومرجع العلماء فيها، وجابت شهرته أرجاء الأقطار العربية والإسلامية[4].

---

[1] **زَمَخْشر**: بفتح أوّله وثانيه ثمّ خاء معجمة ساكنة، وشين معجمة، وراء مهملة: قرية جامعة من نواحي خوارزم. انظر: الحموي، معجم *البلدان*، (ج3/ 147).

[2] انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2688)، والزركلي، *الأعلام*، (ج7/ 178)، والسمعاني، عبد الكريم بن محمد. (1980)، *الأنساب*، تح: اليماني، عبد الرحمن وآخرين، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (ج6/ 297)، وابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997)، *البداية والنهاية*، تح: التركي، عبد الله، ط1، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، (ج16/ 335)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 265)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج5/ 168).

[3] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 265)، وروّاي، صلاح. (2003)، *النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله*، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، (ص532)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2688).

[4] انظر: روّاي، صلاح، *النحو العربي*، (ص532)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2689).

أبرز تلاميذه: تنقَّل الزمخشري في كثير من الأقطار العربية والإسلامية، وكانت له بصمات في كل هذه الأقطار، وأينما ذهب التف حوله التلاميذ ينهلون من علمه الوافر، ومن أبرز تلاميذه: أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز بأبيورد، وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر، وأبو سعد أحمد ابن محمود الشاشي بسمرقند، وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم[1]، محمد بن أبي القاسم بايْجُوك المتوفى سنة 562هـ، أخذ عن الزمخشري اللغة وعلم الإعراب وجلس بعده مكانه[2]، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي المتوفى سنة 560هـ، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه، لا يشقُّ غباره في حسن الخط واللفظ[3].

وفاته: توفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة (538هـ)، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة[4].

أبرز مؤلفاته: أساس البلاغة، تفسير الكشاف، الأنموذج في النحو، المُفصَّل، الفائق في غريب الحديث، ديوان الزمخشري، القسطاس في علم العروض، الأحاجي النحوية أو المحاجاة بالمسائل النحوية، المستقصى في أمثال العرب، مقامات الزمخشري، وهذه كتب مطبوعة، وله غيرها الكثير، وهناك أيضاً عدد آخر من كتبه المفقودة.

3. ابن الشَّجري: (450 – 542 هـ)

نسبه، ومولده: الشريف هبة الله بن علي بن محمد الحسني، أبو السعادات، المعروف بابن الشجري البغدادي، كانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة، ويُقال أنَّ سبب

---

(1) انظر: السمعاني، *الأنساب*، (ج6/ 316).

(2) انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2618).

(3) انظر: المرجع السابق، (ج5/ 1961).

(4) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج5/ 173)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2689)، والزركلي، *الأعلام*، (ج7/ 178)، والسمعاني، *الأنساب*، (ج6/ 298)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/ 335)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 272).

تسميته بابن الشجري كانت من نَسب أمِّه، وقيل أنَّ سبب ذلك يرجع إلى قرية اسمها شجرة، أو إلى جدٍّ من أجداده[1].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: استفاد ابن الشجري من حكم السلاجقة واهتمامهم بالعلم والعلماء وبناء المدارس، فانكبَّ على مجالس العلم المتنوعة، لكنه برز في مجالس اللغة العربية وخاصة النحو العربي، ما جعله "أوحد زمانه، وفرد أوانه في علم العربية، ومعرفة اللغة، وأشعار العرب، وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب كامل الفضل"[2]، وتتلمذ ابن الشجري على يد عدد من العلماء أبرزهم: ابن فضال المجاشعي، والخطيب أبو زكريا التبريزي، وسعيد بن علي السلالي، وأبو المعمر ابن طباطبا العلوي، وسمع الحديث من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، وأبي علي محمد بن سعيد الكاتب وغيرهم الكثير[3].

أبرز تلاميذه: أقرأ ابن الشجري النحو قرابة سبعين عاماً، وتتلمذ على يده الكثير من التلاميذ الذين أضحوا علماء بارزين في النحو، ومن أبرز تلاميذه: ابن الخشاب النحوي، وأبو البركات الأنباري وهما من أبرز نحاة القرن السادس الهجري.

ومن تلاميذه أيضاً: حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني، أبو الغنائم من أهل واسط، قدم إلى بغداد وتعلم النحو على يد ابن الشجري، توفي سنة خمس وستين وخمسمائة[4]، والحسن بن علي بن عبيدة، أبو محمد المقرئ النحوي، ومن أهل الكرخ، كان لغوياً بارعاً، قرأ النحو على يد ابن الشجري ولازمه حتى برع فيه، توفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة للهجرة [5]، وزيد بن الحسن بن زيد بن سعيد بن عصمة بن الحارث، تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي، ثمَّ الدمشقي النحوي اللغوي المحدِّث، قرأ النحو علي يد أبي محمد الخياط وابن الشجري وابن

---

(1) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج6/ 45)، والزركلي، *الأعلام*، (ج8/ 74)، وابن كثير، *البداية والنهاية*. (ج16/ 346)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج27/ 174)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 356)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج6/ 2775).

(2) الحموي، *معجم الأدباء*، (ج6/ 2775).

(3) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج6/ 46)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج175/27)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج356/3)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج2775/6)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج324/2).

(4) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج1/ 492).

(5) انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج2/ 939).

الخشاب، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة للهجرة [1]، ومحمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج العتابي أبو منصور ابن أبي البقاء، كان إماما في النحو ومعرفة العربية، متصدراً لإقراء الناس، قرأ النحو على أبي السعادات بن الشجري، واللغة على أبي منصور الجواليقي، توفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة للهجرة[2]، وعمر بن أبي بكر بن محمد بن معمر بن طبرزذ، أبو حفص المحدِّث المشهور البغدادي، الملقب موفق الدين، روى الأمالي عن ابن الشجري، وأقرأها بدمشق، توفي سنة ست وخمسين وخمسمائة[3].

وفاته: توفي ابن الشَّجري يوم الخميس السادس والعشرين من رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ودفن في داره بالكرخ[4].

أبرز مؤلفاته: كتاب الأمالي الشجرية، وهو كتاب يشتمل على ما كان يمليه لتلاميذه من مسائل في النحو واللغة والعروض والبلاغة والصرف والقراءات والحديث والفقه، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وهو كتاب في اللغة، وكتاب الحماسة الشجرية، وهو مختارات شعرية لعدد من شعراء العصر الجاهلي وصدر الإسلام والأموي والعباسي، وله كتب أخرى مفقودة مثل: الانتصار وهو كتاب صغير ردَّ فيع على ابن الخشاب، وشرح اللمع لابن جني، وغيرها من المؤلفات الأخرى.

4. ابن الخشَّاب: (492 – 567 هـ)

نسبه، ومولده: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشَّاب أبو محمد ابن أبي الكرم النحوي، ولد في بغداد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة على أغلب الظَّنِّ، وكان مستهتراً في حياته، متبذلاً في عيشه وملبسه، كثير المزاح[5].

---

[1] انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج3/ 1330).

[2] انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 173).

[3] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 452).

[4] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج6/ 45)، والزركلي، *الأعلام*، (ج8/ 74)، وابن كثير، *البداية والنهاية*. (ج16/ 346)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج6/ 2776)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 324).

[5] انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج17/ 11)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 102)، وابن كثير، *البداية والنهاية*. (ج16/ 461)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 99)، والزركلي، *الأعلام*،=

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تعدَّدت مصادر الثقافة والعلم لدى ابن الخشَّاب، حيث قرأ القرآن الكريم بعدد من القراءات، وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة[1].

كان مولعاً بشراء الكتب، وإنْ علم أنَّ أحد العلماء قد مات قام بشراء كل كتبه، لدرجة أنه اشترى كتباً في أحد الأيام بخمسمائة دينار، ولم يكن يملك هذا المبلغ فباع منزله واشترى الكتب، وقبل أنْ يتوفى طلب أنْ تكون هذه الكتب وقفاً[2].

أخذ النحو عن أبي بكْر بن حوامرد القطَّان، وأبي الحسن علي بن أبى زيد الفصيحي الأستراباذي، وأبي السعادات بن الشجري، وأخذ اللغة عن أبي الحسن المحولي، وأبي منصور الجواليقي، والحساب والهندسة عن أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري، والفرائض عن أبي بكر المزرقي، وسمع الحديث من أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم بن الحصين، وأبي العز بن كادش[3].

أبرز تلاميذه: من أبرز التلاميذ الذين أخذوا عن ابن الخشاب النحو: أبو سعد السمعاني وأبو أحمد بن سكينة، وأبو محمد بن الأخضر[4]، وأحمد بن علي بن مسعود بن عبد الله المعروف بابن السَّقاء، أديب فاضل حسن المعرفة بالنحو[5]، وأحمد بن هبة الله بن العلاء ابن منصور المخزومي النحوي اللغوي، أبو العباس المعروف بابن الزاهد البغدادي. كان أديباً

=(ج67/4)، والسلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. (2005)، *ذيل طبقات الحنابلة*، تح: العثيمين، عبد الرحمن، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، (ج2/ 244)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 29).

[1] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 102)، والسلامي، *ذيل طبقات الحنابلة*، (ج2/ 245)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 30).

[2] انظر: السلامي، *ذيل طبقات الحنابلة*، (ج2/ 251).

[3] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 99)، والسلامي، *ذيل طبقات الحنابلة*، (ج2/ 245)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 30).

[4] انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 30).

[5] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 347).

فاضلاً، له معرفة بالنحو واللغة والعربية وأشعار العرب وغير ذلك[1]، ومحمد بن أحمد بن هبة الله بن تغلب الفِزْرَاني النحوي[2]، وغيرهم الكثير، كما كان له تلاميذ أخذوا عنه الحديث.

وفاته: توفي ابن الخشَّاب يوم الجمعة في الثالث من شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد، بباب الأزج بدار أبي القاسم ابن الفراء[3].

أبرز مؤلفاته: المُرجل، وهو كتاب في النحو، وله مخطوطات مثل: استدراكات ابن الخشاب على الحريري، وله الكثير من المؤلفات المفقودة مثل: شرح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني، وشرح اللمع لابن جني، وهو عبارة عن كتاب صغير لم يتمه، والرد على ابن بابشاذ في شرح الجمل، والرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو[4].

5. ابن الدَّهَّان: (494 – 569 هـ)

نسبه، ومولده: أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عبادة بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب الأنصاري (ﷺ)، المعروف بابن الدَّهَّان النحوي البغدادي[5]، ولد ليلة الجمعة الحادية عشرة من رجب سنة أربع – وقيل ثلاث – وتسعين وأربعمائة، بنهر طابق، وأصله من بغداد من محلة المقتديَّة[6].

---

[1] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 102).

[2] انظر: الموجع السابق، (ج3/ 53).

[3] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 104)، وابن كثير، *البداية والنهاية*. (ج16/ 461)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 101)، والزركلي، *الأعلام*، (ج4/ 67)، والسلامي، *ذيل طبقات الحنابلة*، (ج2/ 261)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 30).

[4] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 100)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج30/2).

[5] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج2/ 382)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 100)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج15/ 156)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 47).

[6] انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج3/ 1369)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 587)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 48).

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: ارتحل ابن الدَّهَّان إلى أصفهان طلباً للعلم، فسمع فيها من علمائها، واستفاد منها كثيراً، ثم عاد إلى بغداد، وظلَّ فيها زمناً، فالتفَّ حوله التلاميذ، آخذين منه الكثير مما صنَّف، وبالأخصِّ شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح اللمع لابن جنِّي، ثمَّ رحل إلى الموصل وتصدَّر الإقراء فيها، وظلَّ فيها حتى وفاته، وخلال وجوده في الموصل علم أنَّ بغداد قد أصابها الغرق، فغرقت كتبه، فحاول إصلاح أكبر قدر منها فأصيب بالعمى[1].

أمَّا عن شيوخه في اللغة والنحو فكتب التراجم لم تقف عليهم، ولكنَّنا وجدنا ياقوت الحموي يقول: "أخذ عن الرُّمَّاني اللغة والعربية"[2]، ولكنه لم يحدد مَن هذا الرُّمَّاني المُراد، فالرُّمَّاني الأشهر أبو الحسن علي بن عيسى المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[3]، فلا يُعقل أن يكون قد أخذ عنه؛ لأنَّه توفي قبل مولد ابن الدهَّان بأكثر من مائة عامٍ، أمَّا الرمَّاني أبو عبد الله أحمد بن على بن محمد النحوي المعروف بالشّرابي، فقد توفي سنة خمس عشرة وأربعمائة[4]، أي قبل مولد ابن الدَّهَّان بعشرات السنين.

أمَّا شيوخه في الحديث فكان أبرزهم: أبو القاسم، هبة الله بن محمد بن الحصين، وأبو غالب أحمد بن البناء، وغيرهما[5].

كانت آراؤه تلاقي قبولاً من الآخرين، فقد كان معاصراً لابن الجواليقي، وابن الخشَّاب، وابن الشجري، وكانت آراؤه تُرجَّح على آرائهم[6].

أبرز تلاميذه: تتلمذ على يدي ابن الدَّهَّان الكثير من التلاميذ، ومن أشهرهم: أبو الفتح تاج الدين عثمان بن عيسى بن منصور بن محمد[7]، وأبو السعادات المبارك بن محمد بن

---

(1) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 47-48).

(2) الحموي، *معجم الأدباء*، (ج3/ 1369).

(3) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 294).

(4) انظر: المرجع السابق، (ج1/ 123).

(5) انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج3/ 1369)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 587).

(6) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج2/ 382).

(7) انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج4/ 1610)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 135).

محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد[1]، وأبو الدر ياقوت ابن عبد الله الموصلي الكاتب، الملقب أمين الدين، المعروف بالملكي[2]، وغيرهم الكثير.

وفاته: توفي ابن الدَّهَّان يوم الأحد، بالموصل ليلة عيد الفطر سنة تسع وستين وخمسمائة[3].

أبرز مؤلفاته: كتاب الفصول في العربية، وكتاب شرح الدروس، وهما كتابان في النحو، والفصول في القوافي، وشرح أبنية سيبويه، وهما كتابان في اللغة، وغيرها من الكتب المطبوعة، وله الكثير من الكتب المفقودة مثل: الرياضة في النكت النحوية، الفصول في النحو، الدروس في العروض، المختصر في القوافي، الضاد والظاء، تفسير القرآن، الأضداد، العقود في المقصور والممدود، والمآخذ الكندية من المعاني الطائية، زهر الرياض، وغيرها الكثير[4].

6. أبو البركات الأنباري: (513 – 577 هـ)

نسبه، ومولده: كمال الدين أبو البركات، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن أبي السعادات عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري النحوي الفقيه، وكانت ولادته في الأنبار بالعراق في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة[5].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: بدأ الأنباري تعليمه من مسقط رأسه الأنبار، حيث أخذ الحديث عن أبيه، والقرآن عن خليفة بن محفوظ، ثمَّ رحل الأنباري إلى بغداد؛ ليأخذ عن

---

(1) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 257).

(2) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج6/ 119).

(3) انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج3/ 1369)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 587)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 48)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج2/ 383).

(4) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 587)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج3/ 1371)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 50).

(5) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/139–140)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/555)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 327)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 169).

علمائها، وظل فيها حتى وفاته[1]، وفيها قرأ الفقه الشافعي بالمدرسة النظامية على أبي منصور سعيد ابن الرزاز، وصار معيداً بالنظامية، وقرأ اللغة والأدب على أبي منصور بن الجواليقي، ولازم الشريف أبا السعادات ابن الشجري حتى برع في النحو، وأخذ أيضاً من أبي منصور محمد ابن خيرون، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، ومحمد بن عبد الله بن حبيب العامري، وغيرهم الكثير[2].

أبرز تلاميذه: تخرَّج على يديه عدد كبير من التلاميذ، ومن أبرزهم: أسعد بن نصر بن الأسعد أبو منصور النحوي العَبَرتي، المتوفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة[3]، وإسماعيل بن علي الحظيري، قدم إلى بغداد، وتتلمذ على يدي الأنباري، ومات بها في صفر سنة ثلاث وستمائة[4]،علي بن نصر بن هارون المقرئ أبو الحسن الحلي، سكن بغداد وقرأ الأدب على أبي محمد بْن الخشَّاب، ثمَّ على أبي البركات الأنباري، وكانت وفاته في شوال سنة خمس عشرة وستمائة[5]، مصدق بن شبيب ابن الحسين الصلحي أبو الخير النحوي، قرأ النحو على ابن الخشاب وعلى أبي البركات الأنباري، وتوفي في ربيع الأول سنة خمس وستمائة[6].

وفاته: توفي الأنباري ليلة الجمعة في التاسع من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة ببغداد، ودفن بباب أبزر بتربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازي[7].

أبرز مؤلفاته: تنوعت مخرجات الأنباري العلمية، فمنها ما كان عقدياً، ومنها ما كان فقهياً، ومنها ما كان نحوياً، فكان مصدراً من أبرز مصادر الفكر في القرن السادس الهجري،

---

(1) انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1985)، *سير أعلام النبلاء*، تح: الأرناؤوط، شعيب وآخرين، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، (ج21/ 114)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 147-148).

(2) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج21/ 113)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 147-148)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 169-170)، ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 139).

(3) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 441).

(4) انظر: الحموي، *معجم الأدباء*، (ج2/ 728).

(5) انظر: البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. (1417هـ)، *تاريخ بغداد وذيوله*، تح: عطا، مصطفى عبد القادر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ج15/ 310).

(6) انظر: المرجع السابق، (ج15/ 315).

(7) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/139)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج555/16)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 327)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 171).

ومن أبرز كتبه المطبوعة: أسرار العربية، والإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة، والإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والنحويين، وغيرها الكثير، ومن أبرز كتبه المفقودة: تصرفات لو، حلية العربية، الاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار، الإشارة في شرح المقصود، الأضداد، النوادر، تاريخ الأنبار، بداية الهداية، النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح، اللباب المختصر، منثور العقود في تجريد الحدود، التنقيح في مسلك الترجيح، نجدة السؤال في عمدة السؤال، الميزان في النحو وغيرها الكثير[1].

ثانياً: نحاة مصر والشام

1. ابن بَرّي: (499 – 582 هـ)

نسبه، ومولده: أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش بَرّي بن عبد الجبار بَرّي المقدسي المصري النحوي اللغوي، أصل سلفه من القدس، وكانت ولادته بمصر في الخامس من رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة[2].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: اهتم ابن بَرّي بدراسته منذ الصغر؛ لأنَّ أباه كان حريصاً على تعليمه، فأولى العربية اهتماماً كبيراً[3]، وتتبع ابن بَرّي مجالس العلماء، وتتلمذ على يد عدد من أبرز العلماء الوافدين إلى مصر، ومن أبرزهم: أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني المغربي النحوي، الذي قرأ عليه كتاب سيبويه، وأبو طالب عبد الجبار بن محمد بن علي

---

(1) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 87)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/139)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 327).

(2) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص167)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 34)، والزركلي، *الأعلام*، (ج4/ 73)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 108-109)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/ 578)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج4/ 1510)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 110).

(3) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ)، *لسان العرب*، (مج2/ 156).

المعافري القرطبي، حيث أخذ عنهما علم النحو، وأبو صادق المديني، وأبو عبد الله الرازي، حيث أخذ عنها علم الحديث، وجلس مع ابن القطَّاع وأكمل عنه حواشي الصِّحَاح[1].

أبرز تلاميذه: تصدَّر ابن بَرِّي للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وتحلَّق حوله التلاميذ آخذين عنه القرآن الكريم والحديث النبوي، وكتاب الصِّحاح للجوهري، وكتاب سيبويه، وغيرها من كتب وعلوم اللغة والنحو، ومن أبرز تلاميذه: العلامة المعروف أبو موسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت، المتوفى سنة 607هـ، وهو أشهر تلاميذ ابن برِّي، حيث أخذ عنه اللغة عندما زار مصر[2]، وأبو الطاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي المقرئ النحوي، كان من سادات المصريين وعلمائهم ونبلائهم، وعالماً بالقراءات والعربية، سمع الحديث من ابن بري وغيره، وأقرأ الناس زماناً، توفي في الثاني والعشرين من رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة[3]، وسليمان بن بَنِين بن خلف أبو عبد الغني المصري الدقيقي النحوي الأديب، حيث لازم ابن بري مدة في النحو وصنف في النحو والعروض، وتوفي سنة أربع عشرة وست مائة[4].

وفاته: توفي ابن بَرِّي في ليلة السبت السابعة والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة[5].

أبرز مؤلفاته: قدَّم ابن بَرِّي الكثير من المؤلفات، ومن أبرز مؤلفاته: التنبيه الإيضاح عمَّا وقع فيه الصِّحَاح، والفروق النحوية، وجواب المسائل العشر، وشرح شواهد الإيضاح، وغيرها من الكتب.

---

(1) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 34)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 108)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج4/ 1510)، وحاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، (ج2/ 1072).

(2) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 489)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص 226)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج4/ 1511)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 34 و 236).

(3) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 448).

(4) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج15/ 220).

(5) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 34)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 109)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/ 578)، والحموي، *معجم الأدباء*، (ج4/ 1510).

2. ملك النحاة: الحسن بن صافي (489 – 568 هـ)

نسبه، ومولده: أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن البغدادي النحوي المعروف بملك النحاة، ولد ببغداد ولد الحسن بالجانب الغربي من مدينة السلام بشارع دار الرقيق، في سنة تسع وثمانين وأربعمائة[1].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: انتقل ملك النحاة من مكان سكنه طالباً العلم، واهتم بالنحو حتى برع فيه، وتتلمذ على يد عدد من العلماء، ومن أبرزهم: أبو عبيد الله محمد بن أبى بكر القيرواني، حيث قرأ عليه علم الكلام، وأبو الفتح أحمد بن على بن برهان، قرأ عليه علم أصول الدين، وعلى أسعد بن أبى نصر الميهني، أخذ عنه علم الخلاف، وأبو طالب الزينبي، حيث سمع منه الحديث، وأبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيحي، أخذ عنه علم النحو[2].

أبرز تلاميذه: تنقَّل الحسن بن صافي في الكثير من البلدان مخلفاً وراءه عدداً من التلاميذ، حيث مكث مُدَّة يُعلِّم في بغداد، ثمَّ انتقل إلى خرسان، ثمَّ إلى دمشق، وفي دمشق كانت شهرته، وكان أكثر تلاميذه فيها، ومن أبرز تلاميذه: أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة الحلبي، وأبو طالب الحسين بن محمد بن أسعد بن الحليم، وروى عنه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن، وأبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني الواسطي[3]، و ومن تلاميذه أيضاً: علي بن الحسن بن عنتر المعروف بشميم الحلي، أخذ علم العربية عن أبي محمد بن الخشاب النحوي وأبي نزار الحسن بن صافي[4]، وأبو محمد فتيان بن علي بن فتيان بن ثمالٍ، الأسدي الشاغوري الدمشقي النحوي، أخذ العلم بالعربية والنحو عن أبي نزار الحسن

---

(1) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 340)، والزركلي، *الأعلام*، (ج2/ 193)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج2/ 92)، والبغدادي، *تاريخ بغداد وذيوله*، (ج15/ 158).

(2) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 340)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج2/ 93)، والبغدادي، *تاريخ بغداد وذيوله*، (ج15/ 158)، وابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد. (د.ت)، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، تح: زكار، سهيل، دمشق: دار الفكر، (ج5/ 2390).

(3) انظر: ابن العديم، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، (ج5/ 2390).

(4) انظر: الموصلي، كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار. (2005)، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان*، تح: الجبوري، كامل سلمان، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ج3/ 308)،

بن صافي، وكان عارفاً بعلم اللغة والأعراب، وكان معلم الصبيان بدمشق فترك التعليم وقعد لإقراء النحو والآداب والعربية[1].

وفاته: توفي الحسن بن صافي بدمشق يوم الثلاثاء الثامن من شوال، سنة ثمان وستين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين، ودفن بمقبرة باب الصغير[2].

أبرز مؤلفاته: ترك ملك النحاة عدداً من المؤلفات في مجالات عدة، حيث كتب في النحو والصرف والقراءات والفقه والأصول والشعر، ولكن أغلب مؤلفاته مفقودة، وبقي مؤلَّفه الذي أسماه: المسائل العشر المُتعبة للحشر، وردَّ عليه ابن بَرّي بكتاب جواب المسائل العشر، حيث قدَّم فيه إجابات على المسائل التي طرحها ملك النحاة، ومن أبرز مؤلفاته التي ذكرتها كتب التراجم: كتاب الحاوي، والتذكرة الشعرية، والمقامات، وكتاب في العروض، والعمدة في النحو والمنتخب في النحو، والمقتصد في الصرف، وأسلوب الحق في تعليل القراءات العشر، والحاكم في الفقه، وغير ذلك من الكتب[3].

---

[1] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج7/ 325)، والموصلي، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان*، (ج4/ 314).

[2] انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج2/ 93)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 341)، والزركلي، *الأعلام*، (ج2/ 193)، والبغدادي، *تاريخ بغداد وذيوله*، (ج15/ 159).

[3] انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو*، (ص114) والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 343).

المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المشرق العربي والإسلامي

توزَّعت اتجاهات الفكر النحوي في المشرق العربي والإسلامي إلى مدرستين نحويتين أساسيتين، هما: مدرسة بغداد النحوية، ومدرسة مصر والشام النحوية.

تعدُّ الأقطار الإسلامية الواقعة إلى الشرق من بغداد، والتي كانت تُعرف ببلاد ما وراء النهر أو أقصى المشرق، وتضمُّ عدداً من المدن المهمة مثل بخارى، وخوارزم، تابعة من الناحية الفكرية إلى بغداد، وظلَّت تابعة لها سياسياً فترات طويلة من الزمن.

أمَّا الشام، فقد كانت حتى النصف الأول من القرن السادس الهجري تابعة لبغداد من الناحية الجغرافية والفكرية، أمَّا سياسياً فقد كان حالها كحال أغلب الأقطار العربية والإسلامية، التي امتلأت بالصراعات والتحولات السياسية، بعضها أدان للخلافة العباسية ببغداد، والبعض الآخر عارضها، ثم أصبحت الشام –في أغلبها– تابعة لمصر جغرافياً وفكرياً وسياسياً، مع قيام الدولة الأيوبية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أمّا الجزيرة العربية، فكانت تتبع بغداد في فترات طويلة، ثمَّ تبعت مصر بعد الحكم الأيوبي لها، ولكنَّها كانت تتمتَّع باستقلالية سياسية وفكرية أكثر من غيرها من الأقطار الأخرى.

ويمكن بيان هذه الاتجاهات على النحو التالي:

أولاً: مدرسة بغداد النحوية

بدأت بغداد بالظهور والبروز في جميع النواحي الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فما إن قام خلفاء الدولة العباسية باتخاذها عاصمة لدولتهم "حتى استطاعت بغداد ببريقها الجذَّاب، ورفاهية الحياة فيها أن تجذب إليها العلماء على اختلاف تخصُّصاتهم، وتنوُّع مشاربهم، حيث كان تقريب الخلفاء لهم، وتشجيعهم، والبذل لهم، خير دافع لهم إلى الوقوف بأبواب الخلفاء والأمراء والوزراء، وعرض ما لديهم من علوم وأفكار وأشعار"[1].

وقد كان علماء الكوفة أسبق من علماء البصرة في دخول بغداد؛ ولهذا السبب نجد أنَّ النحو في بغداد بدأ كوفياً؛ وذلك بسبب قرب علماء الكوفة من الحكام والسلاطين، وخاصة أستاذ

---

[1] روّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته وتطوره* (ص441).

الكوفيين الكسائي، حيث وفد إلى بغداد "حاملاً معه نحو الكوفة، وعلمها وآراء العلماء فيها، فما كاد يصل خبره إلى الخليفة المهدي حتى قرَّبه إليه، وجعله في حاشية ابنه الرشيد"[1]، وكان لهذا التقرُّب دور كبير في "نشوء صراع شديد بين البصريين –حملة النحو البصري ذي الأسبقية والتقدُّم والأصالة، الذي قامت أصوله وثبتت أركانه، ونمت وتطوَّرت وبلغت مرحلة النُّضج والاكتمال، قبل أن تعرفه الكوفة بمائة عام أو يزيد، ونشأت دراساته ونمت قبل تمصير بغداد– والكوفيين الذين بنوا نحوهم على أصول الدرس النحوي البصري، وطوَّروا فيه بتغيير منهج درسه على ما ألفوه في مناهج بحثهم للعلوم الإسلامية من توسُّع في الروايات، وتعميم للقياس"[2].

عندما بدأت الأخبار تتوالى من بغداد عن مدى النعيم الذي يعيشه نحاة الكوفة في كنف خلفاء بني العباس، قرَّر بعض نحاة البصرة الرحيل إليها، "فشدَّ المبرد رحاله إلى بغداد، واحتال لإقامة مجلس له في مسجدها"[3].

وأحد أبرز العوامل التي أدَّت إلى ازدهار بغداد المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي، والتي تُعرف باسم المسألة الزنبورية[4]، كان هذا من أوائل المحاولات لبناء الفكر النحوي في بغداد، أمَّا المحاولة الأبرز فقد كانت عند وصول المبرد إلى بغداد، والتي تميَّزت بنجاحه في تأسيس مجلس للنحو له في النحو البصري، حيث كان يرفع صوته في المسجد يتحدَّث في مسائل نحوية؛ محاولاً الإيهام بأنَّه سُئل عنها؛ وذلك ليجذب انتباه الحاضرين، فبدأ طلبة العلم يتحلَّقون حوله، فأصبح في بغداد قطبان مهمان للنحو العربي، الأول كوفيٌّ يرأسه أبو العباس أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب، والثاني بصريٌّ يرأسه أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، "وهكذا التقت المدرستان في بغداد، مدرسة البصرة وزعيمها المبرد، ومدرسة الكوفة وزعيمها ثعلب، وأصبح لكل فريق مؤيدون ومشايعون، وكلٌّ يعرض بضاعته، ويستعرض علمه، ويقيم حججه، وبراهينه على نقض حجج الفريق الآخر، وتفنيد براهينه، حتى أصبحت جذوة المنافسة بينهما مشتعلة، وباتت نار المنافرة بينهما مستعرة"[5].

---

[1] روّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته وتطوره* (ص441).

[2] الحديثي، خديجة. (2001)، *المدارس النحوية*، ط3، إربد– الأردن: دار الأمل، (ص196–197).

[3] روّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته وتطوره* (ص445).

[4] انظر: جعفر، محمد عبد النبي، *اختلاف النحاة*، (ص303–304).

[5] المرجع السابق، (ص445).

في بدايات تكوين النحو في بغداد كانت أكثر المسائل النحوية كوفية؛ "لأنَّ الكوفيين غلبوا على أمرهم، فكان النفوذ في بغداد لهم، ولم يلبث هذا الشأن أن تغيَّر بعد حين، فبعد موت العصبية وانقراض المتأثرين بها رجعوا إلى تقدير المذهب البصري، والتنديد بالكوفي والحطِّ من حججه"[1]، فكان الاتجاه البصري هو "الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عُنيت بدراسة النحو"[2].

لقد حاول بعض الباحثين المعاصرين أن ينفي وجود المدرسة البغدادية، معتمدين في ذلك على من ينظِّمون أفرادها ضمن البصريين أو الكوفيين، وأنَّ علمين من أعلام جيلها الثاني ينسبان أنفسهما في البصريين، وهما أبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جنِّي، حيث كانا يعبِّران عن البصريين بكلمة أصحابنا، وينتصران للآراء البصرية، وكان ابن جنِّي يطلق في كثير من الأحيان على الكوفيين اسم البغداديين، ولكن لا يكفي أن ينسب أبو علي الفارسي وابن جنِّي نفسيهما للبصريين لنعدَّهما منهم، والمتتبع لمصنفاتهما يرى أنهما اتَّبعا مذهب المدرسة البغدادية الانتخابي، ولكن غلبت عليه النزعة البصرية، وبالنسبة لإطلاق ابن جنِّي اسم البغداديين على الكوفيين، فيرجع ذلك إلى أنَّ جمهور الجيل الأول من نحاة بغداد غلبت عليه النزعة الكوفية، فسمَّاهم الكوفيين تارة، وتارة سمَّاهم البغداديين[3].

ظلَّ المذهب البغدادي قوياً ومتماسكاً، ويقوم بدوره في البحث والتنقيب والتنظير والتوضيح والاستنباط، حيث كانت بغداد بلد الخلافة قوية ومتماسكة، وكانت محجاً للعلماء من كافة البلاد العربية والإسلامية، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه من المُسلَّمات أن ينمو ويترعرع العلم حيث كان الأمن والاستقرار، لكنَّ هذه الأمور تغيَّرت بسبب الأحوال السياسية في بغداد[4]، حيث ضعفت الخلافة العباسية، وعندما سيطر بنو بويه على الحكم شعر أهل العلم أنَّ البيئة لم تعد صالحة للبحث والدرس والتنظير والتصنيف، فاضطر بعضهم لمغادرة بغداد، والتفرُّق في البلاد شرقاً وغرباً، وبعد سقوط الدولة البويهية ووصول السلاجقة للحكم، تغيَّرت الأحوال وتحسَّنت إلى حدٍّ كبير، حيث اهتم حكام السلاجقة بالعلماء، الأمر الذي دفع العلماء إلى بذل الجهد في التنقيب

---

(1) الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص186).

(2) ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص248).

(3) انظر: المرجع السابق، (ص245-246).

(4) تمَّ الحديث عن هذه العوامل وأثرها في بناء الفكر النحوي، وتوجيهه في المبحث الثالث من الفصل الثاني في هذه الدراسة.

والترجيح والتنظير والتأليف والتصنيف، فكثرت في هذه الفترة المؤلفات والمصنَّفات، ولكن بعد انفراط الدولة العباسية وتحولها من خلافة جامعة إلى خلافة صورية، استقلَّت بعض الأقطار العربية، وأُقيمت فيها مماليك عدة، فانعكس هذا على الحياة الفكرية، وأدى إلى انفراط مذهب بغداد النحوي، وتوزُّع العلماء على مختلف الأقطار العربية والإسلامية[1].

لا شكَّ أنَّ للتفرُّق وانعدام الأمان آثاراً سلبيةً على الأمم وعلى المجتمعات في كافة مناحي الحياة، ولكنَّنا لامسنا جوانب إيجابية في انفراط المذهب البغدادي؛ لأنَّ ذلك أدَّى إلى انتشار العلماء، وارتحالهم إلى مختلف الحواضر العربية والإسلامية، وأدَّى هذا الانتشار إلى انتقال هذا العلم، وهذه الآراء والاتجاهات الفكرية إلى مختلف الحواضر العربية والإسلامية.

أخذت الأقطار العربية المستقلة عن الدولة العباسية تهتمَّ بالعلم والعلماء، وتعمل على تحفيز العلماء على مواصلة العطاء، وقد تأثَّر العلماء بهذا الأمر، وبالتالي تغيَّرت لدى العلماء تقاليدهم في انتسابهم "إذ كانوا قبلئذ ينتسبون غالباً إلى أصولهم كالدؤلي، والمازني، والجرمي، والزيادي، والليحاني، أو إلى صناعاتهم كالهراء، والزجاج، والنحاس، أو ما يتصل بهم على وجه ما كالكسائي، والزجاجي، فصاروا ينتسبون بعدئذ بكثرة إلى الأقطار المقيمين بها، أو المدن التي نشأوا فيها، فقيل: السيرافي، والفارسي، والرماني، والبغدادي، والتبريزي، والزمخشري، والأنباري، والعكبري، والسهيلي، والإشبيلي، والبطليوسي، والشمنتري، والمصري، والحلبي، والدمشقي"[2].

لقد تمَّ تقسيم علماء النحو في بغداد من الناحية التاريخية إلى قسمين هما: النحاة المتقدمون، والنحاة المتأخرون، حيث تمَّ تصنيف العلماء ابن درستويه، وابن الأنباري، ونفطويه، ومعاصريهم ضمن النحاة المتقدمين، وعُدَّ أبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وابن خالويه، بداية النحاة المتأخرين، وهذا الفصل يتَّفق مع الواقع؛ لأنَّ الفريقين عاشا زمناً مختلفاً من الناحية السياسية ومن الناحية الفكرية، فالعلماء المتأخرون بدأ عملهم مع انفراط المذهب البغدادي، وانشغالهم بعلم النحو في مماليك أو أقطار عربية وإسلامية، ذات حكم مُستقل عن الخلافة العباسية، وكان النحاة المتأخرون لا تجمعهم زعامة؛ لتوزعهم على أقطار مختلفة، واهتم علماء النحو في ذلك الوقت بتقصِّي المسائل التي حدث فيها خلاف بين البصريين والكوفيين، وتدوين

---

[1] انظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص189)، وروّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته وتطوره* (ص482-485).

[2] المرجع السابق، (ص194).

هذه الخلافات النحوية، والعمل على نقد هذه المسائل من خلال تصويب الآراء التي يرونها مصيبة، وتخطئة الآراء التي يرونها غير ذلك، بدون هوى أو ميل[1].

وكان الاتجاه الفكري السائد في القرن السادس الهجري بين علماء المدرسة البغدادية في النحو يقوم على الانتقاء والانتخاب لآراء البصريين والكوفيين، والآراء الجديدة التي قدَّمها عددٌ من علماء بغداد المتقدِّمين، وكان عملهم يقوم على احترام جميع الآراء النحوية دون تعصُّبٍ أو ميلٍ لرأي دون الآخر، ولكنَّ أغلب الآراء كانت تميل إلى موافقة الآراء البصرية، ومن أمثلة ذلك ما تحدَّث به ابن الشجري –في مجلسه السادس من أماليه– عن الكوفيين، حيث قال: "ولنحاة الكوفة في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من الحقيقية"[2].

أبرز الأسباب التي كانت تجعل نحاة بغداد المتأخرين يؤيدون في أغلب الأحيان النحو البصري تعود إلى، ظهور الإمامين النحويين البارزين أبي علي الفارسي، وابن جنّي، حيث كان ظهورهما "إيذاناً بأن تنزع المدرسة البغدادية نزعة بصرية قوية، وأن يسود اتجاهها في الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية، والاجتهاد في استنباط آراء جديدة"[3].

ويمكن لنا أن نقوم بتقسيم اتجاهات الفكر النحوي لعلماء المدرسة النحوية إلى ثلاثة أقسام وهي:

1. **الاتجاه الأول: أصحاب المذهب الكوفي**

وهم أوائل نحاة بغداد، وتبنُّوا آراء المدرسة الكوفية المحضة، وسعوا إلى نشرها، وتميَّزوا بالعصبية لها، وكانوا نواة النحو في بغداد، وعلى رأسهم أستاذ الكوفيين الكسائي، ثم أبي العباس ثعلب.

2. **الاتجاه الثاني: أصحاب المذهب البصري**

وهم الذين تبنوا آراء المدرسة البصرية المحضة، وكان وجودهم في بغداد يلي النحاة الذين تأثَّروا بالنحو الكوفي، وكان على رأسهم أبي العباس المبرد.

---

[1] انظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص191–192).

[2] ابن الشجري، *أمالي ابن الشجري*، (ج1/ 56).

[3] ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص276).

3. الاتجاه الثالث: أصحاب مذهب الانتقاء والانتخاب

وهم الذين تحرَّروا من قيود العصبية المذهبية، وكانت مصنفاتهم تقوم على الانتخاب، وترجيح الرأي الأقوى، مع إثبات ذلك بالدليل، وكانت أغلب آرائهم تميل إلى النحو البصري، وقد أردفنا سبب ذلك، فبعد موت العصبية المذهبية عادوا إلى تقدير المذهب البصري كونه الأصل، ونراهم يحترمون كافة الآراء، حتى وإن تبنوا أحدها، فلا يعيبون مذهباً، ولا يجرِّحون عالماً، ويقلِّلون من أهمية أحد الآراء، حتى وإن أثبتوا خطأه، وعلى هذه الخطى سار نحاة المدرسة البغدادية المتأخرون، ولمَّا انتشروا في الأمصار نشروا هذا الاتجاه فكان أساساً سارت عليه باقي المدارس النحوية، ويضمُّ هذا الاتجاه نحاة المدرسة البغدادية المتأخرين، مثل: الزمخشري، وابن الشجري، وابن الخشَّاب، والأنباري، وغيرهم.

ثانياً: مدرسة مصر والشام النحوية

لم تكن مصر والشام مهداً للنحو العربي كما كانت البصرة، أو الكوفة، أو حتى بغداد؛ لذلك قام عدد من علماء هذين القطرين بالوفود إلى العراق؛ ليسمعوا من علمائها، ثم عادوا إلى بلدانهم، وعمدوا على نشر هذا العلم في بلدانهم.

وساهمت رحلات بعض نحاة بغداد إلى الشام أو مصر في نشر علم النحو، والآراء النحوية المختلفة في هذه الأقطار، فقد "ورد بعض علماء العراق الشام، كالزجاجي، والفارسي وابن خالويه، وابن جني، وبعضهم مصر كالتبريزي"[1]، وكانت أغلب هذه الزيارات كرحلات لهؤلاء العلماء، وليس لاتخاذها مرتكزاً لنشر النحو في هذه الأقطار.

نشطت في مصر دراسات النحو فيها بشكلٍ مبكرٍ، وذلك تزامناً مع "العناية بضبط القرآن الكريم، وقراءاته، الأمر الذي أدّى إلى نشوء طبقة من المؤدِّبين كانوا يعلِّمون الشبيبة في الفسطاط والإسكندرية مبادئ العربية؛ حتى يحسنوا تلاوة القرآن الكريم"[2].

لقد كان للقراءات القرآنية وعلى وجه الخصوص قراءة "ورش المصري وتلاميذ مدرسته في الإقراء، الأثر الأكبر في ظهور مدرسة القرَّاء النحوية، التي قامت بدراسات لغوية نحوية، تُبين

---

[1] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص211).

[2] حمود، خضر موسى. (2003)، *النحو والنحاة: المدارس والخصائص*، ط1، بيروت: عالم الكتب، (ص204).

ما جاء في قراءات ورش أو في قراءات القرَّاء السبعة وغيرهم من ظواهر نحوية وصرفية وعرضها وشرحها ووضع قواعد وأصول عامة يتبعها من لا يعرف ذلك من الطلبة، الذين يقرأون بهذه القراءات، وكونت بحوثهم ودراساتهم نواة مدرسة مصر النحوية الأصيلة التي اتجهت نحو القراءات وما فيها من ظواهر خاصة بها، وظهرت في مقابل هذه مدرسة نحوية أخرى تهتم بالبحوث النحوية التي ظهرت في مراكز الثقافة في العراق كالبصرة والكوفة وبغداد من بعدهما، وقد نقلت نتائج هذه البحوث والدراسات إلى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي عن طريق العلماء الذين درسوا فيها ورحلوا إلى مصر كما فعل عبد الرحمن بن هرمز "[1].

ومن هنا يمكن القول بأنّ مصر اتصلت دراساتها النحوية في زمنٍ مبكرٍ بمدرستي البصرة والكوفة، وذلك من خلال ابن هرمز تلميذ أبي الأسود الدؤلي، وأبي الحسن الأعز الذي تتلمذ على يد الكسائي[2].

أمَّا في الشام فكان لتشجيع "بني حمدان في الشام وتمجيدهم للعروبة وعلمائها الداعي القوي في تحبيب العلماء الإقامة في الشام، حيث عاش فيها ابن خالويه في ذرا سيف الدولة حتى توفي بحلب، ومن قلبه الزجاجي الذي ما برح الشام حتى توفي بدمشق، ومن بعده ملك النحاة [الحسن بن صافي] الذي نعِم بخفض العيش في دمشق تحت ظلال نور الدين زنكي"[3]، ونجد الأمر يماثله في مصر، فقد كانت الدولة الفاطمية أفضل –إلى حدٍّ جيد– من سابقتها من ناحية العناية بالعلماء "وبخاصة في الدواوين، إذ كانت تعمد إلى تعيين المراقب عليها ممن عُرف بالنحو وعلوم اللغة العربية، فلا تَصْدر مُكاتبتها إلا بعد موافقته على ما فيها؛ لأنَّ الدولة عربية، وممن تولى هذا المنصب فيها: ابن بابشاذ، وابن برّي"[4]، وعندما جاءت الدولة الأيوبية اهتمَّت بالنحو العربي، وبعلمائه، على الرغم من أصلها الكردي، وهذا الأمر حفَّز عدد من العلماء إلى الوفود إلى مصر[5].

---

[1] الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص268).

[2] انظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص327–328)، والحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص268).

[3] الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص211).

[4] المرجع السابق، (ص212).

[5] انظر: المرجع نفسه، (ص212).

أمَّا الاتجاه الفكري في النحو العربي لدى علماء مصر والشام فتمثل في المزج بين المذهب البصري، والمذهب الكوفي[1]، مع تبنيهم لبعض آراء المدرسة البغدادية، وأضافوا إلى ذلك ما استنبطوه من آراء خاصة بهم جمعوا من خلالها بين مذهبي البصرة والكوفة[2].

لقد صُنِّف علماء النحو في مصر والشام ضمن مدرسة نحوية واحدة، والبعض جعل لكل قطر منهما مدرسة مستقلة، وبالنظر إلى الدراسات النحوية في مصر والشام خلال القرن السادس الهجري يمكن لنا أن نعيد النظر في هذا التصنيف الذي دمج هذين القطرين في مدرسة واحدة؛ لأنَّنا وجدنا أنَّ الشام قد مرَّ بفترتين مختلفتين، الأولى كانت في النصف الأول من القرن السادس الهجري، حيث كانت الشام من الناحية الجغرافية والسياسية أقرب إلى بغداد، فوجدنا كبار علماء بغداد يأتون إلى الشام في زياراتهم وحلاتهم العلمية كالزجاجي والفارسي وابن جني وابن خالويه[3]، وفي هذه الفترة وجدنا أنَّ الدراسات النحوية في الشام لا تختلف كثيراً عن الدراسات النحوية في بغداد، حتى أنَّ الكثير من الكتب التي عُنيت بالمدارس النحوية أو تاريخ النحو حدث معها تداخل في تصنيف العلماء في هذه الفترة، فمنهم من صنَّف علماء من الشام على أنَّهم من علماء بغداد، ومنهم من صنَّف علماء من بغداد على أنَّهم من علماء الشام.

أمَّا الثانية فكانت في النصف الثاني من القرن السادس، حيث كانت الشام من الناحية السياسية أقرب إلى حدٍّ كبيرٍ إلى مصر، وذلك في قيام الدولة الأيوبية التي امتدَّت من الشام إلى مصر، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية، فوجدنا العلماء في هذه الفترة يتنقَّلون بين الشام ومصر، وفي هذه الفترة كانت الدراسات النحوية في مصر والشام متشابهة إلى حدٍّ كبيرٍ.

ومن خلال ما سبق نجدُ أنَّ المشرق قد اشتمل على مدرستين أساسيتين في النحو العربي هما: بغداد، ومصر، وباقي البيئات الجغرافية كانت تتبع هاتين المدرستين.

نماذج من اتجاهات نحاة المشرق في القرن السادس الهجري

نعرض تحت هذا عنوان نماذج من مناهج التأليف التي اتبعها أبرز النحاة في المشرق، ثمَّ نتحدَّث عن موقفهم من البصريين والكوفيين، وذلك من خلال إبراز أهم الآراء البصرية

---

[1] انظر: حمود، خضر، *النحو والنحاة*، (ص204).

[2] انظر: الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص350)، وحمود، خضر، *النحو والنحاة*، (ص207).

[3] انظر: الطنطاوي، محمد، *نشأة النحو*، (ص211).

والكوفية التي تبنُّوها، ثمَّ نستعرض ملامح التجديد المُتمثل في الآراء النحوية الجديدة وغير المسبوقة التي نادى بها عدد من نحاة القرن السادس.

أولاً: أبو القاسم الزمخشري

أ. منهجه في التأليف

سار الزمخشري في كتبه ومصنفاته وفقاً لمنهجية واضحة، يتمُّ التعرف عليها باستقصاء خطاه في هذه المؤلفات، فإذا لاحظنا كتابه (المفصل) وجدنا أنَّ الزمخشري قد سبقه في هذا المضمار النحاة الذين عاشوا قبله، ولا شك أنه استفاد من هذه الدراسات، ويتضح هذا الأمر من خلال ما نقله عن هؤلاء العلماء الأوائل، فوصل عدد المرات التي نقل فيها عن سيبويه قرابة اثنتين وتسعين مرة، ونقل عن الخليل بن أحمد ست وعشرين مرة، وعن المبرد عشر مرات، وأبو عمرو بن العلاء تسع مرات، ومثله يونس بن حبيب، وبضع مرات عن كلٍّ من الفرّاء، والكسائي، والزَّجاج، والأصمعي، وغيرهم الكثير، وأكثر ما يهمنا أنَّ الزمخشري اتَّبع في منهجه التأليفي النقل عن عدد كبير من النحاة الأوائل، وخاصة عن شيخهم سيبويه، حيث أكثر من النقل عنه، وردَّد اسمه كثيراً، كما استشهد بعدد من شواهد كتاب سيبويه في المفصل، وهذا دليل على احترامه للعلماء الذين سبقوه، أنَّه يكنُّ لهم الاحترام والتقدير.

ومن أبرز مظاهر المنهجية التي سار عليها الزمخشري استدلاله بالأحاديث النبوية الشريفة، حيث اتَّخذ منها أصلاً من أصول اللغة للاستشهاد بها على قواعد النحو وأحكامه، مخالفاً بذلك النحاة الأوائل الذين أهملوا قضية الاستشهاد بالحديث النبوي[1].

اتَّبع الزمخشري منهجاً مميَّزاً في عرضه وتقسيمه لكتابه، وقد عبَّر عن ذلك في مقدمته عندما قال: "أنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب المفصل في صنعة الإعراب، مقسوماً أربعة أقسام، القسم الأول: في الأسماء، القسم الثاني: في الأفعال، القسم الثالث: في الحروف، القسم الرابع: في المشترك من أحوالها، وصنَّفتُ كلاً من هذه الأقسام تصنيفاً، وفصَّلت كل صنف تفصيلاً، حتى رجع كل شيء إلى نصابه واستقر في مركزه"[2].

---

[1] انظر: عون، حسين. (1970)، *تطور الدرس النحوي*، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، (ص102).

[2] الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص31-32).

من خلال هذا التقسيم نجد أنَّ الزمخشري قد حصر مؤلفه في أربعة أقسام، ونراه يتحدَّث في القسم الأول عن الأسماء حيث تحدث فيه عن أصناف الاسم الجنس والعلم ، ثم تحدث عن الاسم المعرب ووجوه الإعراب في الاسم، ثم ذكر المرفوعات، وفيها تحدث عن الفاعل والمبتدأ والخبر، وغيرها من المرفوعات، ثم انتقل بعد ذلك إلى المنصوبات، وبدأ فيها بالمفعول المطلق، ثم المفعول به، والمفعول فيه، وغيرها من المنصوبات، وانتقل بعد ذلك إلى المجرورات، وذكر التوابع، ثم انتقل للحديث عن الاسم المبني، فتحدث فيه عن الضمائر وأسماء الإشارة وغيرها، ثم انتقل إلى عدد من موضوعات الصرف كحديثه عن الاسم المثنى والاسم المجموع والاسم المصغر والاسم المنسوب، وغيرها من الموضوعات، أمَّا القسم الثاني من الكتاب والذي يتحدَّث فيه عن الأفعال، نراه قد بدأ بالفعل الماضي، ثم المضارع وذكر وجوه إعرابه، ثم تحدَّث عن فعل الأمر، ثم تحدث عن أصناف الفعل المتعدي وغير المتعدي، وغيرها من الموضوعات التي تخصُّ الأفعال، أمَّا القسم الثالث من الكتاب والذي يتحدَّث فيه عن الحروف، نراه قد بدأ حديثه عن حروف الإضافة، ثمَّ الحروف المشبهة بالفعل، وذكر أصناف حروف العطف، وغيرها من الموضوعات، أمَّا في القسم الرابع من الكتاب والذي يتحدَّث فيه عن المشترك، نراه يتحدَّث عن الإمالة والوقف وتخفيف الهمزة، والتقاء الساكنين، وغيرها من الموضوعات الصوتية.

يُلاحظ من خلال هذه المنهجية التي سار عليها الزمخشري أنَّه قدَّم تقسيماً جديداً فريداً من نوعه، ولم يُسبق إليه، حيث اختلف فيه مع علماء النحو الأوائل في تقسيم مؤلفاتهم، ولعل متابعته لمؤلفات العلماء الأوائل جعلته يكتسب خبرة واسعة، وفتَّحت بصيرته؛ ليدرك أنَّ عرض وتقسيم هذه المؤلفات لا تُجاري عصره، والتطور الثقافي في ذلك الوقت، أو أنَّه لمس فيها ضرورة تقسيم الأبواب والفصول بشكل جديد، فصنع ما رأيناه في مُفصَّله[1].

وعند النظر إلى منهج الزمخشري في كتابه الكشَّاف نجد أنه قد اكتظَّ بالمسائل النحوية واللغوية، حتى بات القارئ لبعض المسائل المطروحة في هذا الكتاب يظنُّ أنه كتاب لغوي وليس تفسيريًّا، وكان الزمخشري في كثير من الأحيان يتعرض لأوجه الإعراب، ومن الأمثلة على ذلك تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا**

---

[1] انظر: النجار، عبد الحميد قاسم. (1982)، *الزمخشري آثاره ومنهجه النحوي*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الفاتح، طرابلس، (ص176-177).

ظَالِمِينَ ﴾[1]، حيث قال الزمخشري عن كلمة ﴿ذِكْرَىٰ﴾: منصوبة بمعنى تذكرة؛ إمَّا لأنَّ أنذر وذكر متقاربان، فكأنَّه قيل: مذكرون تذكرة، وإمَّا لأنها حال من الضمير في منذرون، أي: ينذرونهم ذوي تذكرة، وإمَّا لأنَّها مفعول له على معنى: أنَّهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، أو مرفوعة على أنَّها خبر مبتدأ محذوف بمعنى: هذه ذكرى، والجملة اعتراضية، أو صفة بمعنى: منذرون ذوو ذكرى، أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها، ووجه آخر: وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم؛ ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصون مثل عصيانهم"[2].

من خلال هذه المنهجية التي اتَّبعها الزمخشري في عرضه لمسائل النحو في تفسير الكشَّاف نجده قد جعل للنحو وظيفة مهمة تتمثل في الإبانة عن معاني الكلام، وطريقة فهمه، وهذا يُبرز أهمية النحو في فهم آيات القرآن الكريم ومعرفة مكنوناته.

ومن المنهجية التي اتَّبعها الزمخشري في كشَّافه أنَّه كان يقوم بسرد آراء النحاة ثم يُعلِّق عليها مُبدياً رأيه فيها، ومن امثلة ذلك ما قاله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾[3]، حيث علَّق قائلاً: "واختُلف في إعراب ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ فعن الخليل أنَّه مرتفع على الحكاية تقديره: لننزعنَّ الذين يُقال فيهم أيهم أشدُّ، وسيبويه على أنَّه مبنى على الضم؛ لسقوط صدر الجملة التي هي صلته، حتى لو جيء به لأعرب، وقيل أيهم هو أشدُّ، ويجوز أن يكون النَّزع واقعاً على ﴿ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ كقوله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾[4]، أي: لننزعن بعض كل شيعة، فكأن قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتياً، وأيهم أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف، وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء، فإن قلت: بم يتعلق على والباء، فإنَّ تعلقهما بالمصدرين لا سبيل؟ قلت: هما للبيان لا الصلة، أو يتعلقان

---

[1] [الشعراء: 208-209].

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1998)، *تفسير الكشَّاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تح: عبد الموجود، عادل، ومعوض، علي، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، (ج4/ 418).

[3] [مريم: 69].

[4] [مريم: 50].

بأفعل، أي: عتوِهم أشد على الرحمن، وصليهم أولى بالنار، كقولهم: هو أشد على خصمه، وهو أولى بكذا"[1].

ومن المنهجية التي اتبعها الزمخشري في كشَّافه استغلاله لقواعد النحو العربي في الدفاع عن عقيدته الاعتزالية[2]، وقد قال ابن تيمية عن ذلك بأنَّ المعتزلين كانت آراؤهم فاسدة، وتفاسيرهم باطلة، ويرى بأنَّ كلامهم حسن العبارة وفصيحٌ، لكنهم يدسون البدع فيه، وبيَّن أن الزمخشري واحد منهم[3].

ب. موقفه من مذهبي البصرة والكوفة

مثَّل الزمخشري في اتجاهاته النحوية الطراز البغدادي الذي يقوم على سرد آراء البصريين والكوفيين، ثمَّ ترجيح أو اختيار أحد هذه الآراء، وكان أغلب نحاة هذا الطراز يميلون إلى المذهب البصري، ولكن هذا لا يمنع عدم الأخذ بآراء الكوفيين في بعض المسائل.

من أبرز الآراء النحوية البصرية التي تبنَّاها الزمخشري

- العامل في التنازع هو الفعل الثاني، كما في المثال: ضربني وضربت زيداً، حيث ذهب البصريون إلى أنَّ إعمال الثاني أولى، والكوفيون إلى أنَّ إعمال الأول أولى، وهنا الزمخشري أيَّد رأي البصريين[4].
- المرفوع في: هل زيد خرج؟ فاعل لفعل مضمر يفسره الظاهر؛ لأنه إذا اجتمع الاسم والفعل كان حمله على الأصل أولى، وذلك إذا سبق باستفهام، ووافق الزمخشري البصريين في هذه المسألة مخالفاً بها الكوفيين[5].

---

[1] الزمخشري، *تفسير الكشَّاف*، تح: عبد الموجود، (ج4/ 43).

[2] تحدثنا في هذا الموضوع، مع ذكر أمثلة على ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني لهذه الدراسة.

[3] ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1980)، *مقدمة في أصول التفسير*، بيروت: دار مكتبة الحياة، (ص35-36).

[4] انظر: الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص45)، وانظر: ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (د.ت)، *شرح المفصل*، بيروت: عالم الكتب، (ج1/ 204-205).

[5] انظر: ابن يعيش، *شرح المفصل*، (ج1/ 216)، وانظر: الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص46-47).

- الاسم الواقع بعد لولا مبتدأ لخبر محذوف، إذا كان الخبر كوناً عاماً، حيث يقول الزمخشري: "وقد التُزِم حذفُ الخبر في قولهم: لولا زيد لكان كذا؛ لسدِّ الجواب مسدَّه"[1]، وهذا القول هو قول البصريين.

- خبر إنَّ وأخواتها مرتفع بها، وليس مرفوعاً قبل دخولها، حيث ذهب الكوفيون إلى أنَّ هذه الحروف لم تعمل في الخبر الرفع، وإنَّما عملت في الاسم النصب، والخبر مرفوع على حاله كما كان مع المبتدأ[2].

من أبرز الآراء النحوية الكوفية التي تبنَّاها الزمخشري

- عدَّ الفعل (حدَّث) من الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل، وهو بذلك يوافق الكوفيين ويخالف سيبويه[3].

- عدم وجوب التطابق بين البدل والمبدل منه تعريفاً وتنكيراً، مُستدلاً على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ**﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ** ﴾[5]، وهذا الرأي يوافق الكوفيين[6].

- جملة البسملة متعلقة بفعل محذوف تقديره اقرأ، وهو بذلك يتوافق مع الكوفيين، ويخالف البصريين الذين يرون أنَّها متعلقة بالاسم[7].

---

(1) الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص51).

(2) انظر: ابن يعيش، *شرح المفصل*، (ج1/ 255)، وانظر: الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص52-53).

(3) انظر: الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص258).

(4) [الشورى: 52-53].

(5) [العلق: 15-16].

(6) انظر: الزمخشري، *المُفصل في علم العربية*، (ص123)، وانظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص285).

(7) انظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص285).

ج. **ملامح التجديد في اتجاهات الزمخشري النحوية**

قدَّم الزمخشري منهجاً جديداً في عرضه للمسائل والقضايا النحوية، وقدَّم آراء نحوية جديدة، ومن أبرز المظاهر الجديدة التي قدَّمها في التأليف أنَّه عرض منهجه في مقدمة الكتاب، حيث لم يكن هذا الأمر معهوداً عند المؤلفين السابقين له[1].

لقد رأى الزمخشري أنَّ المؤلفات النحوية السابقة له وعلى رأسها كتاب سيبويه مضطربة في المنهج وفي الأسلوب وفي الأبواب والأحكام، وفيها الكثير من الخلط والتكرار والاستطراد، فرأى أن يخلِّص الدرس النحوي من ذلك، ويعرضه بشكل سهل وواضح، فألَّف كتابه المفصل، وجمع فيه المادة النحوية على نسق لم يُسبق إليه[2].

أمَّا فيما يخصُّ الآراء النحوية التي أضافها الزمخشري، وكانت خاصة به، فقد انفرد بعدد من الآراء غير المسبوقة، فهو لم يكتفِ باختياراته من المذاهب البصرية والكوفية، بل صنع آراء خاصة به، ومن أبرز الآراء التي انفرد بها أنَّه ذهب إلى أنَّ (إذ) قد تقع مبتدأ، واستدل على ذلك بإحدى القراءات، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا** ﴾ [3]، أي وقت بعثه فيم رسولاً[4].

ينفرد الزمخشري أيضاً بالرأي القائل بأنَّ (مِنْ) بمعنى بعض تكون اسماً، ويجري عليها ما يجري للأسماء، واستقر هذا الرأي بين عدد من اللغويين بعده، وساروا عليه قائلين إنَّه مذهب الزمخشري[5].

يرى الزمخشري أنَّ (أنْ) حين تدخل على المضارع تحوِّل معناه إلى الاستقبال، وانطلاقاً من هذا المبدأ يقرر أنَّ خبر عسى –حيث يرى بأنه فعل مضارع– يجب أن يقترن بأن؛ لأنَّ

---

(1) انظر: النجار، عبد الحميد قاسم، *الزمخشري آثاره ومنهجه النحوي*، (ص184).

(2) انظر: عون، حسين، *تطور الدرس النحوي*، (ص83–84).

(3) [آل عمران: 164].

(4) انظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص286).

(5) انظر: عون، حسين، *تطور الدرس النحوي*، (ص105).

عسى للرجاء والرجاء يتجه إلى المستقبل، في حين أنَّ النحاة يرون انَّ خبر عسى يقترن بأن على الأكثر، وليس إلزاماً[1].

ثانياً: ابن الشجري

أ. منهجه في التأليف

من خلال متابعة المنهج الذي سار عليه ابن الشجري في كتابه الأمالي، نجد أنَّه قد سار وفقاً لمنهجية مميزة، فقد كان يستفتح أماليه بذكر مسألة من مسائل النحو والصرف، أو آية قرآنية، أو بيت شعر، وكانت مسائله تنقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يشتمل على مسائل يلقيها ابن الشجري من ذات نفسه، والقسم الثاني يتحدث في مسائل يطلبها منه تلاميذه، أو يسألوه عنها، والقسم الثالث يردُّ به على مسائل ترِد عليه من نحاة آخرين[2].

ومن المنهجية التي سار عليها ابن الشجري ظاهرة التكرار، فقد كان يتكلم في بعض المسائل، ثم يعاود الحديث عنها مرة أخرى، وكان يشير إلى أنَّه سبق وذكر هذه المسألة سابقاً[3].

من أبرز ما تميَّز به ابن الشجري، وكان انفراداً يقوم به، عملية توثيق المجالس تاريخياً، حيث اشتمل عدد من هذه المجالس على تاريخ حدوثها، ومن الأمثلة على ذلك: المجلس الثامن كان يوم السبت مستهل جمادي الأولى من سنة أربع وعشرين وخمسمائة[4]، أمَّا المجلس الذي يليه وهو المجلس التاسع فقد كان يوم السبت ثامن جمادي الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة[5]، والمجلس العاشر يوم السبت الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة[6].

---

[1] انظر: عون، حسين، *تطور الدرس النحوي*، (ص105).

[2] انظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (مقدمة التحقيق/ 191).

[3] انظر: المرجع السابق، (مقدمة التحقيق/ 191-192).

[4] انظر: المرجع نفسه، (ج1 / 71).

[5] انظر: المرجع نفسه، (ج1 / 83).

[6] انظر: المرجع نفسه، (ج1 / 95).

تتابعت مجالس ابن الشجري في كل سبت وكان ينقطع أسبوعاً أو أكثر، وفي المجلس الحادي والعشرين أرخه بيوم السبت ثالث عشر شعبان سنة أربع وعشرين وخمسمائة[1]، أمَّا الذي يليه فقد أرَّخه بيوم الثلاثاء الثالث والعشرين من جمادي الأولى سنة ست وعشرين وخمسمائة[2]، ما يعني أنَّه انقطع عن الإملاء لمدة عامين تقريباً، ثم تتابعت المجالس كل يوم ثلاثاء، وقد تتوقف أسبوعاً أو أكثر، ولكنَّ الغريب ما وجدناه في المجلس الحادي والثلاثين حيث أرَّخه بيوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة[3]، أمَّا المجلس الذي يليه نجد أنه أرَّخه بيوم السبت ثامن شهر ربيع الأول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة[4]، وبعد ذلك توقف عن كتابة التاريخ في مجالسه، والغريب في هذا الأمر أنَّ هناك فجوة كبيرة بين المجلس الحادي والثلاثين، والثاني والثلاثين، إذ إنَّ الفرق بينهم عشر سنوات، فهل انقطع ابن الشجري عن الإملاء لهذه المدة الطويلة؟ أم أنَّ هذه التواريخ من صنع بعض تلاميذه؟ وقد رجَّح محقق الأمالي الدكتور محمود الطناحي أن تكون هذه التواريخ من صنع التلاميذ[5].

ب. موقفه من مذهبي البصرة والكوفة

لم يختلف ابن الشجري عن سابقه الزمخشري من حيث طريقة تناول مذهبي البصرة والكوفة، حيث مثَّلا الاتجاه البغدادي القائم على ملاحظة آراء المذهبين واختيار أحدهما، لكن ابن الشجري كان يميل بقوة إلى المذهب البصري، وكان في الكثير من مجالسه يرد على الكوفيين محاولاً إظهار فساد رأيهم، وبالرغم من ميله الغالب للبصريين إلا انَّه خالفهم في بعض المسائل، وبالرغم من قسوته على الكوفيين إلا أنَّه شاركهم في بعض آرائهم، وكان في بعض الأحيان يرجِّح رأيين مختلفين في ذات الوقت، ومن أمثلة ذلك أنَّه رجَّح رأي البصريين والكوفيين في مسألة العامل في التنازع، ففي تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾[6]، قال بأنَّ ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾ إن عُلِّقت بـ ﴿**حَرَّمَ**﴾ فهو الوجه؛ لأنه الأقرب، وهو اختيار

---

[1] انظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 207).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 216).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج1/ 314).

[4] انظر: المرجع نفسه، (ج1/ 368).

[5] انظر: المرجع نفسه، (مقدمة التحقيق/ 191).

[6] [الأنعام: 151].

البصريين، وإن عُلِّقت بـ ﴿أَتْلُ﴾ فجيدٌ؛ لأنه الأسبق، وهو اختيار الكوفيين، وإنَّنا نلاحظ ميله الأكثر للبصريين، لكنه لم يعارض قول الكوفيين، وهذا يُعدُّ أمراً تميَّز به ابن الشجري[1].

موقفه من مذهب البصرة

كان ابن الشجري يقف بقوة مع المذهب البصري، وبخاصة آراء شيخ النحاة سيبويه، حيث كان يُرجِّح رأيه في أغلب المواقف، سواء أكان ذلك بين سيبويه وآخر بصري، أو بين سيبويه وآخر كوفي، وكان يدعمه بالأدلة والبراهين، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في المجلس السابع من مسألة مفعولي زعم في قول سُلمى بن ربيعة:

زعمت تُماضِرُ أنّني إمّا أمُتْ يَسْدُدْ أُبَيْنُوها الأصاغِرُ خَلَّنِي

حيث يقول ابن الشجري عن ذلك: "والزعم يقتضي مفعولين، كما يقتضيان الحسبان ونحوه، ومذهب سيبويه أنَّ (أنَّ) تسدُّ في هذا الباب مسد المفعولين؛ لأنَّها تتضمن جملة أصلها مبتدأ وخبر، كما أنَّ المفعولين في هذا الباب أصلهما الابتداء وخبره، ومذهب أبي الحسن الأخفش أنَّ (أنَّ) بصلتها سدَّت مسد مفعول واحد، والمفعول الآخر مُقدَّر تقديره: كائناً أو واقعاً، والذي ذهب إليه سيبويه أولى؛ لأنَّ المفعول المقدَّر عند الأخفش لم يظهر في كلام العرب"[2].

ومن أبرز الآراء التي أيَّد فيها ابن الشجري البصريين عدم جواز العطف على الضمير المخفوض، حيث قال بأنَّ الاسم الظاهر لا يسُوغ عطفه على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، كقولك: مررت بزيدٍ وبك، ولا تقول: مررت بزيدٍ وك، ولا يُقال مررت بك وزيدٍ[3].

موقفه من مذهب الكوفة

لم يكن ابن الشجري يُفضِّل كثيراً آراء الكوفيين، وكان في الكثير من الأحيان يردُّ على الكوفيين، ويُظهر عدم رضاه عن آرائهم، وأبرز دليل على ذلك رده على الكوفيين في مسألة دارت بين الكسائي والأصمعي، حين أنشد الكسائي:

---

[1] انظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 72).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 64).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ج2/ 103).

أَنَّى جزوا عَامِرًا سوءى بفعلهم أم كَيفَ يجزونني السوءى من الْحسن
أم كَيفَ ينفع مَا تُعْطِي الْعلُوق بِهِ رئمانُ أنف إِذا مَا ضن بِاللَّبنِ

وقرأ الكسائي (رئمان) بالرفع، فردَّه الأصمعي انَّها بالنصب، فردَّ الكسائي بجواز النصب والرفع والخفض، وهذا الأمر رفضه ابن الشجري، وردَّ على الكسائي مثبتاً عدم صحة كلامه، وختم كلامه بعبارته القاسية بحق الكوفيين، فقال: "ولِنُحاة الكوفيين في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة"[1].

ومن أبرز المسائل التي خالف بها ابن الشجري الكوفيين مسألة اشتقاق الاسم، حيث أيد البصريين في هذه المسألة، إذ يرون أنَّ أصلها من السمو، وخالف الكوفيين الذين يرون أنَّ أصلها من السمة، وقد أيّد ابن الشجري البصريين هنا، وقال إنَّ رأي الكوفيين صحيح في المعنى فاسد من جهة التصريف[2].

وعلى الرغم من شدة معارضته للكوفيين إلا أنَّ ابن الشجري أخذ بآرائهم في بعض المسائل، ومن أبرزها اختياره لرأي الكسائي في مسألة تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا**﴾[3]، حيث يرى أنَّ (لا تجزي نفس) تقديرها (لا تجزي فيه نفس) كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾[4]، ويعلّق على ذلك بقوله: "اختلف النحويون في هذا الحرف، فقال الكسائي: لا يجوز أن يكون المحذوف إلا الهاء، أراد انَّ الجار حُذف أولاً، ثم حُذف العائد ثانياً، وقال نحوي آخر: لا يجوز أن يكون المحذوف إلا (فيه)، وقال أكثر أهل العربية ومنهم سيبويه والأخفش: يجوز الأمران، والأقيس عندي: أن يكون حرف الظرف حُذف أولاً، فجعل الظرف مفعولاً على السعة"[5]، وهذا الرأي الذي اختاره ابن الشجري يتوافق مع رأي الكسائي.

---

[1] ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 56).
[2] انظر: المرجع السابق، (ج2/ 280-282).
[3] [البقرة: 48].
[4] [البقرة: 281].
[5] ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 6-7).

ج. ملامح التجديد في اتجاهات ابن الشجري النحوية

- انفرد ابن الشجري بعدد من الآراء التي لم يسبق بها، ومن أبرز هذه الآراء أنَّه أجاز الجزم بلو، ففي بيت للرضي يقول فيه:

إنَّ الوفاءَ كَمَا اقتَرحْت فلو تكنْ حيًّا إذن مَا كُنْتَ بالمُزْداد

يعلّق ابن الشجري على ذلك بقوله: "جُزم بلو وليس حقها أن يجزمُ بها؛ لأنها مفارقة لحروف الشرط، وإن اقتضت جواباً كما تقتضيه إنْ الشرطية، وذلك أنَّ حرف الشرط ينقل الماضي إلى الاستقبال، كقولك: إنْ خرجت غداً خرجنا، ولا تفعل ذلك (لو)، وإنما تقول: لو خرجت أمس لخرجنا"[1].

- ومن آرائه الخاصة أنَّه قسَّم التثنية إلى ثلاثة أضرب، الأول تثنية لفظية، وعليه معظم الكلام، مثل: رجل رجلان، وزيد زيدان، والثاني تثنية معنوية وردت بلفظ الجمع، مثل: ضربت رؤوس رجلين، والثالث تثنية لفظية كان حقها التكرير بالعطف، وهي تثنية التغليب، مثل: الأبوان للأب والأم، والقمران للشمس والقمر[2].

- ومن آراء ابن الشجري التي انفرد بها أنَّه عدَّ اسم الإشارة بمنزلة الضمير، فنراه يقول: "والإشارة بمنزلة الإضمار، ألا ترى أنَّها قد سدت مسد الضمير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[3]، فالإشارة من ﴿**أُولَئِكَ**﴾ قامت مقام الضمير العائد من الجملة إلى المخبر عنه، فكأنَّه قيل: كلهن كان عنه مسؤولاً"[4].

---

[1] ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 287-288).

[2] انظر: المرجع السابق، (ج1/ 15-19).

[3] [الإسراء: 36].

[4] انظر: ابن الشجري، أمالي ابن الشجري، (ج1/ 103).

ثالثاً: أبو البركات الأنباري

أ. منهجه في التأليف

سار أبو البركات الأنباري وفقاً لآلية واضحة ومنسقة، وكان يتتبع جزئيات المواضيع التي يطرحها بفكر مُتَّزن، ومن أبرز مميزاته في المنهج الذي اتَّبعه في تأليف الكتب أنَّه كان يضعها للطلبة الدارسين؛ لذا كان يسعى فيها إلى التيسير دون إيغال وتعمُّق كأبي علي الفارسي والرماني؛ لذا تمتاز هذه الكتب بالمنهجية والتخصص، فكل كتاب من كتبه يتحدَّث عن موضوع مُحدَّدٍ مهما كان ذلك الموضوع صغيراً[1].

يستعمل الأنباري في أغلب كلامه الأسلوب العلمي الخالي من السجع والمحسنات اللفظية، لكنه كان يستخدم بعض هذه العبارات في مقدِّمات كتبه، ومن أمثلة ذلك ما قاله من كلام مسجوع في كتابه أسرار البلاغة: "ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين، وصححت ما ذهب إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل، وأوضحت فساد ما عداه بواضح العليل، ورجعت في ذلك كله إلى الدليل، وأعفيته من الإسهاب والتطويل، وسهلته على المتعلم غاية التسهيل، والله تعالى ينفع به وهو حسبي ونعم الوكيل"[2].

قدَّم الأنباري عشرات المؤلفات، وكانت أكثر هذه المؤلفات نحوية، منها المفقود ومنها المخطوط، ومنها المنشور، ومن أبرز الكتب المنشورة: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، وكتاب الإغراب في جدل الإعراب، وكتاب لمع الأدلة، وكتاب أسرار العربية، وكتاب البيان في غريب إعراب القرآن، وقام الباحث باختيار كتابين من هذا الكتب؛ ليبرز من خلالها المنهج الذي اتَّبعه الأنباري في تأليفه لهذين الكتابين؛ ليكونا نموذجاً على منهج الأنباري في التأليف، حيث تمَّ اختيار كتاب الإنصاف، وكتاب أسرار العربية، حيث يظهر فيهما المنهج التعليمي الذي سلكه الأنباري في تأليفه للكتب.

---

[1] انظر: علوش، جميل إبراهيم. (1977)، *ابن الأنباري وجهوده في النحو*، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة القديس يوسف، بيروت، (ص82).

[2] الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1997)، *أسرار العربية*، تح: شمس الدين، محمد حسين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ص21).

يعدُّ كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، أكبر كتب الأنباري، وأكثرها غزارة، كما يعدُّ الكتاب الأول والمرجع الأساس في قضية المسائل الخلافية، ولا يزال أهم مرجعٍ للباحثين والمختصين في هذا المجال، وهذا هو كتابه الأكثر شهرة، والأكثر اقتراناً باسمه.

إنَّ المنهج الذي سار عليه الأنباري في هذا المؤلَّف منهجٌ خاصٌ به، حيث انفرد الأنباري به ولم يكن مسبوقاً به، وينقسم هذا المنهج إلى قسمين الأول عامٌّ، ويخصُّ المسائل المطروحة في الكتاب، والثاني خاصٌّ ويخصُّ المسألة ذاتها[1].

أمَّا القسم الأول العام فقد بدأ أبو البركات الأنباري كتابه بمسألة أصل اشتقاق الاسم، ثم مسألة إعراب الأسماء الستة، ثم مسألة إعراب المثنى والجمع، ثم تحدَّث عن المسائل الخلافية في المبتدأ والخبر، ثم عامل النصب في المفعول به، وغيرها من المسائل التي وصل عددها إلى إحدى وعشرين ومائة مسألة، ونجده يضع المسائل المُتشابهة بشكل متتابع، ومن الأمثلة على ذلك: نجد أنَّ المسألة الأولى تتحدث عن الأصل في اشتقاق الاسم، والثانية عن إعراب الأسماء الستة، والثالثة عن إعراب المثنى والجمع، والرابعة عن جمع العلم المؤنث بالتاء جمع المذكر السالم، والخامسة عن رافع المبتدأ، والسادسة عن رافع الاسم بالظرف، والسابعة عن الإضمار في خبر المبتدأ، والثامنة عن إبراز الضمير، والتاسعة عن تقديم خبر المبتدأ، والعاشرة عن الاسم المرفوع بعد لولا، ومن خلال ملاحظة هذه المسائل العشرة نجد أنَّ الأنباري عمد لوضعهن بشكل متتال؛ لأنها مرتبطة ببعضها البعض.

أمَّا القسم الثاني والذي يخصُّ طريقة الأنباري في عرضه للمسألة الواحدة، فقد كان يقوم ذلك على عرض المسألة أولاً، ثم يتبعها بآراء البصريين والكوفيين، كأن يقول: ذهب البصريين إلى أنَّ، وذهب الكوفيين إلى أنَّ، ويمكن أن يذكر أيضاً بعض الآراء المفردة لعدد من العلماء، ثمَّ يُعدِّد بعد ذلك الحجج التي احتجَّ بها كلُّ فريقٍ من النحاة، كأن يقول: احتج البصريون بأن قالوا، وأمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا، ثمَّ يُرجِّح أحد الآراء، كأن يقول: والصحيح عندي ما ذهب إليه البصريون، ثمَّ يسوق الأدلة على فساد الرأي الآخر، والأسباب التي جعلته يرفضه،

---

[1] الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (2002)، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، جودة مبروك، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي، (مقدمة التحقيق/ 28).

كأن يقول: وأمَّا الجواب عن كلمات الكوفيين فهو، وعلى هذه المنهجية سار الأنباري في المسائل الخلافية التي أوردها في كتابه.

وكان الأنباري قد أفصح عن هذه المنهجية في مقدمة كتابه، وأكَّد أنَّه رتَّب تحليل وعرض هذه المسائل وفقاً للمسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة[1]، ويرى أنَّه أول من صنَّف كتاباً في العربية على هذا النحو، ويؤكد الأنباري أنَّه يذكر آراء كل فريق مع ادلتهم، وأنَّه عندما ينصر أحد الآراء يكون ذلك على سبيل الإنصاف لا على سبيل التعصُّب والإسراف[2].

أما فيما يخصُّ المنهج الذي سلكه أبو البركات الأنباري في كتاب أسرار العربية، فقد قام بترتيبه كسائر كتب النحو، حيث بدأ بباب علم الكلام، ثم عدداً من أبواب النحو، ومن أبرزها: الإعراب والبناء، وإعراب الاسم المفرد، والتثنية والجمع، وجمع التأنيث، والمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، وتابع هذه الأبواب التي وصلت إلى أربعة وستين باباً، واشتملت هذه الأبواب على علم النحو، وعلم الصرف، وعلم الأصوات.

إنَّ أكثر ما يُميِّز هذا الكتاب عن غيره من الكتب أمرين اثنين، أما الأول يتمثل في معالجته لموضوع العلة النحوية معالجة تطبيقية، فهو لا يترك حكماً من احكام النحو دون تعليل، بل يجعل لكل حكم علة، ولكل ظاهرة سبباً[3]، وقام المؤلف بترتيب العلل والأسباب عن طريق السؤال والجواب، أمَّا الثاني يتمثل في قرب المآخذ وكثرة الفوائد، ومن أمثلة ذلك ما جاء في باب الفاعل، حيث يقول الأنباري: "وإن قال قائل: ما الفاعل؟ قيل: اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ذلك الفعل إليه... فإن قيل: فلمَ كان إعرابه الرفع؟ قيل: فرقاً بينه وبين المفعول، فإن قيل: فهلَّا عُكسوا وكان الفرق واقعاً؟ قيل لخمسة أوجه"[4]، ثمَّ عدَّ الأوجه الخمسة معللاً مستدلاً، وكانت هذه طريقته في كتابة أوله إلى آخره.

---

[1] كانت المذاهب الفقهية أحد أهم العوامل المؤثرة في الفكر النحوي في القرن السادس الهجري، وقد تمَّ التطرُّق لها في المبحث الأول من الفصل الثاني في هذه الدراسة.

[2] انظر: الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، (ص3).

[3] انظر: علوش، جميل إبراهيم، *ابن الأنباري وجهوده في النحو*، (ص113).

[4] الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (د.ت)، *أسرار العربية*، تح: البيطار، محمد بهجت، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، (ص77).

يعدُّ كتاب أسرار العربية كتاباً تعليماً في النحو العربي، حيث أراد المؤلف من خلاله أن يقدِّم عرضاً شاملاً ومُيسَّراً لقواعد اللغة العربية، بحيث يتمكن من تزويد الدارسين القدرة على تفسير الظواهر اللغوية، مُشيراً في ذات الوقت إلى آراء النحويين في المسألة الواحدة وخاصة البصريين والكوفيين[1].

ب. موقفه من مذهبي البصرة والكوفة

لمع نجم أبي البركات الأنباري في قضايا الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، فلا يُذكر الأنباري إلا وذكر معه الخلاف النحوي، وإذا ذُكرت قضايا ومسائل الخلاف النحوي ذكر معها الأنباري، ويؤكد أبو البركات الأنباري أنَّه سعى من خلال كتابه إلى الإنصاف وليس التعصُّب لفريق دون الآخر[2].

ولكنَّ المتتبع لكتاب الإنصاف يجدُّ أنَّ الأمر يختلف عن ذلك، فقد كان الانتصار الأكبر للبصريين، ولم يُرجِّح للكوفيين سوى سبع مسائل فقط، أمَّا باقي المسائل فكانت من صالح البصريين، والمسائل التي رجَّح فيها الكوفيين هي:

- ❖ مسألة الاسم المرفوع بعد لولا

ذهب الكوفيون إلى أنَّ (لولا) ترفع الاسم بعدها، وذهب البصريون إلى أنَّه يرتفع بالابتداء، ورجَّح الأنباري رأي الكوفيين، وساق الأدلة على ذلك، وردَّ كذلك على البصريين بالأدلة أيضاً[3].

---

[1] انظر: الأنباري، *أسرار العربية*، تح: شمس الدين، (مقدمة التحقيق/ 11).

[2] انظر: الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، (ص3).

[3] انظر: الأنباري، المرجع السابق، (ص66و70).

❖ مسألة تقديم خبر ليس

ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها، وأيَّدهم في ذلك أبو العباس المبرد من البصريين، أمَّا البصريون فيرون أنَّه يجوز تقديم خبر ليس عليها، ويرى الأنباري أنَّ الصحيح في ذلك ما ذهب إليه الكوفيون[1].

❖ مسألة اللام الأولى من لعلَّ

ذهب الكوفيون إلى أنَّ اللام الأولى من لعلَّ أصلية، أمَّا البصريون فذهبوا إلى أنها زائدة، ويرى الأنباري أنَّ الصحيح في هذه المسألة يتمثل فيما ذهب إليه الكوفيون[2].

❖ مسألة ترك صرف ما ينصرف

ذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز ترك ما ينصرف في ضرورة الشعر، وأيَّدهم في ذلك أبو الحسن الأخفش، وأبو علي الفارسي وأبو القاسم بن برهان من البصريين، أمَّا البصريون فذهبوا إلى أنَّه لا يجوز، أجمعوا على أنه يجوز صرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر، ويذهب الأنباري إلى ما ذهب إليه الكوفيون؛ لكثرة النقل الذي خرج عن حكم الشذوذ والقلة[3].

❖ مسألة لولاي ولولاك

ذهب الكوفيون إلى أنَّ الياء والكاف في (لولاي، ولولاك) في موضع رفع، وكذلك ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين، أمَّا البصريون فذهبوا إلى أنَّ الياء والكاف في موضع جرٍّ بـ (لولا)، وذهب المبرد إلى أنَّه لا يجوز أن يُقال:

---

[1] انظر: الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، (ص138و 141).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص179و 183).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ص397و 405).

لولايَ، ولولاكَ، بل يجبُ أن يُقال: لولا أنا، ولولا أنت، وهنا يرى الأنباري أنَّ الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون[1].

❖ مسألة الاسم المبهم والعلم، أيهما أعْرَف؟

ذهب الكوفيون إلى أنَّ الاسم المبهم نحو (هذا) أعرف من العلم نحو (زيد)، وذهب البصريون إلى أنَّ الاسم العلم أعرف من الاسم المبهم، وهنا أيضاً أيَّد الأنباري الكوفيين في موقفهم[2].

❖ مسألة الوقف

ذهب الكوفيون في هذه المسألة إلى أنَّه يجوز أن يُقال في الوقف: رأيت البكَره، بفتح الكاف في حالة النصب، وذهب البصريون إلى أنَّه لا يجوز، وقال الأنباري أنَّ الذي يذهب إليه في هذه المسألة ما ذهب إليه الكوفيون[3].

ج. ملامح التجديد في اتجاهات الأنباري النحوية

تتمثل أبرز صور التجديد لدى الأنباري من خلال المنهج المنظَّم والنسق الواضح الذي سار عليه في كتبه ومؤلفاته، وهذا المنهج هو منهج تعليمي، حيث ينظر ويُقعِّد من خلال الأقيسة المنطقية، والأدلة العقلية، عن طريق السؤال والجواب، والمتتبع لمؤلفات الأنباري يُلاحظ أنَّه يُخاطب المتعلمين، مما جعله يبتعد عن التفصيلات الزائدة، والاستطرادات الكثيرة، وقدَّم ذلك من خلال أسلوب علمي مُنظَّم.

ومن أبرز مظاهر التجديد لدى الانباري أنَّه قام بتقسيم أصول النحو إلى ثلاثة أقسام وهي: النقل، والقياس، واستصحاب الحال، وجعل لأدلة هذه الأقسام مراتب، فالمرتبة الأولى للنقل، والثانية: للقياس، والثالثة لاستصحاب الحال[4]، وهو بهذا الترتيب يجعل النقل أرفعها

---

[1] انظر: الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، (ص548و 551).

[2] انظر: المرجع السابق، (ص169و 571).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ص590و 592).

[4] انظر: الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1971)، *الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة*، تح: الأفغاني، سعيد، ط2، بيروت: دار الفكر، (ص81).

أعظمها قيمة، وأمَّا إذا اجتمع دليل نقل مع دليل قياس مع دليل استصحاب الحال رُجِّح النقل عليها وألغى مكانتها، أمَّا إذا اجتمع دليل قياس مع دليل استصحاب الحال رُجِّح القياس، ووفقاً لهذه الآلية سار الأنباري في الحكم على المسائل والقضايا المطروحة في كتابه.

ومن أبرز الآراء التي انفرد بها الأنباري ما جاء في كتابه أسرار العربية، من باب التثنية والجمع، حيث ذكر خمسة أوجه ذكرها العلماء لحمل النصب على الجر دون الرفع، وهي: الوجه الأول: الجر ألزم للأسماء من الرفع؛ لأنه لا يدخل على الفعل، والثاني: أنَّهما يقعان في الكلام فضلة، والثالث: أنَّهما يشتركان في الكتابة، والرابع: أنَّهما يشتركان في المعنى، والخامس: الجر أخفُّ من الرفع، ثم بعد ذكره لهذه الوجوه وجه سادس وهو خاص به، حيث يقول: " ويُحتمل عندي أن وجه سادس، وهو أنَّ النصب من أقصى الحلق، والجر من وسط الفم، والرفع من الشفتين، وكان النصب إلى الجر أقرب من الرفع؛ لأنَّ أقصى الحلق أقرب إلى وسط الفم من الشفتين، فلمَّا أرادوا حمل النصب على أحدهما كان حمله على الأقرب أولى من حمله على الأبعد، والجار أحق بصقبه"[1].

ومن الآراء الخاصة بالأنباري موقفه في مسألة رافع المبتدأ والخبر، إذ يُضيف الأنباري رأياً في هذه المسألة يختلف عن نحاة البصرة والكوفة، حيث قال في هذه المسألة: "والتحقيق عندي أنْ يُقال: إنَّ الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ؛ لأنه لا ينفك، ورتبته أن لا يقع إلا بعده، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به"[2].

---

[1] انظر: الأنباري، *أسرار العربية*، تح: شمس الدين، (ص48).

[2] انظر: الأنباري، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، (ص42-43)، وانظر: الأنباري، *أسرار العربية*، تح: شمس الدين، (ص60).

الفصل الرابع

علماء القرن السادس الهجري في المغرب العربي والأندلس

واتجاهات الفكر النحوي لديهم

المبحث الأول: أبرز علماء المغرب العربي والأندلس وأهمُّ مؤلفاتهم

لعبت البيئة الجغرافية في المغرب دوراً مهماً وبارزاً في تحديد الاتجاه الفكري لنحاة المغرب، كما لعبت ذات الدور لتحديد الاتجاه الفكري لنحاة المشرق، وكان المسلمون في المغرب قد توزَّعوا إلى بيئتين أساسيتين هما: المغرب العربي، والأندلس، وكان المسلمون قد قسَّموا المغرب العربي بعد الفتح الإسلامي من الناحية الجغرافية إلى ثلاثة أقسام، "وهي: مملكة إفريقية، وهي المغرب الأدنى، وقاعدتها القيروان، وسمي أدنى لأنَّه أدنى إلى بلاد العرب ومركز الخلافة، والمغرب الأوسط، وقاعدته تلمسان والجزائر، والمغرب الأقصى، وقاعدته فاس في مراكش"[1].

خضع المغرب الأدنى في أغلب فترات القرن السادس الهجري من الناحية السياسية والإدارية إلى مصر، فكان حتى النصف الأول تحت حكم الفاطميين (انظر الخريطة 5)، والتي تُمثل جغرافية الدولة الفاطمية في أوسع حالاتها، وامتداد هذه الدولة الذي ضمَّ مصر وأجزاءً من الشام، وأطراف الحجاز، وأجزاء من المغرب الأدنى.

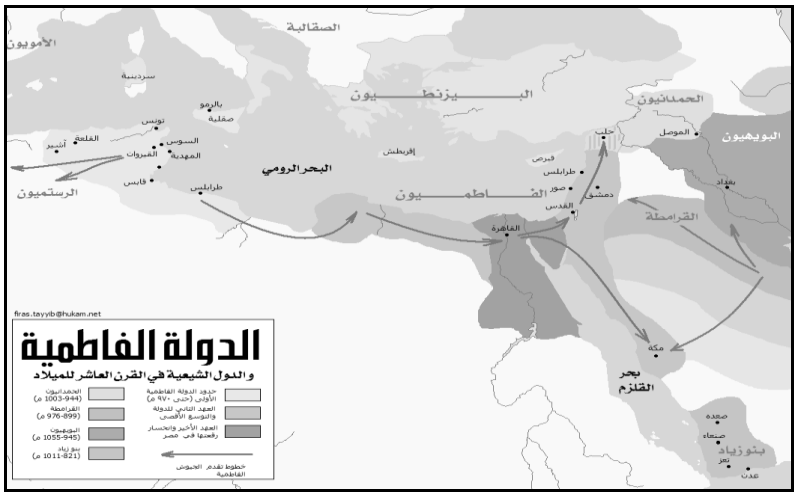

خريطة 5: الدولة الفاطمية في أوسع حالاتها

وخضع المغرب الأدنى في النصف الثاني تحت حكم الأيوبيين (انظر الخريطة 6)، والتي تُمثل جغرافية الدولة الأيوبية في أوسع حالاتها، بعد إسقاطها للفاطميين، وامتدادها الذي ضمَ الشام ومصر وأطراف الحجاز، وأجزاء من المغرب الأدنى.

---

[1] أمين، أحمد. (2012)، *ظهر الإسلام*، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (ص239).

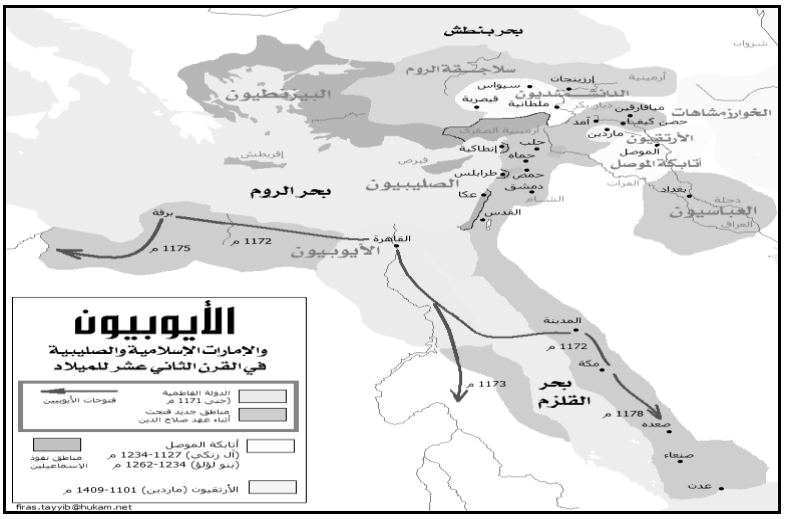

خريطة 6: الدولة الأيوبية في أوسع حالاتها

وخضع كلٌّ من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس تحت حكم المرابطين (انظر الخريطة 7)، والتي تُمثل جغرافية دولة المرابطين في أوسع حالاتها، وامتداد هذه الدولة الذي ضمَّ المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والأندلس عدا ما كان يسيطر عليه الإسبان.

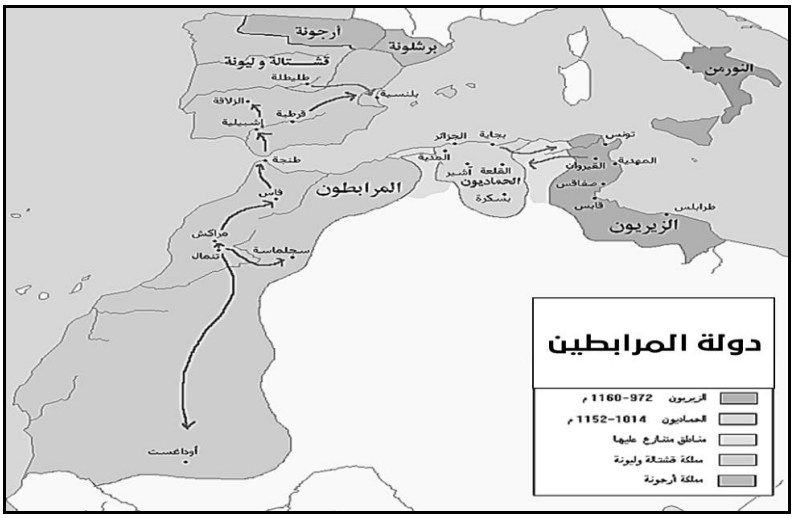

خريطة 7: دولة المرابطين في المغرب العربي والأندلس

ثم خضع أغلب المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس تحت حكم الموحدين (انظر الخريطة 8)، والتي تُمثل جغرافية دولة الموحدين في أوسع حالاتها، بعد إسقاطهم للمرابطين، وامتدادها الذي ضمَّ أجزاءً من المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والأندلس عدا ما كان يسيطر عليه الإسبان.

خريطة 8: دولة الموحدين في المغرب العربي والأندلس

أمَّا من ناحية الفكر النحوي، فقد كانت الأندلس مركزاً أساسياً ومنبعاً من منابع النحو، واتفق النحاة المعاصرون على تسمية الاتجاه الفكري للنحو في الأندلس بالمدرسة النحوية، ومن أمثلة الكتب التي عدَّت النحو في الأندلس اتجاهاً خاصاً أو مذهباً مستقلاً أو مدرسة نحوية، كتاب نشأة النحو لمحمد الطنطاوي، وكتاب من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني، وكتاب المدارس النحوية لشوقي ضيف، وكتاب المدارس النحوية لخديجة الحديثي، وغيرهم الكثير.

أمَّا المغرب العربي فلم يكن بيئة أساسية تمثل اتجاهاً مستقلاً أو مميزاً من اتجاهات النحو، إلا أنَّه ظهر فيه مجموعة من النحاة هم إلى المؤدبين أقرب منهم إلى علماء النحو، وكانوا معتمدين في ذلك على نحاة المشرق، أو نحاة الأندلس[1].

وفيما يلي نعرض أسماء أبرز علماء النحو واللغة في القرن السادس الهجري، وفقاً للتوزيع الجغرافي:

1. **المغرب العربي:** أبرز علماء النحو واللغة في المغرب العربي في القرن السادس الهجري هم: ابن هشام اللخمي، وابن طاهر، وعيسى بن عبد العزيز بن يللبخت الجُزولي.

[1] انظر: الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص360).

2. **الأندلس:** أبرز علماء النحو واللغة في الأندلس في القرن السادس الهجري هم: ابن السيد البطليوسي، وابن الطراوة، وابن الباذش، وأبو القاسم السُّهيلي، وابن مضاء القرطبي.

❖ **تراجم نحاة القرن السادس الهجري في بلاد المغرب العربي والأندلس**

والآن نستعرض لمحات من حياة عدد من هؤلاء العلماء، الذين تم اختيارهم ليمثلوا نحاة القرن السادس الهجري، وللحديث عن اتجاهات الفكر النحوي لديهم، وهؤلاء العلماء كان لهم بصمات واضحة ومؤثرة في الفكر النحوي، وسيتمُّ ترتيبهم وفقاً لتاريخ وفاتهم.

أولاً: علماء المغرب العربي

1. ابن هشام اللخمي: (... – 577 هـ)

نسبه، ومولده: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي النحوي اللغوي السبتي، ولم تذكر التراجم تاريخ ولادته، أصله من إشبيلية وأقام بمدينة سبتة، وفيها برز واشتهر؛ ولهذا السبب يُنسب إلى المغرب العربي[1].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تلقى علومه على يد عدد من علماء الأندلس والمغرب، ومن أبرزهم: أبو بكر ابن العربي، وأبو الخليل مفرج بن سلمة، وله إجازة من الحافظ أبي الطاهر السلفي[2].

أبرز تلاميذه: من أبرز التلاميذ الذين أخذوا عنه: "أبو الحسن بن أحمد الخَوْلانيّ، وأبو عبد الله بن عبد الله بن سعيد الكِنَانيّ، وابن العابد بن غازٍ السَّبْتيّ، وأبو علي حسن بن محمد الجُذَاميّ، وأبو عمر يوسف بن عبد الله الغافقيّ"[3].

---

[1] انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 48)، والزركلي، *الأعلام*، (ج5/ 318)، الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص 256)، والمراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك. (2012)، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، تح: عباس، إحسان، وآخرين، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، (ج4/ 76).

[2] انظر: المراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، (ج4/ 77).

[3] انظر: المرجع السابق، (ج4/ 77).

وفاته: توفي ابن هشام اللخمي في مدينة إشبيلية سنة سبع وسبعين وخمس مئة[1].

أبرز مؤلفاته: ترك ابن هشام عدد من المؤلفات اللغوية، ومن أبرزها كتاب شرح مقصورة ابن دريد، وكان قد شرحها غيره، ولكن شرحاً كان مختلفاً، إذ يعد شرحه من أبسطها وأجودها[2]، ومن كتبه أيضاً: كتاب الفصول، وكتاب المجمل في شرح أبيات الجمل، وكتاب نكت على شرح أبيات سيبويه للأعلم، وكتاب لحن العامة، وكتاب شرح الفصيح[3].

2. أبو موسى الجُزُولي:

نسبه، ومولده: أبو موسى الجزولي عيسى بن عبد العزيز بن يلَلْبخت بن عيسى بن يوماريلي البَرْبَرِي المراكشي اليزدكتني، ولم تذكر التراجم تاريخ ولادته، وجزولة بطن من البربر[4].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: رحل الجزولي من المغرب إلى المشرق، طالباً العلم في مصر، وقرأ مذهب مالك والأصول على الفقيه أبى المنصور ظافر المالكي الأصولي، وقرأ النحو على الشيخ أبى محمد عبد الله بن برىّ النحوي المصري الدار، إمام وقته، ولمَّا قرأ عليه كتاب الجمل للزجاجي سأله عن مسائل على أبواب الكتاب، فأجابه عنها[5].

أبرز تلاميذه: عاد الجزولي إلى المغرب بعد تلقيه العلوم بمصر، وهناك جلس للإقراء، فتتلمذ على يديه عدد من العلماء، ومن أبرزهم: محمد بن أحمد بن عبد الله بن هشام أبو عبد

---

(1) انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج5/ 318)، الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص256)، والمراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، (ج4/ 81).

(2) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج4/ 324).

(3) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 49)، والزركلي، *الأعلام*، (ج5/ 318)، الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص256)، والمراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، (ج4/77).

(4) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 81)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 488)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 378)، وابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج17/ 40)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص226)، والزركلي، *الأعلام*، (ج5/ 104).

(5) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 378).

الله الفهري الذهبي، المتوفى سنة تسع عشر وستمائة[1]، ومحمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله المغربي البجائي الجزائري، ويعرف بالأشيري النحوي، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة[2].

وفاته: توفي الجزولي بأزمورة مراكش بالمغرب، واختلف المترجمون في تحديد سنة وفاته، حيث قال القفطي بأنَّه توفي "في حدود سنة خمس وستمائة، قبلها أو بعدها بقليل"[3]، أمَّا الفيروزآبادي فقد قال بأنَّ وفاته كانت سنة سبع وستمائة[4]، أمَّا ابن كثير، وابن خلكان بأنَّ وفاته كانت سنة عشر وستمائة[5].

أبرز مؤلفاته: من أبرز مؤلفاته كتابه النحوي الذي أسماه القانون، حيث "أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يُسبق إلى مثلها، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن موقف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات"[6]، ومن مؤلفاته أيضاً: كتاب رسالة في النحو، وشرح أصول ابن السراج، وشرح قصيدة بانت سعاد، والأمالي في النحو، ومختصر شرح ابن جني لديوان المتنبي[7].

---

(1) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 28).

(2) انظر: المرجع السابق، (ج1/ 214).

(3) القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 379).

(4) انظر: والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص227).

(5) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 489)، وابن كثير، *البداية والنهاية*. (ج17/ 40).

(6) ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 488-489).

(7) انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج5/ 104).

ثانياً: علماء الأندلس

1. ابن السِّيْد البَطَلْيُوسِي: (444 – 521 هـ)

نسبه، ومولده: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيْد البطليوسي[1]، وكان مولده في سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بطليوس[2]، حيث ولد ونشأ فيها، ثم انتقل إلى بلنسية[3]، حيث سكنها، استقر فيها حتى وفاته، ونال شهرته فيها[4].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تلقَّى ابن السيد البطليوسي تعليمه في الأندلس، فهو لم يغادرها رغم صعوبة الأحوال وكثرة الحروب بين المماليك المتفرقة التي حدثت قبل استلام المرابطين الحكم، ونقل أنَّه قال عن سبب طلبه للعلم: "كان سبب طلبتي للعلم أنَّ والدي كان رجلاً من أهل القرى، وكان له ثروة، فسلّم إلي مالاً لأدخل به إلى الحاضرة للتجارة، فدخلت إلى قرطبة، فاتفق أني اجتزت في السوق فوجدت حلقة تباع فيها الكتب، فوقفت عليها، واستحسنت الكتب، وشريت منها بمقدار مائتي دينار للتجارة، فلما خلوت بها جعلت أفتقدها وأقول: هذا جيد لا ينبغي أن يباع، وهذا جيد إلى أن اخترت لنفسي أكثرها، ثم جعلت أطالعها فلا أفهم معانيها، فيضيق صدري. فسألت بعض الطلبة، وقلت له: أي العلوم أنفق؟ فقال: الناس في الأدب أرغب منهم في غيره، قلت له: وأيّ الكتب أشهر من كتب الأدب؟ فقال: كتاب العين، فشرعت فيه على شيخ هناك. فلم تمض لي شهور حتى حفظته، ثم حفظت كتابا في النحو. ولذّ لي العلم،

---

(1) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 96)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 55)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص174)، والزركلي، خير الدين، *الأعلام*، (ج4/ 123)، الحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1527)، والذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج19/ 532)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج17/ 308).

(2) **بَطَلْيُوسُ**: بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. انظر: الحموي، معجم *البلدان*، (ج1/ 447).

(3) **بَلَنْسِيَةُ**: السين مهملة مكسورة، وياء خفيفة: كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برّيّة بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب. انظر: الحموي، معجم *البلدان*، (ج1/490).

(4) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 98)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 56)، والزركلي، خير الدين، *الأعلام*، (ج4/ 123)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج17/ 308).

فلم تمض إلا مدة قليلة حتى صرت ممن يشار إليه. فاشتقت إلى أهلي بعد أن أنفقت جميع ما كان معي، فخرجت إليهم واجتمعت بوالدي، فسألني عن الحال، فأخبرته بقصتي، فلم ينكره عليّ بل سرّه، وقال: يا ولدي، هذه نعمة من الله في حقك حيث ألهمك بالعلم. وأمدني بشيء آخر من المال، ورجعت إلى المدينة، وطلبت المشايخ حتى بلغت إلى ما ترون"[1].

وأمَّا أبرز شيوخه فكان أخوه أبو الحسن علي بن محمد بن السّيد النحوي، كان يُعرف بالخيطال، وكان قد روى عن أبي بكر بن الفرات، وأخذ عنه أبو محمد كثيراً من كتب الأدب وغيرها، وكان مقدّماً في علم اللغة وحفظها والضبط لها، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة أو نحوها[2]، ومن شيوخه: أبو بكر عاصم بن أيوب البَطَلْيُوسي، وأبو سعيد الوراق[3].

أبرز تلاميذه: تتلمذ على يديه، ونقل عنه عدد من الطلاب، ومن أبرزهم: أبو علي حسين بن محمد بن غريب الأنصاري، وأبو المحاسن محمد بن السيد بن أبي الفوارس الدمشقي المعروف بابن أبي لقمة[4]، وأبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام بن سعد القيسي، المتوفى سنة واحد وخمسين وخمسمائة[5].

وفاته: توفي ابن السيد البطليوسي بمدينة بلنسية الأندلسية، منتصف رجب من سنة إحدى وعشرين وخمسمائة[6].

أبرز مؤلفاته: ترك ابن السيد البطليوسي الكثير من المؤلفات ومن أبرز هذه المؤلفات: كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، وكتاب الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة، وكتاب شرح

---

(1) الحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1528–1529).

(2) انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 307).

(3) انظر: اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي. (1972)، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، تح: الأحمدي، محمد، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، (ج1/ 441)، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (2003)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح: معروف، بشار، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (ج10/ 753).

(4) انظر: سعد الملك، علي بن هبة الله. (1990)، *الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب*، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (ج4/ 419).

(5) انظر: المراكشي، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، تح: عباس، (ج3/ 34).

(6) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 98)، والزركلي، خير الدين، *الأعلام*، (ج4/ 123)، والحموي، معجم *الأدباء*، (ج4/ 1528)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 143).

الموطّأ، وكتاب المثلث في اللغة، وكتاب شرح سقط الزّند، وكتاب إصلاح الخلل الواقع في شرح الجمل، وكتاب شرح أبيات الجمل، وكتاب التذكرة الأدبية، وغير ذلك[1].

2. ابن الطراوة: (... – 528 هـ)

نسبه، ومولده: أبو الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي المعروف بابن الطراوة، من أهل مالقة، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته، ولا مكانه[2].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تلقَّى علومه على يد أبرز علماء الأندلس، ومن أبرز شيوخه: أبو الحجاج الأعلم، والأديب أبو بكر المرشاني أو الشرشائي، وأبو مروان عبد الملك بن سراج، حيث حمل عنهم كتاب سيبويه، وروى عن أبي الوليد الباجي، وغيرهم[3].

أبرز تلاميذه: أخذ عن ابن الطراوة جمع غفير من التلاميذ، وأبرز تلاميذه: أبو القاسم السهيلي والقاضي عِياض، وابن سمحون القرطبي[4].

وفاته: توفي ابن الطراوة بمدينة مالقة بالأندلس، في رمضان أو شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة[5].

---

[1] انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 142)، والزركلي، خير الدين، *الأعلام*، (ج4/ 123).

[2] انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 602)، وانظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 132)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج4/ 113)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج15/ 257)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص149).

[3] انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج15/ 257)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص149)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 602)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 132)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج4/ 113).

[4] انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 602)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص150).

[5] انظر: والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص150)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج15/ 257)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 602)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 132).

أبرز مؤلفاته: من أبرز المؤلفات التي تركها ابن الطراوة: كتاب الإفصاح على الإيضاح، والترشيح على النحو، وهو كتاب مختصر، والمقدمات على كتاب سيبويه، ومقالة في الاسم والمسمى[1].

3. أبو القاسم السُّهيلي: (508 – 581 هـ)

نسبه، ومولده: أبو القاسم، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش ابن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي الإمام الخثعمي الأندلسي المالقي الحافظ، ولد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة[2].

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: تنقَّل السُّهيلي بين العلماء آخذاً عنهم خلاصة أفكارهم، ومع أنه تعرَّض لفقدان بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، لكنَّ ذلك لم يمنعه عن مواصلة طريق العلم، فتتلمذ على يد عدد من أبرز علماء الأندلس، ومن أبرز شيوخه: أبو الحسين بن الطراوة، حيث أخذ عنه كتاب سيبويه، وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب، وتخرَّج على أبي بكر بن العربي[3].

أبرز تلاميذه: تصدَّر السُّهيلي للإقراء والتدريس والحديث، وذاع صيته، وجل قدره، إذ جمع بين الرواية والدراية، ونمي خبره إلى صاحب مراكش فطلبه إليها وأحسن إليه، وأقبل بوجه الإقبال عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام[4]، وتتلمذ على يديه كثير من التلاميذ، ومن أبرزهم: أبو بكر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري، الأندلسي، المالقي، المشهور: بابن القرطبي، المتوفى سنة إحدى عشرة وستمائة[5]، وأبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي،

---

(1) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 602)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص149–150)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 132).

(2) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 143–144)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 313)، والقفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج2/ 162)، ابن كثير، *البداية والنهاية*، (ج16/ 574)، والسيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج2/ 81)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص181)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 100–101).

(3) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101).

(4) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 144).

(5) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج22/ 69–70).

الإشبيلي، الأندلسي، النحوي، الملقب بالشلوبين، المتوفى سنة خمس وأربعين وست مائة[1]، وأبو الحسين عبيد الله بن عاصم بن عيسى الأسدي، المتوفى سنة تسع وأربعين وست مائة[2]، وبسام بن أحمد بن حبيش بن عمر بن عبد الله بن شاكر أبو الرضى الغافقي الجياني، المتوفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة[3]، وعمر بن عبد المجيد بن عمر الرندي، المتوفى سنة عشر وستمائة[4]، وغيرهم الكثير.

وفاته: توفي السُّهيلي بمراكش يوم الخميس ودفن وقت الظهر، في السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة[5].

أبرز مؤلفاته: ترك السُّهيلي الكثير من المؤلفات المنوعة، ومن أبرز مؤلفاته: كتاب الرَّوض الأُنُف، وقد تحدَّث فيه عن سيرة رسول الله (ﷺ)، وكتاب التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، وكتاب شرح آية الوصية، وكتاب نتائج الفكر في النحو، وله على الجمل شرح ناقص لم يكمله، ومسألة رؤية الله (ﷻ) في المنام، ورؤية النبي (ﷺ)، ومسألة السر في الأعور الدجال، ومسائل كثيرة مفيدة[6].

4. ابن مضاء القرطبي: (511 – 592 هـ)

نسبه، ومولده: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء بن مهند بن عمير اللخمي، القرطبي الجياني الأصل، يُكنَّى بأبي جعفر وأبي العباس وأبي القاسم والأخيرة قليلة، كان مولده بقرطبة سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة وخمسمائة[7].

---

(1) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج23/ 208).

(2) انظر: المرجع السابق، (ج23/ 251).

(3) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج10/ 80).

(4) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص221).

(5) انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. (ج3/ 144)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 313).

(6) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص182)، وابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج3/ 143)، ، والصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج18/ 101)، والزركلي، *الأعلام*، (ج3/ 314).

(7) انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 208و211)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

طلبه للعلم، وأهمُّ شيوخه: من أبرز العلماء الذين تتلمذ على يدهم ابن مضاء: أبو طاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف، المازني، السرقسطي، إمام اللغة والأدب، له المقامات اللزومية، وهي غريبة، مات بقرطبة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[1]، ومحمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي النحوي الأديب، الذي توفي في ذي الحجة من سنة أربعين وخمسمائة[2]، وأبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ابن إبراهيم التميمي المازني السرقسطي، يعرف بابن الأشتركوني، مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[3].

أبرز تلاميذه: أبرز من تتلمذ على يدي ابن مضاء: أبو القاسم أحمد ابن أبي الوليد يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن شيخ الأندلس الحافظ بقي بن مخلد الأموي مولاهم، البقوي، القرطبي، المالكي، قرأ جميع كتاب سيبويه على ابن مضاء، توفي يوم الجمعة، بعد الصلاة، منتصف رمضان، سنة خمس وعشرين وست مائة، بقرطبة[4]، وأبو الحسين محمد ابن الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري، الإشبيلي، ابن زرقون، المتوفى سنة اثنتين وعشرين وست مائة[5]، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يوسف الأنصاري، القرطبي، المالكي، المتوفى بمراكش، في ربيع الأول، سنة إحدى وخمسين وست مائة[6]، وسهل بن محمد بن سهل بن محمد بن احمد بن إبراهيم بن مالك أبو الحسن الأزدي الغرناطي، المتوفى سنة أربعين وستمائة[7].

---

(1) انظر: الفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص290).

(2) انظر: السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، (ج1/ 243).

(3) انظر: المرجع السابق، (ج1/ 279).

(4) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (ج22/ 274-276).

(5) انظر: المرجع السابق، (ج22/ 311-312).

(6) انظر: المرجع نفسه، (ج23/ 304-305).

(7) انظر: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، (ج16/ 15-16).

وفاته: توفي ابن مضاء القرطبي بإشبيلية بالأندلس سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1].

أبرز مؤلفاته: ذكرت كتب التراجم والنحو ثلاثة كتب لابن مضاء، وهي تنزيه القرآن عما لا يليق من البيان، والمشرق في إصلاح المنطق في النحو، وهما كتابان مفقودان، وكتابه المنشور هو الرد على النحاة[2]، وقد اشتمل على الكثير من الآراء المخالفة لأئمة النحو، وشذَّ عنهم كثيراً.

---

[1] انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 211)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

[2] انظر: الزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146).

المبحث الثاني: اتجاهات الفكر النحوي في المغرب العربي والأندلس

تعدُّ البيئة الجغرافية في المغرب العربي والأندلس في القرن السادس الهجري بيئةً جغرافيةً وسياسيةً واحدةً، حيث كانتا تحت حكم دولة المرابطين، ثمَّ تحت حكم دولة الموحدين، مما أوجد تداخلاً سياسياً وثقافياً وفكرياً كبيراً بين البيئتين، ولم يعد هناك فرقٌ إنْ كان أصل العالم من المغرب العربي، أو من الأندلس، ونتج عن ذلك اتجاهاً نحوياً ومُتقارباً –إلى حدٍّ كبيرٍ– سُمي فيما بعد بالمدرسة الأندلسية النحوية، أو مدرسة الأندلس والمغرب.

كان الاتجاه الكوفي سائداً في بدايات الفكر النحوي في الأندلس والمغرب، ويرجع ذلك إلى العالم جودي بن عثمان[1]، الذي رحل إلى المشرق والتقى الكسائي والفرَّاء، ثمَّ عاد إلى الأندلس، فكانت كتبهما "موضع اهتمام نحاة هذه المرحلة، فدرسوها وشرحوها، وألَّفوا نحوها"[2]، وقد ساهم ذلك في انتشار أفكار واتجاهات المذهب الكوفي في الأندلس.

وفيما يلي تتلخص أبرز الأسباب التي أدَّت إلى اهتمام الأندلسيين، والمغاربة بالنحو الكوفي دون النحو الأندلسي[3]:

1. نشأة المدرستين: (البصرة والكوفة)

اهتمت المدرسة البصرية بالنحو قبل المدرسة الكوفية بقرابة قرنٍ من الزمان، ولمَّا بدأ نحاة الأندلس يطلبون النحو كانت المدرسة البصرية قد اكتملت آراؤها، أمَّا المدرسة الكوفية كانت في بداياتها، فكانت آراؤهم أكثر بساطةً، وأقل تعقيداً.

---

[1] جودي بن عثمان مولى لآل يزيد بن طلحة العنبسيين، من أهل مورور من بلاد الغرب، رحل إلى المشرق فلقي الكسائي والفراء وغيرهما، وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: الحموي، معجم *الأدباء*، (ج2/ 802).

[2] الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص311)، وانظر: ضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص289).

[3] انظر: عصيدة، فادي، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (ص12–14).

2. كثرة الرواية عن العرب:

امتازت المدرسة البصرية بوضع قوانين وأسس معقَّدة للنقل عن العرب، أمَّا الكوفيون فلم يكونوا بهذا التعقيد، فكانت أيسر على الأندلسيين؛ كونهم حديثي العهد بهذا العلم.

3. اعتماد الكوفيين على السماع والتقليل من القياس:

لم يهتم نحاة الكوفة بالحدود الزمانية والمكانية التي تشدَّد فيها البصريون، فكانت اللغة لديهم كلها حُجَّةً، دون تفضيل قبيلة على أخرى، أو شخصٍ على آخر، فكان هذا التيسير حافزاً للأندلسيين للاهتمام بالنحو الكوفي.

4. طبيعة الكتب الكوفية:

كانت الكتب الكوفية في بداياتها سهلةً وبسيطة، وتخلو من التعقيدات، إذ كانت الكتب مختصرة تُعطي الفائدة دون توسُّعٍ أو تعمُّقٍ في الأفكار، فكانت خير وسيلة تعليمية لقومٍ حديثي العهد بالنحو العربي.

أتاحت هذه الأسباب مجتمعة لنحاة الأندلس مجالاً واسعاً لإعمال الفكر النحوي، ومضت السنون التي كان فيها المذهب الكوفي اتجاهاً فكرياً سائداً بين نحاة الأندلس، وحلَّت بالأندلس مرحلة جديدة من مراحل الفكر النحوي، وبرزت هذه المرحلة عندما رحل محمد بن موسى بن هاشم[1] إلى المشرق، حيث التقى أبا جعفر الدينوري[2]، وأخذ عنه كتاب سيبويه وعاد به إلى الأندلس؛ ليعلمه لتلاميذه، ثم تبعه عدد آخر من العلماء الذين اهتموا بكتاب سيبويه[3].

---

[1] محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد النحوي الأندلسي، كان متصرفاً في علم الأدب والخبر، ورحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر الدينوري، وانتسخ كتاب سيبويه من نسخة واحدة، وأخذه عنه رواية، توفي في رجب سنة سبع وثلاثمائة. انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج3/ 216).

[2] أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو جعفر الكاتب ولد ببغداد، وروى عن أبيه كتبه المصنفة، وولي قضاء مصر، وأقام بها إلى أن وافاه أجله، وتوفي في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. انظر: القفطي، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، (ج1/ 81).

[3] انظر: الحديثي، خديجة، *المدارس النحوية*، (ص311)، وضيف، شوقي، *المدارس النحوية*، (ص289–290).

بدأ الأندلسيون بعد ذلك ينهلون من كتاب سيبويه، وارتحل عدد منهم إلى المشرق؛ لدراسة النحو البصري، فتفتحت آفاقهم على الاتجاه البصري، وأعجب الكثير به، ثمَّ بدأت تتبلور في القرن الخامس الهجري اتجاهات فكرية أهلت لبروز مدرسة نحوية جديدة، تحت اسم المدرسة الأندلسية المغربية، حيث كان الأعلم الشنتمري[1] أبرز أعلامها، الذي جمع بين الدراسات اللغوية، والمسائل النحوية[2].

واستمر الحال على ذلك وصولاً إلى القرن السادس الهجري، حيث "ظلَّ علماء الأندلس يتوالون ويتابعون، وينهلون من منابع النحو الثلاثة –الكوفي، والبصري، والبغدادي– ويجمعون بينها فيما يدرسون ويصنِّفون، ويتعمَّقون في فهم دقائق النحو، واستحكام أحكامه، وتعليل قضاياه، وحذق أصوله، والتبحُّر في فروعه"[3].

لعل أبرز ما ظهر في القرن السادس الهجري استغناء نحاة الأندلس والمغرب عن المشارقة، واعتمادهم على أنفسهم، بل "إنَّهم عَدَلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو، وخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه، واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم، وبذلك استحدثوا مذهباً رابعاً عُرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري"[4].

يُلاحظ مما سبق أنَّ النحو الأندلسي قد مرَّ بثلاث مراحل، المرحلة الأولى كانت كوفية بامتياز، وتمثلت هذه المرحلة بالتعرف على أبرز أساسيات النحو العربي، أمَّا المرحلة الثانية فكانت مرحلة التبحُّر في جميع اتجاهات النحو والتعرُّف على مخرجاته، فامتازت هذه المرحلة بعمل المقارنات والموازنات بين من سبقوهم في هذا المضمار، فقارنوا آراء الكوفيين مع

---

[1] أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي، المعروف بالأعلم من أهل شنتمرية الغرب، رحل إلى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة، وأخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي، وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب، وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار، وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية من جزيرة الأندلس، وشنتمرية: بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة، وهي مدينة بالأندلس في غربها. انظر: ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (ج7/ 83).

[2] انظر: ولد أبّاه، محمد المختار. (2008)، *تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب*، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، (ص225).

[3] روّاي، صلاح، *النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله*، (ص678).

[4] الطنطاوي، محمد، نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة، (ص220).

البصريين مع البغداديين، ثمَّ جاءت المرحلة الثالثة والختامية، وهي مرحلة النضوج والبروز النحوي، وأكثر ما تميَّزت به هذه الفترة هو أنَّ أغلب علماء النحو فيها تتلمذوا على يد علماء أندلسيين، على عكس من سبقوهم الذين تتلمذوا على يد المشارقة، سواء في الأندلس من قبل من ارتحل إليها من علماء المشرق، أو من ارتحل من علماء المغرب إلى المشرق، ومن هنا كانت بوادر الاستغناء عن المشارقة، بل ومجاراتهم أو الاستدراك عليهم أو معارضتهم في بعض الأحيان، وبهذا صنع الأندلسيون والمغاربة اتجاهاً نحوياً جديداً، فرض نفسه على النحو العربي، وأضحى أحد أهم مدارس النحو العربي.

❖ نماذج من اتجاهات نحاة المغرب في القرن السادس الهجري

نستعرض تحت هذا عنوان نماذج من مناهج التأليف التي اتبعاها أبرز النحاة في المغرب، ثمَّ نتحدَّث عن موقفهم من البصريين والكوفيين، وذلك من خلال إبراز أهم الآراء البصرية والكوفية التي تبنُّوها، ثمَّ نستعرض ملامح التجديد المُتمثل في الآراء النحوية الجديدة وغير المسبوقة التي نادى بها عدد من نحاة القرن السادس.

أولاً: أبو القاسم السهيلي

أ. منهجه في التأليف

كان يغلب على السهيلي في منهجه الذي اتَّبعه في تأليف كتبه أنَّه يبتعد عن الاستطرادات والتعريفات والجدل الفلسفي، وكانت عملية سرده تقوم على ما تسمح به اللغة، وما يجوزه الاستعمال من قواعد النحو العربي والتراكيب اللغوية، مستعيناً في أغلب أوقاته بما يحفظه من موروث أدبي، وما هو شائع في الأندلس، وكان يغلب على منهجه المنطق في عرضه للآراء والمسائل النحوية، وتحليله كان يقوم على ذلك، مرتكزاً على الحوار العلمي[1].

قام السهيلي بترتيب موضوعاته في كتابه نتائج الفكر في النحو وفقاً بترتيب كتاب الجمل للزجاجي؛ وذلك لميل قلوب الناس إليه، وهذا لا يعني أنَّ كتابه هذا شرح لكتاب الجمل،

---

[1] انظر: زهار، محمد. (2007)، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، مجلة الأثر الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة– الجزائر، ع6، ماي/مايو، (ص218).

إنما سار على طريقته في ترتيب الأبواب والتعليق عليها، وهذا الترتيب ألفه أهل الأندلس، واعتادوا عليه[1].

استعان السهيلي في كتابه نتائج الفكر بمن سبقوه من العلماء، فنراه يجعل كتاب سيبويه مصدراً أساساً له، كما استعان بآراء كثير من النحاة المشارقة وكتبهم مثل: المقتضب للمبرد، ومعاني القرآن للفراء، وأصول النحو لابن السراج، والخصائل لابن جني، وغير ذلك من الكتب البارزة في النحو، والتي كانت من أهم مصادر السهيلي في كتابه، فمن خلال آراء هذه الكتب بنى السهيلي آراءه النحوية.

اشتمل كتابه على عشرات المسائل النحوية، وتم تقسيم هذه المسائل على عدة أبواب وهي: الباب الأول: الإضافة، ومما اشتمل عليه: مسألة إضافة الاسم إلى الله عز وجل، ومسألة الإضافة في بسم الله، والباب الثاني: أقسام الكلام، ومما اشتمل عليه: مسألة في الاسم، ومسألة في تعريف الفعل، والباب الثالث: الإعراب، ومما اشتمل عليه: مسألة الجزم خاص بالأفعال والخفض بالأسماء، والباب الرابع: الأفعال، ومما اشتمل عليه: مسألة في الفعل بعد الجوازم، ومسألة في إلحاق علامة التأنيث بالفعل، والباب الخامس: النعت، ومما اشتمل عليه: مسألة في أقسام النعت، ومسألة في العامل في النحو، والباب السادس: العطف، ومما اشتمل عليه: مسألة في لكن، ومسألة في لا العاطفة، والباب السابع: الابتداء، ومما اشتمل عليه: مسوغات الابتداء بالنكرة، وإعراب الاسم المرفوع بعد الظرف.

كما تُميَّز السهيلي بطريقة عرضه للمسائل النحوية، ففي كثير من الأحيان كان ينفرد على هذه المسائل بآراء خاصة به لم يسبقه أحدٌ إليها، وتُمثل هذه الآراء موقفه من النحو واللغة[2].

كان أسلوب السهيلي في عرض مسائله أسلوباً تعليمياً، فكان يبدأ بقوله: فإن قيل، ثم يرد عليها بقوله: قلنا.

---

[1] انظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (1992)، *نتائج الفكر في النحو*، تح: عبد الموجود، عادل، ومعوض، علي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، (مقدمة التحقيق/ 17)، وانظر: زهار، محمد، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، (ص220).

[2] انظر: زهار، محمد، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، (ص221).

ب. موقفه من مذهبي البصرة والكوفة

حذا السهيلي حذو نحاة مدرسة الأندلس، وذلك من خلال ملاحظة آراء البصريين والكوفيين، ثمَّ العمل على شرح وتحليل هذه الآراء، واختيار الرأي الأنسب، ولم يكتف السهيلي بذلك فحسب، بل أضاف كثيراً من آرائه التي تفرَّد بها.

الموقف من البصريين

لمَّا وصل كتاب سيبويه إلى الأندلس عكف النحاة عليه قراءة وشرحاً وتفسيراً، على اعتبار أنَّه أول وأهم كتاب جامع لأصول النحو، فقد "تكاثرت نسخه، وصارت كتابهم المقدس في العربية، وإليه تؤول فضيلة النهضة الأندلسية، فقد شُغِف به الأندلسيون والمغاربة، وتنافسوا في إظهاره"[1].

وكان السهيلي واحداً من هؤلاء العلماء الذين استعانوا بكتاب سيبويه، ومن أبرز ما اختاره السهيلي موافقاً ومؤيداً لسيبويه ما عرضه في باب أقسام الكلام حيث نقل عن أبي القاسم الزجاجي أنَّه قال عنها: أقسام الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وردَّ عليه بأنَّ هذه العبارة على طولها مردودة، وأنَّ عبارة سيبويه على إيجازها صحيحة حيث قال فيها: الكلم: اسم وفعل وحرف[2].

ومن أبرز الآراء التي أيَّد فيها السهيلي البصريين:

- أيَّد البصريين في قوله أنَّ الفعل الماضي لا يجوز أن يقع حالاً أبداً، وأجمع البصريون على أنَّه يجوز أن يقع حالاً إذا كانت معه (قد)، أو كان وصفاً لمحذوفٍ[3]، لكنَّ السهيلي لم يُشر لهذا الاجماع، واكتفى بتأييدهم في قضية أنَّه لا يجوز ذلك، وأعطى مثالاً على ذلك فقال: لا تقول جاء زيد ضحك، فهنا لا

---

[1] الطنطاوي، نشأة النحو، (ص221).

[2] انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص49).

[3] انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: مبروك، (ص212).

يمكن أن نجعل هذا الفعل في حالة الحال؛ لأنه لا يوجد جامع بينهما[1]، أما الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ الماضي يجوز أن يقع حالاً[2].

- ذهب البصريون في مسألة الفعل والمصدر أيهما أصل، وأيهما مشتق من الآخر، إلى أنَّ الفعل مشتق من المصدر، وأنَّ المصدر أصل، أمَّا الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ المصدر مشتق من الفعل، وأنَّ الفعل هو الأصل[3]، وهنا نجد السهيلي قد أيَّد البصريين في هذه المسألة[4].

الموقف من الكوفيين

المعلوم أنَّ النحو في الأندلس بدأ كوفياً، ثم ما لبث أن تحوَّل بصرياً، ولكن التأثير الكوفي لم ينقطع عن نحاة الأندلس، وبقي مؤثراً فيهم "حتى بعد ظهور النحو البصري، والاتجاه البغدادي هناك، وإنَّه لم لينقطع عنه حتى بعد ظهور مدرسة الأندلس النحوية في القرنين السادس والسابع الهجريين، مُمثلاً في كثير من أعلام النحو هناك الذين كانوا يميلون أحياناً إلى آراء الكوفيين"[5].

كان السهيلي واحداً من علماء الأندلس الذين اطَّلعوا على المذهب الكوفي واستوعبوه، ما جعله يقف معهم في عدد من المسائل، ومن أبرزها:

- وافق السهيلي رأي الكوفيين الذي يقول أنَّ لكن مركبة من لا، وإن، لكنه اختلف معهم في الكاف، حيث يقول الكوفيون بأنها للخطاب، بينما يرى السهيلي أنها للتشبيه، ومثَّل السهيلي على ذلك بقوله: "إذا قلت ذهب زيدٌ لكنَّ عمراً مقيمٌ،

---

(1) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص110)، وانظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: مبروك، (ص212)

(2) انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: مبروك، (ص212)

(3) انظر: الأنباري، أسرار العربية، تح: شمس الدين، (ص103).

(4) السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص53-54).

(5) الهيتي، عبد القادر. (1993)، *خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري*، ط2، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، (ص38).

تريد: لا كفعل عمرو، فلا لتوكيد النفي عن الأول، وإن لإيجاب الفعل الثاني، وهو المنفي عن الأول؛ لأنك ذكرت الذهاب الذي هو ضده فدل على انتفائه"[1]

- أيَّد السهيلي رأي الكوفيين في أنَّ حرف الجر (مِنْ) يكون لابتداء الغاية المكانية والزمانية، مخالفاً البصريين الذين يرون أنَّها لا تفيد إلا ابتداء الغاية المكانية[2]، واستدل على (مِنْ) تأتي للزمان بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾[3]، ويقول معلِّقاً على ذلك بأنَّ القبل والبعد في هذه الآية للزمان[4].

ج. ملامح التجديد في اتجاهات السهيلي النحوية

لم يكتفِ السهيلي بعرض آراء النحويين السابقين وشرحها واختيار ما يراه مناسباً، بل سعى إلى ترك بصمة له في هذا المضمار، فنراه ينفرد ببعض الآراء النحوية الخاصة به، ومن أبرزها ما يلي:

- أضاف في مسألة الفعل المتعدي إلى مفعولين أصلاً ينبني عليه، وهو "أن تنظر إلى كل فعل حصل منه في الفاعل صفة ما، فهو الذي يجوز فيه النقل؛ لأنك إذا قلت أفعلته، فإنما معناه: جعلته على هذه الصفة، وقلما ينكسر هذا الأصل في غير المتعدي إذا كان ثلاثياً نحو: قعد وأقعدته، وطال وأطلته"[5]، ويقصد السهيلي بالفاعل ما صار مفعولاً بعد أن صار الفعل متعدياً، فإذا أمكن أن يكتسب هذا الفاعل –بعد أن يصير مفعولاً– صفة جاز النقل.
- يرى السهيلي أنَّ الفاعل لا يُمكن أن يُحذف من الجملة الفعلية؛ وذلك لأن الفعل قد بُني للدلالة على معنى فيه؛ لأن الاسم المخبر عنه؛ لذا وجب ألا

---

[1] السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص200).

[2] انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: مبروك، (ص315).

[3] [الروم: 4].

[4] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (2000)، *الرَّوضُ الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، تح: السلامي، عمر عبد السلام، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (ج4/ 156).

[5] السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص253).

يخلو الفاعل من الجملة الفعلية، ويجب أن يكون مضمراً أو مظهراً[1]، أمَّا المفعول به فيرى أنَّه يمكن حذفه، ويعلل ذلك بقوله: "ليس اعتماد الفعل عليه كاعتماده على الفاعل، ألا ترى أنَّه يُحذف، والفاعل لا يُحذف"[2].

- عدَّ السهيلي (إنْ) الشرطية أصلاً لـ (إنْ) النافية، ففي تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ﴾[3]، يقول: "ولو جعلت مكان (إن) ههنا غيرها من حروف النفي لم يحسن فيه مثل؛ هذا لأنَّ الشرطية أصل للنافية، كأن المجتهد في النفي إذا أراد توكيد الجحد يقول: إن كان كذا وكذا فعلى كذا، أو فأنا كذا، وكثر هذا في كلامهم حتى حُذف الجواب وفُهم المقصد، فدخلت (إن) في باب النفي"[4].

ثانياً: ابن مضاء القرطبي

أ. المنهج في التأليف

ذكرت المصادر النحوية وكتب التراجم أنَّ ابن مضاء ترك ثلاثة كتب في النحو العربي، وهي: كتاب الرد على النحاة، وكتاب المشرق في النحو، وكتاب تنزيه القرآن عمَّا لا يليق بالبيان[5]، لكن لم يصل لنا من هذه الكتب غير كتاب واحد وهو كتب الرد على النحاة، ومن خلال الاطلاع على هذا الكتاب يلاحظ في القارئ أنَّ المنهجية التي سار عليها ابن مضاء تقوم على شنَّ هجومٍ على النحاة.

وكانت حملة ابن مضاء موجهة إلى جميع النحاة وخاصة نحاة البصرة، ويستهل ابن مضاء كتابه بقوله: "أمَّا بعد، فإنه حملني على هذا المكتوب قول الرسول (ﷺ): الدِّينُ النَّصِيحَةُ،

---

(1) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص57).

(2) المرجع السابق، (ص57-58).

(3) [فاطر: 41].

(4) انظر: السهيلي، *نتائج الفكر في النحو*، (ص116).

(5) انظر: اليعمري، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، (ج1/ 210)، والزركلي، *الأعلام*، (ج1/ 146)، والفيروزآبادي، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، (ص74).

وقوله (ﷺ): من رأى منكم منكراً فيُغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه"[1]، ومن هنا نجد أنَّه أراد أن يأخذ بسنة رسول الله (ﷺ) من خلال تقديم النصح والإرشاد، ولكنه في ذات الوقت يرى أنَّ ما يقوم به النحاة منكراً أو أمراً غير مقبولٍ؛ لأنه "يراهم ضلوا وأضلوا الناس في وعثاء النحو وشعابه، وكثرة ما فرَّعوا فيه من فروع، وأقاموا من حجج وعلل، وإنَّه لينبغي أن يُنفض ذلك كله عن النحو"[2].

تكوَّن كتاب ابن مضاء من ثلاثة أهداف أساسية وهي: إلغاء العوامل النحوية، وإسقاط العلل الثواني والثوالث، وإسقاط التمارين، وكان ابن مضاء في عرضه لهذه المسائل وغيرها يقوم على سرد أراء النحاة، ثم يعارض هذه الآراء مبرزاً الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

ب. الموقف من النحاة وملامح التجديد

يتضح من خلال المقدمة التي تحدَّث فيها ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة أنَّه يرى بأنَّ النحاة وضعوا قواعد النحو العربي ساعين لحفظه من اللحن، وصيانته من التغيير، وأنهم قد وصلوا إلى الغاية التي أرادوها، لكنهم بالغوا فيها بعد ذلك، والتزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا القدر الكافي، فأصبحت مسالكه صعبة على المتلقين، وأصبحت الحجج غير مقنعةٍ[3].

❖ **إلغاء العوامل النحوية**

سعى ابن مضاء من خلال هذا الباب إلى إلغاء نظرية العامل، وقد أوضح ذلك بشكل صريح عندما قال: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ منه"[4].

تناول ابن مضاء موضوع العامل بداية بعرض هذه النظرية من خلال رأي سيبويه القائل بأنَّ النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، ثمَّ انتقل إلى رأي ابن جني الذي

---

[1] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص71).

[2] المرجع السابق، (مقدمة التحقيق/ 24).

[3] انظر: المرجع نفسه، (ص72).

[4] المرجع نفسه، (ص76)، وانظر: عمار، ربيح، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، (ص296).

يعارض سيبويه، إذ يقول بأنَّ العمل في الرفع والنصب والجزم والجر إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره[1]، وكأنَّ ابن مضاء رضي ما نسبه ابن جني من أنَّ العمل الحقيقي إنما هو للمتكلم، وليس كما يقوله النحاة، ثم رأى ابن مضاء بأنَّه لو كان ما قاله النحاة من باب المجاز لا الحقيقة، وذلك على سبيل التشبيه والتقريب فإنَّه من الممكن أن يغفر لهم ذلك، أمَّا إن أصروا على اعتقادهم بأنَّها عوامل حقيقية فلا يجوز اتباعهم[2].

مضى ابن مضاء بعد ذلك إلى بحث العوامل المحذوفة؛ ليدلَّ على مدى فسام نظرية العامل، وجعل هذه العوامل ثلاثة أقسام: أمَّا الأول: محذوف لا يتم الكلام به حُذف لعلم المخاطب به، كقوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا**﴾[3]، أي: أنزل خيراً، وحذفت كلمة أنزل لعلم المخاطب بها، أمَّا الثاني: محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عبثاً، كما في (أزيداً ضربته)، حيث يقول النحاة بأنَّ (زيداً) نُصب لفعل مضمر، ويرى ابن مضاء هذا التقدير تكلُّفاً وضعه النحاة بسب القاعدة التي وضعوها، والتي تنصُّ على أنَّ كل منصوب لا بد له من ناصب، أمَّا الثالث: فهو مضمر وإذا ظهر تغيَّر الكلام عمَّا كان عليه، كما في (يا عبد الله)، فالنحاة يرون أنَّ كلمة (عبد الله) نُصبت لفعل مضمر تقديره (أدعو)، لكنَّ ابن مضاء يرفض ذلك؛ لأنَّ ظهور هذا الفعل سيحوِّل العبارة من الإنشاء إلى الإخبار[4].

❖ إلغاء العلل الثواني والثوالث

دعا ابن مضاء لإلغاء العلل الثواني والثوالث، وقام بضرب مثالٍ على ذلك فقال: "وذلك مثل سؤال سائل عن (زيد) من قولنا: قام زيدٌ، لِمَ رُفع؟ فيُقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولِمَ رُفع الفاعل؟ فالصواب أن يُقال: كذا نطقت به العرب"[5].

---

[1] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص76-77).

[2] انظر: ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي. (1979)، *الرد على النحاة*، تح: البنا، محمد إبراهيم، ط1، القاهرة: دار الاعتصام، (مقدمة التحقيق/ 12-13)، وانظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص76-78).

[3] [النحل: 30].

[4] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (ص78-80).

[5] المرجع السابق، (ص130).

من خلال آراء ابن مضاء نجد أنَّه لا يُعارض العلل كلها، مع أنَّ المذهب الظاهري الذي ينتمي إليه –خاصة ابن حزم الأندلس– يعارضها، وأقرَّ ابن مضاء العلة الأولى؛ لفائدة تعليمية، أمَّا العلل الثواني والثوالث فإنه يرى أنها لا تُفيد في شيء، وتجاهلها لا يضرُّ[1]، وبالنظر إلى المثال الذي قدَّمه ابن مضاء، نرى أنَّه يسعى إلى التيسير والتخفيف عن المتعلمين، فبدلاً من الغوص والبحث في معرفة السبب الذي جعل الفاعل مرفوعاً، نعود إلى أصل ذلك بالقول أنَّ العرب هكذا نطقوها، خاصة أنَّ اللغة العربية لغةٌ منقولةٌ، وقواعد النحو العربي وُضعت لتحفظ هذه اللغة وتنقلها بالأصل والكيفية التي كانت عليها؛ لذا لا يوجد داعي لتعقيد الأمور والبحث عن علل يبدو أنَّ الكثير منها يُمكن تبسيطه.

مع أنَّ ابن مضاء قد دعا إلى إلغاء العلل الثواني والثوالث إلا أنَّه يُمكن أن يقبل جزءاً من العلل الثواني، حيث قسَّم ابن مضاء العلل الثواني إلى ثلاثة أقسام وهي: قسم مقطوع به، وقسم فيه إقناع، وقسم مقطوع بفساده، وقد يقبل ابن مضاء بالقسم الأول منها وهو المقطوع به، مثل العلة التي تذهب إلى أنَّ كل ساكنين التقيا في الوصل وليس أحدهما حرف لين، فإنَّ أحدهما يحرَّك؛ لعدم تمكن الناطق من نطقها[2].

- **إلغاء التمارين**

دعاء ابن مضاء لإلغاء التمارين التي يفترضها النحاة للتدريب على إحكام الإعلال والإدغام، حيث يقول: "ومما ينبغي أن يسقط من النحو (ابنِ من كذا مثال كذا) كقولهم: ابنِ من البيع مثال (فُعْل)، فيقول قائل: بوع، أصله بُيْع، فيبدل من الياء واواً؛ لانضمام ما قبلها؛ لأنَّ النطق ثقيل"[3].

---

[1] انظر: عبد الكريم، بكري. (1999)، *أصول النحو العربي: في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي*، ط1، الجزائر والقاهرة والكويت: دار الكتاب الحديث، (ص76)، وانظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 35–36).

[2] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 37–38).

[3] المرجع السابق، (ص138).

يُبيّن ابن مضاء أنَّ ما ساقه النحاة من علل على هذه المسألة لا حاجة منها، وأنَّها تُشغل النحاة بأشياء لا حاجة لنا بها، فما الفائدة من صوغ بوع، أو بُيْع التي لم تأتِ عن العرب، والتي لسنا في حاجة إلى استعمالها[1].

إنَّ المثال السابق الذي قدَّمه ابن مضاء يُمكن أنْ يكون حجةً له في الدعوة إلى إلغاء التمارين، ولكن هل يُمكن أن ينفع ذلك مع كافة التمارين؟ وهل يُعقل أنَّ كل التمارين التي صاغها النحاة يُمكن الاستغناء عنها؟ بالتأكيد لا يُمكن الاستغناء عنها جميعاً؛ وذلك لأنَّ الكثير من هذه التمارين بُني عليها أحكام نحوية، أو بُنيت من خلال أحكام نحوية، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك بحثٌ معمَّقٌ في هذا الموضوع، وأن تتم دراسة هذه المسائل وملاحظة مدى أهميتها، والتعرُّف على الأسباب التي جعلت النحاة يقومون بها.

إنَّنا ومن خلال متابعة كتاب الرد على النحاة والذي كان بتحقيق الدكتور شوقي ضيف، والدكتور محمد البنا، نجد أنَّ هناك فارقاً كبيراً بين الشخصين، ظهر جلياً في مقدمة التحقيق لديهما، فالدكتور شوقي ضيف كان أكثر حماسة للكتاب –بحكم أنَّه أول من عثر عليه وحقَّقه– وشارك ابن مضاء في هجومه على النحاة، حيث يقول: "وما من ريب أنَّ من يقرأ كتاباً مُطولاً في النحو كشرح السيرافي على كتاب سيبويه، أو شرح أبي حيان على التسهيل يحسُّ أنَّ النحاة أفسدوا النحو بكثرة ما وضعوا فيه من فروع، وعلل وأصول وأقيسة ومسائل غير علمية"[2]، وتبني الدكتور شوقي ضيف الأفكار الواردة في كتاب ابن مضاء، دفعه إلى الدعوة لتجديد النحو وتيسيره، ولا شكَّ أنَّ هذه الدعوة دعوةٌ حميدةٌ فيها خير للغة العربية وللناطقين بها، ولكنَّ هذا التيسير يجب ألا يغفل الهدف الأول والأساس للنحو العربي والذي يتمثل في صيانة اللسان العربي من الوقوع في اللحن، ما فائدة التعرُّف على قواعد النحو العربي وعند التطبيق نجهل ذلك، أو نقع في اللحن؟ إذن يجب علينا أن نكون حريصين في هذه المسألة المهمة.

أمَّا بالنظر إلى تحقيق الدكتور محمد البنا نجد أنَّه كان أكثر اتزاناً، وكان حيادياً إلى مدى كبير، فهو دافع عن النحاة، ووقف إلى جانبهم، وفي ذات الوقت حفظ حق ابن مضاء،

---

[1] انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 44)، وانظر: عمار، ربيح، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، (ص294).

[2] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: ضيف، (مقدمة التحقيق/ 44).

ولم يُنكر جهده، وقد قال عن ذلك: "لا نجد تفسيراً مُقنعاً لإقبال العاصرين على كتاب ابن مضاء إلا أنَّه صدَّر كتابه بعبارته: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبِّه على ما أجمعوا على الخطأ منه)، وكان أمر النحو يُشغل العلماء والمثقفين ورجال التربية في هذه الفترة، ومن هنا أقبلوا عليه يدرسونه، ولعلَّهم قد وجدوا فيه ما وجدنا، وأدركوا أنَّ ابن مضاء قد أثار الظمأ فيهم دون أن يرويهم، لكنا لا ينبغي أن نغفل ما تضمَّنه من الآراء الصائبة، وأنَّه أسهم إلى حدٍ كبيرٍ في إثراء الدراسات اللغوية في عصرنا"[1].

يمكن أن نقول بأنَّ تجربة ابن مضاء لها ما لها وعليها ما عليها، لكنَّ الواضح أنَّه كان صادقاً في نواياه، وكان هدفه الإصلاح، والبعد عن التكلُّف الزائد، ولكنني أظنُّ أنَّ ما وصل له النحو في تلك الفترة هو نتيجة طبيعية، تتحكم بها الظروف والعوامل المؤثرة في النحو[2]، والتي تؤثر على المجتمع، فبالتأكيد أنَّ أحوال النحو العربي كانت مختلفة باختلاف الأحوال السياسية مثلاً، لأنَّ الأمان والاستقرار يولد نهضة فكرية، أمَّا الانشغال في الأحوال السياسية وتقلباتها سيشغل العلماء والمتلقين، وسيبحثون على أيسر الحلول وأسهلها، وهذا بالضبط ما حدث مع ابن مضاء، حيث إنَّ الفترة التي سبقته كانت تتسم بالاستقرار، والراحة النفسية في المجتمع، ما دعا العلماء إلى التبحر في مختلف المجالات، وازدادت أعداد المتعلمين، ولم يكن التوسع في العلوم مشكلة بالنسبة لهم، فالعوامل النحوية مثلاً كانت سبباً من أسباب إعمال الفكر لديهم، بينما في عصر ابن مضاء الذي شهد تقلبات سياسية وخلافات فقهية أدت إلى انشغال العلماء وتلاميذهم بأمور مختلفة، فلم يعد المجتمع يبذل جهوداً كبيرة في البحث والتفكير، ما دعاهم للبحث في أمور سهلة ومختصرة، فبدأوا يشعروا بأنَّ ما تفرَّع به النحاة في آرائهم ومسائلهم أصبح صعباً عليهم، ولكن السؤال المطروح هل ابن مضاء وحده من شعر بذلك؟ ولماذا لم نجد آراء مشابهة لما لديه لدى علماء آخرين كالسهيلي مثلاً؟

يعتقد الباحث أنَّ كتاب ابن مضاء كان تعبيراً عن واقع المجتمع الذي بات يُعاني من كثرة فروع النحو، وصعوبة التعامل معه، لكنه بدلاً من البحث عن البدائل والحلول لهذه المشكلة، بات يصوِّر ويُجسد هذه المشكلة، وبنبِّه لخطرها ولم يعط حلولاً لها، ويبدو علماء النحو

---

[1] ابن مضاء، الرد على النحاة، تح: البنا، (مقدمة التحقيق/ 44).

[2] مثل العوامل التي ذكرناها في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وتلاميذه لم يُعيروا اهتماماً كبيراً لما قاله ابن مضاء؛ لأنه لم يُرشدهم إلى الحل، فطرحُ المشكلةِ دون حلٍّ لا يكفي.

الخاتمة

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا لله رب العالمين بجميع محامده كلِّها على جميع نعمه علينا وعلى جميع خلقه، حمدًا يوافي نِعَمه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم، وبعد ...

يسعدني أن أعرض في خاتمة هذه الدراسة، أبرز النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها، مع إرداف على التوصيات المؤمل القيام بها.

أولاً: النتائج

1. الفكر النحوي أسبق من النحو، وأصوله، وإنَّ كل مخرجات النحاة نابعةً من فكرهم النحوي، وهذا الفكر يتعرَّض بمؤثرات وعوامل تؤثُّر به، فكان اللحن في اللغة أول عامل حرَّك عقول وقلوب النحاة، فأخرجوا ما كان لديهم من أفكار إلى قواعد وأسس تنظِّم العمل اللغوي.
2. برزت عدة عوامل أثَّرت في الفكر النحوي لدى نحاة القرن السادس الهجري، وأبرز هذه العوامل: العقيدة الإسلامية والفرق العقدية، الفقه الإسلامي ومذاهبه، والرحلات العلمية، والتحولات السياسية، حيث أثَّرت هذه العوامل على آراء النحاة، ومخرجاتهم.
3. الدراسات النحوية في القرن السادس الهجري في مصر لم تصل لدرجةٍ يُمكن أن تكون اتجاهاً واضحاً، أو مدرسةً مستقلةً، كتلك التي كانت في بغداد، لكن هذا لا يعني انعدام الفكر النحوي فيها، بل كان موجوداً لكنه لم يبرز فوق المدرسة البغدادية إلا في القرن السابع الهجري، حيث برزت المدرسة المصرية بشدة، وفرضت آراءها؛ وذلك لأسباب كثيرة منها سقوط الخلافة في بغداد، ونمو مصر سياسياً وفكرياً.
4. وصلت الدراسات النحوية في الأندلس إلى نضجها في القرن السادس الهجري، ففرضت نفسها، وبيَّنت رأيها في الكثير من المسائل، وصنع الأندلسيون إنجازاً مهماً، جعل من آرائهم مدرسة نحوية مستقلة.
5. اعتاد أغلب مؤرخي النحو على تسمية الشام ومصر ضمن مدرسة واحدة، ومنهم من جعل لكلٍّ منهما مدرسة مستقلة، ولكن وبعد النظر في الدراسات النحوية في الشام في القرن السادس الهجري، وجدنا أنَّ الفكر النحوي في الشام قد مرَّ بمرحلتين

مختلفتين، في المرحلة الأولى اندمجت الشام مع بغداد، فلم يكن هناك أي تمييز بين الدراسات النحوية في الشام أو في بغداد، وخاصة في المناطق القريبة جغرافياً من بغداد كدمشق، وحلب، بل إنَّ عدداً من النحاة المعاصرين صنَّفوا علماء من الشام على أنَّهم علماء من بغداد، ومنهم من صنَّف علماء من بغداد على أنَّهم من الشام، ويرجع ذلك إلى القرب الجغرافي، وسهولة التنقُّل بين البلدين، فكان كثير من البغداديين يرتحلوا إلى الشام ويمكثوا فيها مدة طويلة، أو يظلوا حتى توافيهم المنية، وكذلك من أهل الشام من ارتحل إلى بغداد ومكث فيها حتى ظنَّه البعض أنَّه بغدادي، أمَّا في المرحلة الثانية فنجد الشام قد اندمجت مع مصر، وبدأ ذلك في النصف الثاني من القرن السادس، وتحديداً مع سقوط الدولة الفاطمية، وتولّي الأيوبيين الحكم، حيث وجدنا أنَّ الأمر الذي حدث بين الشام وبغداد، يتكرر بين مصر والشام.

6. يمكن لنا أن نطلق تسمية المذهب على الآراء البصرية والكوفية، أمَّا باقي الآراء النحوية سواء كانت في مصر أو الشام أو المغرب أو الأندلس أو الحجاز فمن الجيد أن نُطلق عليها تسمية المدرسة؛ لأنَّ مصطلح المذهب أوسع من مصطلح المدرسة، وكأنَّ المذهب يشير لنا للأسس والمبادئ، أمَّا المدرسة فهي من ينفِّذ ويطبِّق هذه المبادئ، فكانت الآراء البصرية والكوفية بالأغلب آراءً تأسيسيةً، وكانت هي محط الدراسات النحوية لمن تلاهم من النحاة، وذلك من خلال شرح هذه الآراء، واختصارها، والمقارنة بينها، وترجيح أحدهما، والاعتراض على الآخر، وغيرها من الدراسات التي كانت آراء البصريين والكوفيين مركزاً عليها.

7. تميَّز الفكر النحوي في القرن السادس الهجري بأنَّه مرحلة فيصلية في النحوي العربي، إذ إنَّ ما سبق ذلك من آراء نحوية كانت تقوم في الأغلب على تبنِّي المذهب الكوفي أو البصري، أو التعصُّب له، أمَّا الآراء النحوية في هذا القرن كانت تقوم على الانتقاء العقلاني المبني على الأدلة والبراهين، فساهم ذلك في القضاء على التعصُّب المذهبي الذي ساد بين الكثير من متقدمي النحو، وكانت الكثير من الآراء النحوية مبنية على ذلك التعصُّب.

8. يعد القرن السادس الهجري بداية الظهور القوي للمدرسة الأندلسية النحوية، فقد فرضت آراء نحاة القرن السادس نفسها على من بعدهم، وأصبحوا نموذجاً لهم، وبات

العلماء اللاحقون يقارنون آراءهم بآراء نحاة البصرة والكوفة وبغداد، ففرض نحاة القرن السادس من الأندلس آراءهم، وشكلوا نهضة للمدرسة الأندلسية

9. أضاف نحاة القرن السادس الهجري عدداً من الآراء الفريدة، غير المسبوقة، وبرز نحاة الأندلس كثيراً في هذا الجانب، حيث لم يكتفِ النحاة بالنقل عن المشارقة فحسب، بل أبدعوا في هذا المضمار وسجلوا بصماتهم فيه.

10. الفكر النحوي القائم في عصرنا هو امتداد للفكر النحوي الذي بدأ زمن ابن السراج، فهو يسير وفقاً للأصول المتَّبعة فيه، وبالتأكيد لا نغفل البحوث النحوية المعاصرة التي دعت إلى تيسير النحو وتصحيح اتجاهاته، أو إلى تجديد هذا النحو لكنَّها ظلَّت أفكاراً مقترحةً دون تطبيق ملوس، أو أثرٍ واضحٍ في الدرس النحوي.

11. ارتكزت دعوات تجديد النحو، أو تيسيره، وخاصة عند الدكتور شوقي ضيف على مُخرجات الفكر النحوي في القرن السادس الهجري.

ثانياً: التوصيات

1. توصي الدراسة الباحثين والمختصين وأصحاب الهمم العالية أن يبحثوا الفكر النحو في القرون السابقة للقرن السادس، أو التالية له وخاصة القرن السابع الهجري؛ لأنَّ خلاصة الفكر النحوي السائدة في القرن السادس كانت نبراساً لنحاة القرن السابع الهجري.

2. توصلت الدراسة إلى أنَّ النحو في الشام قد مرَّ بمرحلتين في الأولى كانت تابعة لبغداد، وفي الثانية لمصر، ومن هنا توصي الدراسة بضرورة دراسة مدرسة النحو في الشام، وملاحظة أثر هاتين الفترتين على الفكر النحوي في الشام، مع إبراز أهم الآراء الخاصة بنحاة الشام.

3. توصي الدراسة الباحثين بدراسة الفكر النحوي لدى كلٍّ من العلماء: ابن الشجري، أبي البركات الأنباري، أبي القاسم السهيلي؛ لِما قدَّموه من آراء وأفكار تُمثل رؤية ناضجة وجديدة للفكر النحوي.

4. محاولات تجديد النحو أو تيسيره التي ارتكزت على آثار نحاة القرن السادس الهجري يُمكن الاستمرار بها، من خلال إرشاد المتعلمين والناطقين باللغة العربية إلى أيسر

الطرق لمعرفة قواعد النحو العربي، مع عدم إغفال الهدف الأساسي لتأسيس وبناء النحو والمتمثل في عدم الوقوع في اللحن، فما فائدة التعرُّف على قواعد النحو العربي، وعند التطبيق نجهل ذلك أو نقع في اللحن؟ ومن هنا نوجِّه دعوة لطلبة العلم والباحثين والمختصين لضرورة البحث عن أيسر الطُّرق التي يتمُّ من خلالها التطبيق السليم لقواعد النحو العربي؛ لأنَّ أهمَّ ما في الأمر التطبيق.

5. توصي الدراسة المشرفين وأصحاب الشأن بضرورة تشجيع الباحثين وإرشادهم لدراسة الفكر النحوي؛ لما له من أثر بارز وفوائد جمة للباحثين.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- القرآن الكريم

الأردبيلي، جمال الدين محمد بن عبد الغني. (1990م)، *شرح الأنموذج في النحو: للعلامة الزمخشري*، تح: يوسف، حسني عبد الجليل، د.ط، القاهرة: مكتبة الآداب.

الأزهري، خالد بن عبد الله. (2000م)، *شرح التصريح على التوضيح*، تح: عيون السود، محمد باسل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

أشباخ، يوسف. (1940م)، *تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين*، تر: محمد عبد الله عنان، د.ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الأفغاني، سعيد. (1957م)، *في أصول النحو*، ط2، دمشق: مطبعة الجامعة السورية.

الأفغاني، سعيد. (د.ت)، *من تاريخ النحو*، د.ط، بيروت: دار الفكر.

أمين، أحمد. (2012م)، *ظهر الإسلام*، د.ط، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1971م)، *الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة*، تح: الأفغاني، سعيد، ط2، بيروت: دار الفكر.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (د.ت)، *أسرار العربية*، تح: البيطار، محمد بهجت، د.ط، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1997م)، *أسرار العربية*، تح: شمس الدين، محمد حسين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1961م)، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: عبد الحميد، محمد محيي الدين، ط4، القاهرة: مطبعة السعادة.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (2002م)، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين*، تح: مبروك، جودة مبروك، ط1، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1988م)، *الداعي إلى الإسلام*، تح: باغجوان، سيد حسين، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1985م)، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تح: السامرائي، إبراهيم، ط3، الزرقاء– الأردن: مكتبة المنار.

العسيري، أحمد. (1996م)، *موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر*، ط1، (د.ن).

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. (1417هـ)، *تاريخ بغداد وذيوله*، تح: عطا، مصطفى عبد القادر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

بروكلمان، كارل. (1968م)، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ط5، بيروت: دار العلم للملايين.

ابن بَرّي، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش. (1980م)، *التنبيه والإيضاح عما وقع في الصِحاح*، تح: حجازي، مصطفى، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب.

ابن بَرّي، أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش. (2003م)، *خمسة نصوص محققة: (مسائل منثورة في التفسير/ شروط الحال/ رسالة في لو/ تسمية الشيء/ فصول في العربية)*، تح: الضامن، حاتم صالح، ط1، دمشق: دار البشائر.

البنا، محمد إبراهيم. (1985م)، *أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي*، ط1، جدة: دار البيان العربي.

بوقرة، نعمان. (2004)، *النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي: قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني وأبعاده المعرفية*، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ابن التمين، محمد عبد الله. (2012م)، *اللحن اللغوي: وآثاره في الفقه واللغة*، ط2، دبي: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري.

التميمي، محمد. (2002م)، *مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات*، ط1، الرياض: أضواء السلف.

ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1980م)، *مقدمة في أصول التفسير*، د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (1952م)، *الخصائص*، تح: النجار، محمد علي، د.ط، القاهرة: دار الكتب المصرية.

الجهني، مانع. (1420هـ)، *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*، ط4، الرياض: دار الندوة العالمية.

ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي. (1959م)، *التقريب لحد المنطق والمدخل إليه*، تح: عباس، إحسان رشيد، ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (1941م)، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، تح: شرف الدين، محمد، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحديثي، خديجة. (2001م)، *المدارس النحوية*، ط3، إربد- الأردن: دار الأمل.

حسن، حسن إبراهيم. (1932م)، *الفاطميون في مصر: وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص*، د.ط، القاهرة: المطبعة الأميرية.

حفيظة، يحياوي. (2011م)، *إسهامات نحاة المغرب والأندلس في تأصيل الدرس النحوي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين*، د.ط، الجزائر: منشورات مخبر الممارسات اللغوية- جامعة مولود معمري.

حمود، خضر موسى. (2003م)، *النحو والنحاة: المدارس والخصائص*، ط1، بيروت: عالم الكتب.

حمودة، فتحي. (د.ت)، *ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف*، طبعة خاصة، أبها: شركة المروة.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1995م)، *معجم البلدان*، ط2، بيروت: دار صادر.

الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1993م)، *معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تح: عباس، إحسان، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن الخشاب، أبو محمد عبد الله بن أحمد. (1972م)، *المرتجل*، تح: حيدر، علي، دمشق: طبعة خاصة، (د.ن).

الخصوصي، إبراهيم سعيد. (1312هـ)، *شرح عمدة السري على أنموذج الزمخشري*، ط1، بولاق (القاهرة): المطبعة الكبرى الأميرية.

الخطيب، محمد عبد الفتاح. (2006م)، *ضوابط الفكر النحوي: دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم*، د.ط، القاهرة: دار البصائر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (2004م)، *مقدمة ابن خلدون*، تح: الدرويش، عبد الله محمد، ط1، دمشق: دار يعرب.

ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1977م)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: عباس، إحسان، د.ط، بيروت: دار صادر.

درويش، محيي الدين. (1999م)، *إعراب القرآن وبيانه*، ط7، دمشق وبيروت: دار ابن كثير، ودار اليمامة.

الدغلي، محمد سعيد. (1984م)، *الحياة الاجتماعية في الأندلس: وأثرها في الأدب العربي في الأدب الأندلسي*، ط1، منشورات دار أسامة.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (2003م)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تح: معروف، بشار، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1985م)، *سير أعلام النبلاء*، تح: الأرناؤوط، شعيب وآخرين، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

الربيعي، فالح. (2000م)، *تاريخ المعتزلة: فكرهم وعقائدهم*، ط1، القاهرة: الدار الثقافية للنشر.

روّاي، صلاح. (2003م)، *النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله*، د.ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

الزركلي، خير الدين. (2002م)، *الأعلام: قاموس تراجم*، ط15، بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1289هـ)، *الأنموذج في النحو*، ط1، قسطنطينية: مطبعة الجوائب.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1999م)، *الأنموذج في النحو*، تح: المنصور، سامي بن حمد، ط1، المنصورة: لسان العرب.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1998م)، *تفسير الكشَّاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تح: عبد الموجود، عادل، ومعوض، علي، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2003م)، *تفسير الكشَّاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تح: شيحا، خليل مأمون، ط3، بيروت: دار المعرفة.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (1993م)، *الفائق في غريب الحديث*، تح: البجاوي، علي محمد، وإبراهيم، محمد أبو الفضل، د.ط، بيروت: دار الفكر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2004م)، *المُفصل في علم العربية*، تح: قدارة، فخر صالح، ط1، عمان: دار عمار.

الزواوي، أحمد. (1984م)، *أبو موسى الجزولي: عرض لحياته العلمية ومنهجه في البحث وتأثيره في حقل النحو ثم نقد لمنهجه*، د.ط، المحمدية– المغرب: مطبعة موناستير.

السامرائي، خليل، وآخرون. (2000م)، *تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس*، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

السامرائي، فاضل صالح. (1971م)، *الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري*، د.ط، بغداد: مطبعة الإرشاد.

سعد الملك، علي بن هبة الله. (1990م)، *الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب*، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. (2005م)، *ذيل طبقات الحنابلة*، تح: العثيمين، عبد الرحمن، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (1980م)، *الأنساب*، تح: اليماني، عبد الرحمن وآخرين، ط2، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (2000م)، *الرَّوضُ الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، تح: السلامي، عمر عبد السلام، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. (1992م)، *نتائج الفكر في النحو*، تح: عبد الموجود، عادل، ومعوض، علي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

سيد، أيمن فؤاد. (1992م)، *الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد*، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

السيد، محمد. (1999م)، *تاريخ دولتي المرابطين والموحدين*، د.ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1979م)، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تح: إبراهيم، محمد، ط2، بيروت: دار الفكر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1998م)، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، تح: شمس الدين، أحمد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الشجري، هبة الله بن علي. (1992م)، *أمالي ابن الشجري*، تح: الطناحي، محمود محمد، د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي.

شلبي، أحمد. (1986م)، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شلبي، محمد مصطفى. (1985م)، *المدخل في الفقه الإسلامي: تعريفه وتاريخه ومذاهبه- نظرة الملكيَّة والعقد*، ط10، القاهرة: الدار الجامعية.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. (1975م)، *الملل والنحل*، تح: كيلاني، محمد سيد، ط2، بيروت: دار المعرفة.

صالح، محمد سالم. (2006م)، *أصول النحو: دراسة في فكر الأنباري*، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

الصفدي، صلاح الدين. (2000م)، *الوافي بالوفيات*، تح: الأرناؤوط، أحمد، ومصطفى، تركي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الصَّلابي، علي محمد. (2003م)، *الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين*، ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، علي محمد. (1998م)، *دولة الموحدين*، د.ط، عمان: دار البيارق للنشر.

الصلابي، علي محمد. (2008م)، *صلاح الدين الأيوبي: وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*، ط2، بيروت: دار المعرفة.

ضيف، شوقي. (1980م)، *تاريخ الأدب العربي*، ط2، القاهرة: دار المعارف.

ضيف، شوقي. (1992م)، *المدارس النحوية*، ط7، القاهرة: دار المعارف.

الطنطاوي، محمد. (1995م)، *نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة*، ط2، القاهرة: دار المعارف.

عبد الكريم، بكري. (1999م)، *أصول النحو العربي: في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي*، ط1، الجزائر والقاهرة والكويت: دار الكتاب الحديث.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد. (د.ت)، *بغية الطلب في تاريخ حلب*، تح: زكار، سهيل، د.ط، دمشق: دار الفكر.

عسكر، محمد عيسى. (1289هـ)، *الفيروزج شرح الأنموذج*، ط1، د.م: مطبعة المدارس الملكية.

العليوي، يوسف. (2008م)، *التوجيه البلاغي لآيات العقيدة: في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين*، ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

عمر، أحمد مختار. (2008م)، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط1، الرياض: عالم الكتب.

عون، حسين. (1970م)، *تطور الدرس النحوي*، د.ط، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.

عيد، محمد. (1989م)، *أصول النحو العربي: في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث*، ط4، القاهرة: عالم الكتب.

العيسوي، عبد الفتاح، والعيسوي، عبد الرحمن. (1996م)، *مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث*، د.ط، الإسكندرية: دار الراتب الجامعية.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (1998م)، *المنخول من تعليقات الأصول*، ط3، بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر.

غنان، محمد عبد الله. (1990م)، *دولة الإسلام في الأندلس*، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (2000م)، *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة*، تح: المصري، محمد، ط1، دمشق: دار سعد الدين.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. (2005م)، *القاموس المحيط*، تح: العرقسوسي، محمد، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

قصاب، وليد. (1985م)، *التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة*: حتى نهاية القرن السادس الهجري، د.ط، الدوحة: دار الثقافة.

القفطي، علي بن يوسف. (1986م)، *إنباه الرواة على أنباء النحاة*، تح: إبراهيم، محمد أبو الفضل، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، وبيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997م)، *البداية والنهاية*، تح: التركي، عبد الله، ط1، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر.

محمد، محمد الشاطر أحمد.(1983م)، *الموجز في نشأة النحو*، د.ط، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

المراكشي، عبد الواحد بن علي. (2006م)، *المُعجب في تلخيص أخبار المغرب: من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، تح: الهواري، صلاح الدين، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.

المراكشي، محمد بن محمد بن عبد الملك. (2012م)، *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة*، تح: عباس، إحسان، وآخرين، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (2004م)، *المعجم الوسيط*، ط4، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي. (1979م)، *الرد على النحاة*، تح: البنا، محمد إبراهيم، ط1، القاهرة: دار الاعتصام.

ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي. (1982م)، *الرد على النحاة*، تح: ضيف، شوقي، ط2، القاهرة: دار المعارف.

مطلق، ألبير حبيب. (1967م)، *الحركة اللغوية في الأندلس: منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف*، د.ط، بيروت: المكتبة العصرية.

أبو المكارم، علي. (2007م)، *أصول التفكير النحوي، ط1*، القاهرة: دار غريب.

أبو المكارم، علي. (2005م)، *تقويم الفكر النحوي*، د.ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

أبو المكارم، علي. (2006م)، *الظواهر اللغوية في التراث النحوي*، ط1، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

أبو المكارم، علي. (2008م)، *مدخل إلى تاريخ النحو العربي*، د.ط، القاهرة: دار غريب.

الملخ، حسن خميس. (2002م)، *التفكير العلمي في النحو العربي، ط1*، عمان: دار الشروق.

الملخ، حسن خميس. (2000م)، *نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ط1*، عمان: دار الشروق.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ)، *لسان العرب*، ط3، بيروت: دار صادر.

الموصلي، كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار. (2005م)، *قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان*، تح: الجبوري، كامل سلمان، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ناصف، علي النجدي. (1979م)، *سيبويه إمام النحاة*، ط2، القاهرة: عالم الكتب.

ابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين. (1994م)، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: عبد الحميد، محيي الدين، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.

الهيتي، عبد القادر. (1993م)، *خصائي مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري*، ط2، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

ولد أبّاه، محمد المختار. (2008م)، *تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب*، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية.

الياسري، علي. (2003م)، *الفكر النحوي عند العرب: أصوله ومناهجه*، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات.

اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي. (1972م)، *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، تح: الأحمدي، محمد، د.ط، القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. (د.ت)، *شرح المفصل*، بيروت: عالم الكتب.

ثانياً: الرسائل الجامعية

الجبالي، مهند. (2001م)، *أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية والنحوية في الكشاف*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، الأردن.

جعفر، محمد عبد النبي. (2009م)، *اختلاف النحاة: ثماره وآثاره في الدرس النحوي*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان.

الراجحي، جيهان سعيد. (2006م)، *الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد* (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة الكرمة.

عبد الله، مصطفى حسين. (2009م)، *تطور الفكر النحوي عند ابن هشام الأنصاري: من قطر الندى إلى مغني اللبيب*، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان.

عصيدة، فادي. (2006م)، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

علوش، جميل إبراهيم. (1977م)، *ابن الأنباري وجهوده في النحو*، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة القديس يوسف، بيروت.

الشهري، علي محمد. (1420هـ)، *الخلاف النحوي في المقتصد*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة.

الموستاري، مصطفى بن يوسف. (2015م)، *الفوائد العبدية شرح الأنموذج للزمخشري*، تح: العجمي، فالح بداح (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط، عَمان.

النجار، عبد الحميد قاسم. (1982م)، *الزمخشري آثاره ومنهجه النحوي*، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الفاتح، طرابلس.

ثالثاً: الأبحاث والدوريات

زهار، محمد. (2007م)، *من أعلام الأندلس: السهيلي وكتابه نتائج الفكر*، مجلة الأثر الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، ع6، ماي/مايو، (ص 283-308).

طلافحة، أمجد، وأبودلو، أحمد. (2013م)، *الخلاف النحوي وحقيقة المدارس النحوية*، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، م16، ع2، (ص55-86).

عمار، ربيح. (2009م)، *ابن مضاء القرطبي: ثورة في الفقه، ثورة في النحو*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة- الجزائر، ع5، جوان/يونيو، (ص 283-308).

عياض، محمد رضا. (2016م)، *العوامل المؤثرة في أصول النحو عند ابن هشام الأنصاري*، مجلة الأثر، الجزائر، ع25، جوان/يونيو، (ص19-28).

النشمي، أحمد. (2010م)، *المسائل الخلافية بين المدرستين الكوفية والبصرية ودورها في إثراء الفكر اللغوي والنحوي*، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، ع11، يناير، (ص103-118).

نعيم، مزيد، ومرجان، روفائيل. (2005م)، *أبو الحسين ابن الطراوة وآراؤه في النحو والصرف*، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م27، ع2، (ص67-84).

فهرس الآيات

م	الآية	السورة	الصفحة
.1	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	البقرة	70
.2	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾		71
.3	﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾		72
.4	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾		121
.5	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ﴾		121
.6	﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾	آل عمران	69
.7	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾		117
.8	﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ۚ﴾	النساء	48
.9	﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	الأنعام	71
.10	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾		119
.11	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِى وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى ۚ﴾	الأعراف	71
.12	﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	يونس	69
.13	﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	هود	69

م	الآية	السورة	الصفحة
.14	﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	يوسف	39
.15	﴿لَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾		72
.16	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ﴾	النحل	154
.17	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾	الإسراء	122
.18	﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾	مريم	72
.19	﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾		114
.20	﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾		114
.21	﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾	الحج	72
.22	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	الشعراء	39
.23	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾		113
.24	﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ﴾	الروم	151
.25	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ﴾	فاطر	152
.26	﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾	الشورى	69
.27	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾		116
.28	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾	المدثر	29

م	الآية	السورة	الصفحة
.29	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	القيامة	**69**
.30	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾		**69**
.31	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾		**69**
.32	﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾	العلق	**116**

تم بحمد الله